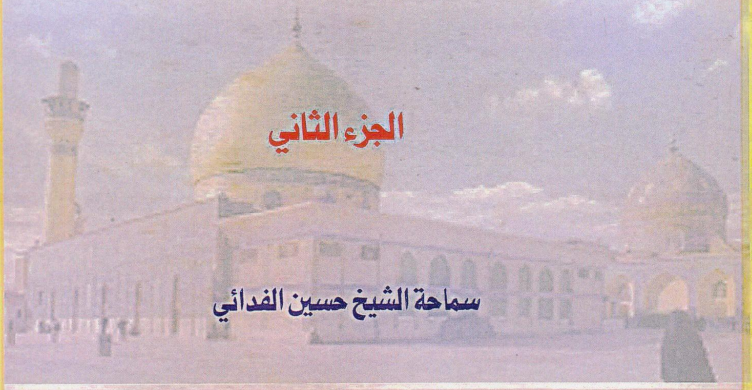
الإمام علي الهادي

عليه السلام

رمز سعادة الحياة وكرامة الإنسان



الجزء الثاني

سماحة الشيخ حسين الفدائي

الإمام علي الهادي

عليه السلام

رمز سعادة الحياة وكرامة الإنسان

المجلد الثاني



سماحة الشيخ حسين الفدائي

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م

منشورات

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

العراق / النجف الأشرف

الإمام علي الهادي (عليه السلام)

رمز سعادة الحياة وكرامة الإنسان

ج ٢

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ
الْحَمْدُ للهِ رَبّ الْعَالَمِينَ
الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ
مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ
إِيّاكَ نَعْبُدُ وإِيّاكَ نَسْتَعِينُ
اهْدِنَا الصّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم
وَلاَ الضّآلّينَ

صدق الله العلي العظيم

المجال الأول

من سيرته (عليه السلام) العلمية :

الأصول الدينية والمسائل الاعتقادية

أصول الدين

المسائل الاعتقادية والفكرية هي الأساس لكل مبدء ودين، والمحور عند جميع المكاتب والمذاهب، وذلك لما فيها من أهمية كبرى، وتأثير كبير على المسائل الفرعية والعملية، التي يتلبّس بها الإنسان في حياته اليومية، وكذلك المجتمع، فإذا كانت المسائل الاعتقادية، مسائل متطابقة مع الواقع والحقيقة، ومتلائمة مع العقل السليم والفطرة القويمة، كانت الأعمال الفردية والاجتماعية بالتبع لذلك متّزنةً ومتعادلة، ومتوافقةً مع الحقيقة والواقع، وبعيدةً عن الخرافة والباطل.

مضافاً إلى أن المسائل الاعتقادية إذا كانت متطابقة مع الحق والحقيقة، كانت أوقع في النفوس، وأثبت في القلوب، وكانت قويةً وصلبة، ومُتقنةً ورصينة، فتكون أقرب إلى الخلود والبقاء، والديمومة والاستمرار، وبالتالي تكون باقية مستمرة، وخالدة أبدية.

لذلك كله، ولأمور أخرى غيرها، سميت المسائل الاعتقادية في الإسلام بأصول الدين، ووجب على كل مسلم تعلّمها والاعتقاد بها، وذلك عن دليل وبرهان، وليس عن تقليد وقبول مجرّد من الآخرين.

وإنما أوجب الإسلام على كل إنسان الاعتقاد بأصول الدين عن دليل وبرهان، وفرض عليه الاهتمام الكبير في تعلّمها وتعليمها، لأنها تؤطر أعمال

الإنسان بإطار الخير، وتحدّده في حدود العقل والمنطق، وتقيّده بالالتزام التام بالمسائل الفقهية: وبالعمل الخالص والجادّ بالفروع الدينية والشرعية: بالصلاة والصيام، وبالحج والجهاد، وبالخمس والزكاة، وإلى آخر الفروع الشرعية والمسائل الفقهية.

بينما المتواني في تعلم أصول الدين، والمتساهل في الاعتقاد بها، يكون متوانياً في الالتزام بالفروع الفقهية والمسائل الشرعية، مهملاً ومتساهلاً في العمل بها أيضاً.

ولذلك اهتم الإمام الهادي (عليه السلام) اهتماماً بالغاً بالمسائل الاعتقادية وبأصول الدين، وجدّ اجتهاداً عظيماً في تثبيت عقيدة التوحيد، والعدل، وترسيخ الإيمان بالنبوة، والإمامة، والمعاد في يوم القيامة، ونحن نشير فيما يلي إلى بعض ما تيسّر لنا من ذلك إن شاء الله تعالى:

التوحيد والعدل

هو الواحد الصمد

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره [١]، وصاحب تاريخ سامراء في تاريخه[٢]، عن كشف الغمة، عن فتح بن يزيد الجرجاني قائلاً: ضمّني وأبا الحسن الهادي (عليه السلام) الطريق في منصرفي من مكة إلى خراسان، وهو في طريقه إلى العراق.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إلى من معه ويقول:

"من اتقى الله يُتقّى، ومن أطاع الله يُطاع".

فتح الجرجاني يقول: استفدت من كلام الإمام الهادي (عليه السلام) كثيراً، وأعجبني التشرف بالوصول اليه، فتلطفت في ذلك حتى وصلت إليه وسلمت عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يردّ عليه السلام ويأمره بالجلوس.

فتح الجرجاني ـ يفرح من ترحيب الإمام الهادي (عليه السلام) ويجلس بين يديه.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٧ ح٥٦.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٨٥.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يُقبل على الجرجاني ويبتدئه بقوله:

يا فتح، مَن أطاعَ الخالقَ لم يُبالِ بِسَخَطِ المخلوق، ومَن أسخَطَ الخالقَ، فأيقنَ أنْ يحلّ به الخالقُ سَخَطَ المخلوق، وأنَّ الخالقَ لا يُوصَف إلا بما وصف به نفسَه، وأنىّ يُوصف الخالق الذي يعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخَطَرات أن تحُدّه، والأبصار عن الإحاطة به.

جَلّ عما يصفه الواصفون، وتعالى عما يَنعتُه الناعتون، نأى في قُرْبِه، و قَرُبَ في نَأيِه، فهو في نَأيِه قريب، وفي قُرْبِه بعيد، كَيَّفَ الكَيْفَ فلا يقال: كَيْف، وأَيَّنَ الأَيْنَ فلا يقال: أيْن، إذ هو منقطع الكيفية والأينية.

هُوَ الواحِدُ الصَّمدُ، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يَكُن له كُفُواً أحَد، فَجَلَّ جَلالُه وَتَقَدَّسَتْ أسماؤُه».

النبوة والمعاد

أوجب الله لمن أطاع النبي جزاء طاعته

يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) حديثه ويقول: بل كيف يوصف بكنهه محمد (صلى الله عليه وآله) وقد قرنه الجليل باسمه، وشرّكه في عطائه، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته، إذ يقول: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[1].

وقال: يحكي قول من ترك طاعته وهو يعذّبه بين أطباق نيرانها، وسرابيل قطرانها: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة: ٧٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٦.

الإمامة

قرن الله طاعة الأئمة بطاعة رسوله

يردف الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه ويقول: أم كيف يوصف من قرن الجليل طاعتهم بطاعة رسوله حيث قال: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١].

وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[٢].

وقال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[٣].

وقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة النساء: ٨٣.

(٣) سورة النساء: ٥٨.

(٤) سورة النحل: ٤٣.

المذهب الحق

المؤمن هو المسلّم لأمر أهل البيت (عليهم السلام)

ثم يقول (عليه السلام): يا فتح! كما لا يوصف الجليل جل جلاله، والرسول، والخليل، وولد البتول، فكذلك لا يوصف المؤمن المسلّم لأمرنا.

فنبيّنا أفضل الأنبياء، وخليلنا أفضل الأخلاّء، ووصيّنا أكرم الأوصياء، واسمنا أفضل الأسماء، وكنيتنا أفضل الكنى وأحلاها، لو لم يجالسنا إلا كفو لم يجالسنا أحد، ولو لم يزوّجنا إلا كفو لم يزوّجنا أحد، أشد الناس تواضعاً، وأعظمهم حلماً، وأنداهم كفاً، وأمنعهم كنفاً، ورث عنهما أوصياؤهما علمهما، فاردد إليهم الأمر، وسلّم إليهم، أماتك الله مماتهم، وأحياك حياتهم.

ثم التفت (عليه السلام) إلى فتح الجرجاني وقال له: إذا شئت أن تخرج فاخرج، رحمك الله.

فتح الجرجاني ـ يودّع الإمام (عليه السلام) ويخرج من عنده.

من روايات الولاية

وهنا لا بأس بذكر بعض ما روي في حق أهل البيت (عليهم السلام) من رفعة وعظمة.

فقد جاء في البحار مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال له وهو يخاطبه:

«يا علي؛ خلقني الله وأنت من نوره، وحين خلق آدم أفرغ ذلك النور في صلبه، فأفضى به إلى عبد المطّلب، ثم افترقا من عبد المطلب، فصرتُ أنا في عبد الله، وأنت في أبي طالب، لا تصلح النبوّة إلا لي، ولا تصلح الوصية إلاّ لك، فمن جحد وصيتك جحد نبوّتي، ومن جحد نبوّتي اكبّه الله على منخره في النار»[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٧، بتصرف.

الولاية ونتائجها الطيّبة

وفي البحار أيضاً، مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال، وهو يخاطب علياً (عليه السلام):

«مَن سَرّه أن يلقى الله عزوجل آمناً مطهّراً، لا يحزنه الفزع الأكبر، فليتولّك يا علي، وليتولّ ابنيك: الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، ثم المهدي وهو خاتمهم.

وليكوننّ في آخر الزمان قوم يتولّونك يا علي، ويشنأهم الناس، ولو أحبّوهم كان خيراً لهم لو كانوا يعلمون، ويؤثرونك وولدك على آبائهم وأمّهاتهم وإخوانهم وأخواتهم، وعلى عشائرهم وقراباتهم، أولئك صلوات الله عليهم أفضل الصلوات، يُحشرون تحت لواء الحمد، يتجاوز الله عن سيّئاتهم، ويرفع درجاتهم جزاءً بما كانوا يعلمون»[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٧ و٣٠٨، بتصرف.

لعن الله من ناوَى علياً

وفي البحار أيضاً بالإسناد عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن جابر، عن ابن مسعود، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«حُرّمت النار على من أحبّ علياً وتولّاه، ولعن الله من مارى علياً وناواه، عليّ مني كجلدة ما بين العين والحاجب»[١].

مُبغض علي مبغض الرسول

وفي البحار أيضاً مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال، وهو يخاطب علياً (عليه السلام):

«يا علي محبّك محبّي، ومبغضك مبغضي»[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٨، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٨، بتصرف.

حب فاطمة (عليها السلام) وفائدته

وفي البحار أيضاً، بالإسناد عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«إنما سمّيت ابنتي فاطمة، لأن الله عزوجل فَطَمها وفَطَم من أحبّها من النار»[1].

علي (عليه السلام) ومعرفة الله

وفي أمالي الشيخ الطوسي، مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، أنه قال:

إن رجلاً من اليهود جاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: أخبرني عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعمّا لا يعلمه الله؟

فقال (عليه السلام) في جوابه: أمّا ما لا يعلمه الله: فلا يعلم أن له ولداً، تكذيباً لكم حيث قلتم: عزير ابن الله، وأمّا ما ليس عند الله: فليس عند الله ظلم على العباد، وأمّا ما ليس لله: فليس له شريك.

فقال اليهودي وهو يعلن إسلامه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٧، بتصرف.

محمداً رسول الله، وأشهد أنك الحق، وأهل الحق، وقلت الحق، وأسلَم على يديه.

العالم والمتعلم شريكان في الرشد

نرجع إلى رواية كشف الغمّة، ونستمع إلى فتح الجرجاني، فإنه يقول:

ولما كان الغد تلطفت في الوصول إلى الإمام الهادي (عليه السلام) فدخلت وسلّمت عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيب على سلامه ويرحّب به ويشير إليه بالجلوس.

فتح الجرجاني ـ يفرح من ترحيب الإمام الهادي (عليه السلام) به ويجلس بين يديه ويقول: يا ابن رسول الله أتأذن لي في مسألة اختلجت في صدري؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يأذن له بالسؤال ويقول: سل، وصحّح نظرك، وتثبّت في مسألتك، واصغ إلى جوابها سمعك، ولا تسأل مسألة تعنّت، واعتن بما تعتني به، فإن العالم والمتعلّم شريكان في الرشد، مأموران بالنصيحة، مأمونان عن الغش.

كل ما عند الرسول فهو عند الإمام

وأما الذي اختلج في صدرك، فإن شاء العالم أنبأك به، إن الله لم يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول، فكل ما كان عند الرسول كان عند العالم، وكل ما اطّلع عليه الرسول فقد اطّلع أوصياءه عليه، كيلا تخلو أرضه من حجة، يكون معه علم يدل على صدق مقالته، وجواز عدالته.

الأئمة (عليهم السلام) عباد الله المكرمون

يا فتح، عسى الشيطان أراد اللبس عليك، فأوهمك في بعض ما أودعتُك، وشكّكك في بعض ما أنبأتُك، حتى أراد إزالتك عن طريق الله تعالى، وصراطه المستقيم، فقلت في نفسك: "متى أيقنتُ أنهّم كذا، فهم أرباب"، معاذ الله إنهم مخلوقون مربوبون، مطيعون لله داخرون راغبون، فإذا جاءك الشيطان من قبل ما جاءك فأقمعه بما أنبأتك به.

ما ضرّ عيسى إذا هلك النصارى

فتح الجرجاني - وهو يرى أن الإمام الهادي (عليه السلام) قد أجاب على مسألته قبل السؤال، وأخبره عما اختلج في صدره قبل الإباحة به، يشكر الله على هذه النعمة ويشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على هذه المعجزة التي أراها

إياه ويقول:

جُعلتُ فداك، فرّجتَ عني، وكشفتَ ما لبّس الشيطان عليّ ببيانك، فقد كان أوقع في خُلدي أنكم أرباب.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ عندها يسجد لله تعالى تواضعاً ويقول في سجوده: راغماً لك يا خالقي، داخراً خاضعاً، ويكرّر ذلك كثيراً.

فتح الجرجاني ـ يفيق من رقدته، ويستيقظ من غفلته على الحق الصراح، ويهتدي إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فيشكر الله على نعمة الهداية.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يرفع رأسه من السجود لله تعالى ويلتفت إلى الفتح ويقول له: يا فتح كدت أن تَهلَك وتُهلِكَ، وما ضرّ عيسى إذا هلك النصارى، ثم قال له: انصرف إذا شئت رحمك الله.

للأئمة (عليهم السلام) بالرُسُل أسوة

فتح الجرجاني ـ يودّع الإمام الهادي (عليه السلام) ويخرج وهو يقول: فخرجت وأنا فرح بما كشف الله عني من اللبس بأنهم هم، وحمدتُ الله على ما قدرت عليه.

ثم إن الفتح يواصل كلامه ويقول: فلما كان الإمام الهادي (عليه السلام) في المنزل الآخر، دخلت عليه وهو متكئ، وبين يديه حنطة مقلوة يعبث بها، وقد

كان أوقع الشيطان في خلدي: أنه لا ينبغي أن يأكلوا ويشربوا إذ كان ذلك آفة، والإمام غير ذي آفة.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يرفع رأسه ويقبل بوجهه عليه ويقول له: اجلس يا فتح، فإن لنا بالرُسل أُسوة، كانوا يأكلون ويشربون، ويمشون في الأسواق، وكل جسم مغذوّ بهذا، إلا الخالق الرازق، فإنه جَسَّم الأجسام، وهو ليس بجسم ولا صورة، لم يتجزَّأ ولم يتناه، ولم يتزايد ولم يتناقص، مبرّء من كل ما ركّب في ذوات الأجسام ومن كل ما يعرض الأجسام، وهو اللطيف الخبير، السميع البصير، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، مُنشئ الأشياء، ومُجسّم الأجسام، ومُصوّر الصُوَر، ولوكان كما تقول المشبّهة لم يعرف الرب من المربوب، ولا الخالق من المخلوق، ولا الرازق من المرزوق، ولا المنشئ من المنشأ، لكنه فرّق بينه وبين من جَسَّمَه، وشَيّأ الأشياء إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئاً[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٧ ـ ١٨٠ ح٥٦، وتاريخ سامراء: ج٣ ص١٨٥ ـ ١٨٧، عن كشف الغمة، بتصرف.

الواحد الأحد

ويحدثنا كتاب تاريخ سامراء [١]، عن الفتح بن يزيد الجرجاني قائلاً:

قلت للإمام الهادي (عليه السلام) متسائلاً: الله واحد والإنسان واحد، أوليس قد تشابهت الوحدانيّة؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يدعو له بالتثبيت والهداية، ويردّ عليه بكل جزم وحزم ويقول له:

أَحَلْتَ وأخطأت، حيث إنك قِستَ وحدانية الله تعالى بوحدانية الإنسان، إنما التشبيه في المعاني، وأمّا في الأسماء فهي واحدة، وهي دلالة على المسمّى، وذلك لأن الإنسان وإن قيل واحد، فإنه يخبر أنّه جثّة واحدة، وليس باثنين.

والإنسان نفسه ليس بواحد، لأن الإنسان أعضاؤه مختلفة، وألوانه مختلفة، غير واحدة، وهو أجزاء مجزّأة، ليست بسواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق.

فالإنسان واحد في الاسم، لا واحد في المعنى، والله جلّ جلاله واحد لا واحد غيره، ولا اختلاف فيه، ولا تفاوت، ولا زيادة، ولا نقصان، فأمّا

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٨٧.

الإنسان فهو المخلوق المصنوع، المؤلف من أجزاء مختلفة وجواهر شتّى، غير أنه بالاجتماع شيء واحد.

اللطيف في علمه وصُنع مخلوقاته

فتح الجرجاني ـ يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على بيانه وتوضيحه، ثم يقول:

يا ابن رسول الله، فسّر لي قولك: اللطيف، فإنّي أعلم أنّ لطفه خلاف لطف غيره للفصل، غير أنّي أحبّ أن تشرحه لي.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلبيّ طلبه ويجيبه قائلاً:

يا فتح، إنّما قلت: اللطيف، للخلق اللطيف، ولعلمه بالشيء اللطيف، ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف، وفي الخلق اللطيف من أجسام الحيوان: من الجرجس (وهو القرقس: البعوض الصغار) والبعوض وما هو أصغر منهما، ممّا لايكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يُستبان ـ لصغره ـ الذكر من الأنثى، والمولد من القديم، فلمّا رأيناه وصِغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد، والهرب من الموت، والجمع لما يصلحه مما في لجج البحار، وما في لحاء الأشجار، والمفاوز والقفار، وإفهام بعضها عن بعض منطقها، وما تفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة، وبياضاً مع حمرة، علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف، وأنّ كلّ صانعِ شيءٍ فمِن شيءٍ

صنع، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء[١].

إن لله إرادتين ومشيّتين

فتح الجرجاني ـ يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على ما فتح عليه من أبواب المعرفة ويقول متسائلاً: جعلت فداك يا ابن رسول الله، وهل غير الخالق الجليل خالق، فإنا نرى أن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٢]، فقد أخبر أن في عباده الخالقين، منهم عيسى بن مريم (عليه السلام)، خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله، والسامري خلق لهم عجلاً جسداً له خوار؟

ثم إن فتح يواصل كلامه ويقول: إن عيسى خلق من الطين طيراً دليلاً على نبوته، والسامري خلق عجلاً جسداً لنقض نبوّة موسى، وشاء الله أن يكون ذلك كذلك، إن هذا لهو العجب؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يرد عليه قائلاً: ويحك يا فتح! إن لله إرادتين ومشيّتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء،

أوما رأيت أنه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك، ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيّتهما مشيّة الله؟

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٨٨.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٨٨. سورة المؤمنون: ١٤.

وأمر إبراهيم يذبح ابنه إسماعيل، وشاء أن لا يذبحه، ولو شاء الله أن يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشيئة الله تعالى.

الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية

وقال الشيخ الصدوق بعد نقله هذا الحديث: إن الله تعالى نهى آدم وزوجته من أن يأكلا من الشجرة، وقد علم أنهما ياكلان منها، لكنه عزّ وجّل شاء أن لا يحول بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدرة كما منعهما بالنهي والزجر، فهذا معنى مشيّته فيهما، ولو شاء عزّ وجّل منعهما من الأكل بالجبر ثم أكلا منها لكانت مشيتهما قد غلبت مشية الله تعالى ـ كما قال الإمام (عليه السلام) ـ تعالى الله عن العجز علواً كبيراً.

بيان: إن لله تعالى كما قال الإمام الهادي (عليه السلام) إرادتين:

١. إرادة تكوينية، ترتبط بعالم التكوين ومسألة الحياة والموت، وهي التي لا تتخلّف ويتحقق بها المراد حتماً، وقد أشار الله تعالى إلى هذا النوع من الإرادة بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١].

٢. إرادة تشريعية، ترتبط بعالم التشريع ومسألة الأمر والنهي، مثل قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٢]، بعد قوله تعالى:

---

(١) سورة يس: ٨٢.

(٢) سورة البقرة: ١٨٥.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[1]، وحيث إن متعلق هذه الإرادة هو الإنسان، وقد جعل الله الإنسان مختاراً في الامتثال وعدم الامتثال، كانت الإرادة مرتبطة في تحققها وعدم تحققها باختيار الإنسان نفسه، فإذا اختار الصيام في السلامة والحضر، والإفطار في المرض والسفر، تحقق له اليسر المراد، وإلا فلا، فكذلك آدم وحواء أراد الله لهما رغد الجنة معلقاً على اختيارهما ترك الأكل من الشجرة المنهية، فلما اختارا الأكل حرما الرغد المراد.

سميع لا بأذن وبصير لا بعين

فتح الجرجاني - يفصح بالشكر للإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: فَرَّجْتَ عنّي يا ابن رسول الله، فَرَّجَ الله عنك.

ثم يسأل عن معنى السميع والبصير قائلاً: إنّك قلت: السميع البصير، فهل الله سبحانه سميع بأذن، وبصير بالعين؟

الإمام الهادي (عليه السلام) - يجيب على سؤاله ويقول: إنّ الله تعالى يسمع بما يبصر، ويرى بما يسمع، بصير لا بعين مثل عين المخلوقين، ويسمع لا بمثل سمع السامعين، لكن لما لم تخف عليه خافية من أثر الذرة السوداء على

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء، تحت الثرى، وتحت البحار، قلنا: بصير، لا بمثل عين المخلوقين. ويسمع بما لم يشتبه عليه ضروب اللغات، ولم يشغله سمع عن سمع، قلنا: يسمع، لا بمثل السامعين.

العالِم بالأشياء قبل خلقها

فتح الجرجاني ـ يغبط نفسه على ما حصل له من المعرفة، فيلتفت إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول له: جُعلت فداك، قد بقيت مسألة، فهل تأذن لي في أن أطرحها على مسامعك؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يقبل عليه بكل رحابة صدر، وبشاشة وجه، ويقول له: هات بها، لله أبوك.

فتح الجرجاني ـ يقوى على طرح السؤال ويقول بصلابة: هل يعلم القديم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف يكون؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيب على سؤاله بحزم وجزم قائلاً: ويحك إن مسائلك لصعبة، أما سمعت الله يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

وقال: ﴿وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون: ٩١.

وقال يحكي قول أهل النار: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[١].

وقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[٢].

فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان.

فتح الجرجاني ـ وهو يطير فرحاً وسروراً ولا يتمالك نفسه من شدة الفرح بما أنعم الله عليه من المعرفة، يقول: فقمتُ لأقبّل يدي الإمام الهادي (عليه السلام) ورجله، فأدنى إليّ رأسه، فقبلت وجهه ورأسه، وخرجت وبي من السرور والفرح ما أعجز عن وصفه[٣].

خلق الله الأشياء بديعاً

ويحدثنا كتاب الاحتجاج للطبرسي قائلاً: سُئل أبو الحسن الهادي (عليه السلام) عن التوحيد، فقيل له:

لم يزل الله وحده لا شيء معه، ثم خلق الأشياء بديعاً، واختار لنفسه الأسماء، ولم تزل الأسماء والحروف له معه قديمة؟

فكتب (عليه السلام): لم يزل الله تعالى موجوداً ثم كوّن ما أراد، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه، تاهت أوهام المتوهّمين، وقصر طرف الطارفين،

---

(١) سورة فاطر: ٣٧.

(٢) سورة الأنعام: ٢٨.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٨٧ ـ ١٨٩، بتصرف.

وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلّت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه، أو الوقوع بالبلوغ على علوّ مكانه، فهو بالموضع الذي لا يتناها، وبالمكان الذي لم تقع عليه فيه عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات هيهات[١].

هادي من في السماء والأرض

ويحدثنا كتاب الاحتجاج أيضاً، عن العباس بن هلال، أنه قال:

سألت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن معنى قول الله عز وجلّ: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٢]، لأكون على بصيرة من المعنى المراد لله تعالى من هذه الآية الكريمة، وأصبح على معرفة من المقصود بها؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيب على سؤال ابن هلال، ويكشف عنه ما كان مبهماً له من معنى الآية، ويقول موضحاً للمعنى المراد منها والهدف المقصود بها: أي «هادي من في السماوات وهادي من في الأرض».

ابن هلال ـ يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على تبيينه وتوضيحه، ويحمد الله على نعمة الإمامة والولاية التي مَنّ بها عليه للوقوف على معاني كتابه العزيز، وما أراده الله سبحانه من خطابه البليغ[٣].

---

(١) الاحتجاج: ج٢ ص٤٨٥ و٤٨٦، بتصرف.

(٢) سورة النور: ٣٥.

(٣) الاحتجاج: ج٢ ص٤٨٧، بتصرف.

لا جبر ولا تفويض

روي العلامة المجلسي في بحاره[١]، عن "تحف العقول"، رسالةً عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) إلى أهل الأهواز جواباً على رسالة لهم في القضاء والقدر، ونصّها كما يلي:

إلى أهل الأهواز

«من علي بن محمد: سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته.

فإنه ورد عليّ كتابكم، وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم، وخوضكم في القدر، ومقالة من يقول منكم بالجبر، ومن يقول بالتفويض، وتفرّقكم في ذلك وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم، وفهمت ذلك كله.

اعلموا رحمكم الله؛ أنّا نظرنا في الآثار، وكثرة ما جاءت به الأخبار، فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله عزّ وجلّ لا تخلو من معنيين:

---

(١) بحار الأنوار: ج٥ ص٦٨ ـ ٨١ ح١ بتصرف.

إما حق فيتّبع.

وإما باطل فيجتنب.

وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك: أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفِرَق، وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون مهتدون، وذلك لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

فأخبر: أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً، والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة، حين (حيث) اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة.

أخبار يصدّقها القرآن

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه ويقول: فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب، وتصديقه منه، والتماس شهادته عليه؛ خبر ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه، بحيث لا تخالفه أقاويلهم حيث قال: «إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلّوا ما تمسكتم بهما، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». فلما وجدنا شواهد

هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

وروت العامة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين (عليه السلام) أنه تصدّق بخاتمه وهو راكع، فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه.

فوجدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أبانه من أصحابه بقوله: «من كنتُ مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وبقوله: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

ووجدناه يقول: «علي يقضي دَيني، ويُنجز موعدي، وهو خليفتي عليكم من بعدي».

فالخبر الأول الذي استنبط منه هذه الأخبار، خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضا موافق للكتاب، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر، وهذه الشواهد الأخر لزم على الأمة الاقرار بها ضرورةً، إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة، و وافقت القرآن، والقرآن وافقها.

---

(١) سورة المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

حقائق الأخبار

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) الكلام في الرسالة ويقول: ثم وردت حقائق الأخبار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عن الصادقين (عليهم السلام)، نقلها قوم ثقات معروفون، فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة، لا يتعدّاه إلا أهل العناد، وذلك أن أقاويل آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) متصلة بقول الله، وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾[1].

ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه».

وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله): «من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله».

ومثل قوله (صلى الله عليه وآله) في بني وليعة: «لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي، يحبّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. قم يا علي فسر إليهم».

وقوله (صلى الله عليه وآله) يوم خيبر: «لأبعثنَّ إليهم غداً رجلاً يحب اللهَ ورسولَه، ويحبُه اللهُ ورسولُه، كراراً غيرَ فرار، لا يرجع حتى يفتح الله عليه».

فقضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالفتح قبل التوجيه، فاستشرف لكلامه

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٧.

أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما كان من الغد دعا علياً (عليه السلام) فبعثه إليهم، فاصطفاه بهذه الصفة وسمّاه كراراً غير فرار، فسمّاه الله محباً لله ولرسوله، فأخبر أن الله ورسوله يحبّانه.

المنزلة بين المنزلتين

ثم يقول (عليه السلام): وإنما قدّمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أوردنا، وقوةً لما نحن مبيّنوه من أمر الجبر والتفويض، والمنزلة بين المنزلتين، وبالله العون والقوة، وعليه نتوكّل في جميع أمورنا.

جوامع الفضل

يسترسل الإمام الهادي (عليه السلام) في كتابة الرسالة ويقول: فإنا نبدأ من ذلك بقول الصادق (عليه السلام): «لا جبر ولا تفويض، ولكن منزلة بين المنزلتين».

وهي: صحة الخلقة.

وتخلية السرب.

والمهلة في الوقت.

والزاد مثل الراحلة.

والسبب المهيج للفاعل على فعله.

فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق (عليه السلام) جوامع الفضل، فإذا نقصَ

العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق (عليه السلام) بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته، ونطق الكتاب بتصديقه، فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) لا يعدو شيء من قوله وأقاويلهم حدود القرآن.

فإذا وردت حقائق الأخبار، والتُمست شواهدها من التنزيل، فوُجد لها موافقاً، وعليها دليلاً، كان الاقتداء بها فرضاً، لا يتعدّاه إلّا أهل العناد، كما ذكرنا في أول الكتاب.

ولمّا التمسنا تحقيق ما قاله الصادق (عليه السلام) من المنزلة بين المنزلتين، وإنكاره الجبر والتفويض، وجدنا الكتاب قد شهد له وصدّق مقالته في هذا، وخبّر عنه أيضاً موافقاً لهذا، أن الصادق (عليه السلام) سُئل: هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال الصادق (عليه السلام): هو أعدل من ذلك، فقيل له: فهل فوّض إليهم؟ فقال (عليه السلام): هو أعز وأقهر لهم من ذلك.

الناس في القدر على أوجه ثلاثة

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه ويقول: وروي عنه (عليه السلام) أنه قال:

الناس في القدر على ثلاثة أوجه:

رجل يزعم أن الأمر مفوّض إليه، فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك.

ورجل يزعم أن الله عزّ وجلّ أجبر العباد على المعاصي، وكلّفهم ما لا يطيقون، فقد ظلم الله[١] في حكمه، فهو هالك.

ورجل يزعم أن الله كلّف العباد ما يطيقون، ولم يكلفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله، فهذا مسلم بالغ.

فأخبر (عليه السلام) أن من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق.

ثم قال (عليه السلام): فقد شرحتُ الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ، وأن الذي يتقلّد التفويض يلزمه الباطل، فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما.

أمثال وشواهد

ثم قال (عليه السلام): وأضرِبُ لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرّب المعنى للطالب، ويسهّل له البحث عن شرحه، تشهد به محكمات آيات الكتاب، وتحقّق تصديقه عند ذوي الألباب، وبالله التوفيق والعصمة.

---

(١) أي: نسبه إلى الظلم.

لا جبر

يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) حديثه ويقول:

فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ، فهو قول من زعم أن الله عز وجل أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلّم الله في حكمه، وكذّبه، وردّ عليه قوله: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[١].

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢].

وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣].

مع آيٍ كثيرة في ذكر هذا، فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله، وقد ظلّمه في عقوبته، ومن ظلّم الله فقد كذّب كتابه، ومن كذّب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأمّة.

---

(١) سورة الكهف: ٤٩.

(٢) سورة الحج: ١٠.

(٣) سورة يونس: ٤٤.

تمثيل وتشبيه

ثم قال (عليه السلام): ومَثَلُ ذلك مَثَلُ رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه، ولا يملك عَرضاً من عروض الدنيا، ويعلم مولاه ذلك منه، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملّكه ثمن ما يأتيه به من حاجته، وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة، وإظهار الحكمة، ونفي الجور، وأوعد عبده إن لم يأته بحاجته أن يعاقبه، على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه، وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملّكه ذلك.

فلما صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلا بشراء، وليس يملك العبد ثمنها، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته، فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه.

أليس يجب في عدله وحكمته أن لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا، ولم يملّكه ثمن حاجته؟

فإن عاقبه، عاقبه ظالماً متعدياً عليه، مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته.

وإن لم يعاقبه، كذّب نفسه في وعيده إياه حين أوعده بالكذب والظلم

اللذَين ينفيان العدل والحكمة، تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

الاستنتاج

إذن: فمن دان بالجبر أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلّم الله، ونسبه إلى الجور والعدوان، إذ أوجب على من أُجبر: العقوبة.

ومن زعم أن الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله: إن الله يدفع عنهم العقوبة، ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذّب الله في وعيده:

حيث يقول: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[2].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[3].

مع آيٍ كثيرة في هذا الفن، فمن كذّب وعيد الله يلزمه في تكذيبه آية من

---

(١) سورة البقرة: ٨١.

(٢) سورة النساء: ١٠.

(٣) سورة النساء: ٥٦.

كتاب الله: الكفر، وهو ممن قال الله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١).

القول الصائب

ثم قال (عليه السلام): بل نقول: إن الله عز وجل يجازي العباد على أعمالهم، ويعاقبهم على أفعالهم، بالاستطاعة التي ملّكهم إياها فأمرهم ونهاهم، وبذلك نطق كتابه: ﴿مَنْ جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾(٢).

وقال جلّ ذكره: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾(٣).

وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾(٤).

فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به، ومثلها في القرآن كثير، اختصرنا ذلك لئلا يطول الكتاب، وبالله التوفيق.

---

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٣) سورة آل عمران: ٣٠.

(٤) سورة غافر: ١٧.

ولا تفويض

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه ويقول:

فأما التفويض الذي أبطله الصادق (عليه السلام) وخطّأ من دان به وتقلّده، فهو قول القائل: إن الله جلّ ذكره فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه، وأهملهم، وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته، وإلى هذا ذهبت الأئمة المهتدية من عترة الرسول (عليه وعليهم السلام)، فإنهم قالوا: لو فوّض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضى ما اختاروه، واستوجبوا به الثواب، ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الإهمال واقعاً، وتنصرف هذه المقالة على معنيين:

إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة، كره ذلك أم أحب، فقد لزمه الوهن.

أو يكون جلّ وعزّ، عجز عن تعبّدهم بالأمر والنهي على إرادته، كرهوا أو أحبوا، ففوّض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبتهم، إذ عجز عن تعبّدهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان!.

تنظير وتمثيل

ثم ضرب (عليه السلام) مثلاً لذلك وقال: ومَثَلُ ذلك مَثَلُ رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه، ويعرف له فضل ولايته، ويقف عند أمره ونهيه، وادّعى مالك العبد أنه قاهر عزيز حكيم، فأمر عبده ونهاه، ووعده على اتباع أمره عظيم الثواب، وأوعده على معصيته أليم العقاب.

فخالف العبد إرادة مالكه، ولم يقف عند أمره ونهيه، فأيّ أمر أمره به، أو أيّ نهي نهاه عنه، لم يأته على إرادة المولى، بل كان العبد يتّبع إرادة نفسه، واتّباع هواه، ولا يطيق المولى أن يردّه إلى اتّباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته، ففوّض اختيار أمره ونهيه إليه، ورضي منه بكل ما فعله على إرادة العبد، لا على إرادة المالك، وبعثه في بعض حوائجه وسمّى له الحاجة، فخالف على مولاه، وقصد لإرادة نفسه، واتّبع هواه، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به، فإذا هو خلاف ما أمره به، فقال له: لِم أتيتني بخلاف ما أمرتك؟

فقال العبد: اتكلت على تفويضك الأمر إليّ، فاتّبعت هواي وإرادتي، لأن المفوّض إليه غير محظور عليه.

استخلاص

وعليه: فاستحال التفويض، أوليس يجب على هذا السبب ما يلي:

١: إما أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد، ويملّكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه، فإذا أمره بأمرٍ ونهاه عن نهي عرّفه الثواب والعقاب عليهما، وحذّره ورغّبه بصفة ثوابه وعقابه، ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملّكه من الطاقة لأمره ونهيه، وترغيبه وترهيبه، فيكون عدله وإنصافه شاملاً له، وحجّته واضحة عليه، للإعذار والإنذار. فإذا اتّبع العبد أمر مولاه جازاه، وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه؟

٢: أو يكون عاجزاً غير قادر، ففوّض أمره إليه، أحسن أم أساء، أطاع أم عصى، عاجز عن عقوبته و ردّه إلى اتّباع أمره، وفي إثبات العجز: نفي القدرة والتألّه، وإبطال الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ومخالفة الكتاب.

إذ يقول: ﴿وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[١].

وقوله عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٢].

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا

---

(١) سورة الزمر: ٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٢.

أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[١].

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾[٢].

وقوله: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٣].

نتيجة القول بالتفويض

فمن زعم أن الله تعالى فوّض أمره ونهيه إلى عباده، فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كلّ ما عملوا من خير وشر، وأبطل أمر الله ونهيه، ووعده ووعيده، لعلّة ما زعم أن الله فوّضها إليهم، لأن المفوّض إليه يعمل بمشيته، فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محظور، فمن دان بالتفويض على هذا المعنى، فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده، وأمره ونهيه، وهو من أهل هذه الآية ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٤].

تعالى الله عما يدين به أهل التفويض عُلواً كبيراً.

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) سورة النساء: ٣٦.

(٣) سورة الأنفال: ٢٠.

(٤) سورة البقرة: ٨٥.

القول الصحيح والصائب

ثم قال (عليه السلام): لكن نقول: إن الله عز وجل خلق الخلق بقدرته، وملّكهم استطاعة تعبّدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد، فقبل منهم اتّباع أمره، ورضي بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته، وذمّ من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به، وينهى عما يكره ويعاقب عليه، بالاستطاعة التي ملّكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه، لأنه ظاهر العدل والنصفة، والحكمة البالغة، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار.

الله يصطفي من يشاء

وإليه الصفوة، يصطفي من يشاء من عباده لتبليغ رسالته، واحتجاجه على عباده، اصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله) وبعثه برسالاته إلى خلقه، فقال من قال من كفّار قومه حسداً واستكباراً: ﴿لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1].

يعنى بذلك: أُمية ابن أبي الصلت، وأبا مسعود الثقفي.

فأبطل الله اختيارهم، ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2].

(١) سورة الزخرف: ٣١.

(٢) سورة الزخرف: ٣٣.

يختار الله ما يحب

ولذلك اختار من الأمور ما أحبّ، ونهى عمّا كره، فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه، ولو فوّض من اختيار أمره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أُمية ابن أبي الصلت، وأبي مسعود الثقفي، إذ كانا عندهم أفضل من محمد (صلى الله عليه وآله).

فلما أدبّ الله المؤمنين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1].

فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم، ولم يقبل منهم إلا اتّباع أمره، واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه.

فمن أطاعه رشد، ومن عصاه ضَلّ وغَوَى، ولزمته الحجة بما ملّكه من الاستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيه، فمن أجل ذلك حرمه ثوابه، وأنزل به عقابه، وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض.

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

مع عباية بن ربعي

يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه ويقول: وبذلك أخبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عباية بن ربعي الأسدي، حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل؟

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): سألت عن الاستطاعة، تملكها من دون الله أو مع الله؟

فسكت عباية، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): قل يا عباية.

قال: وما أقول؟

قال (عليه السلام): إن قلتَ إنك تملكها مع الله قتلتك، وإن قلت: تملكها دون الله قتلتك (أي: تكفر بقولك ذلك وترتد عن دينك، فتستحق القتل).

قال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين؟

قال (عليه السلام): تقول: إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يملّكها إياك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملّكك، والقادر على ما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون: لا حول ولا قوّة إلا بالله؟

قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟

قال (عليه السلام): لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوّة لنا على

طاعة الله إلا بعون الله.

قال: فوثب عباية فقبّل يديه (عليه السلام) ورجليه.

مع الصحابي: نجدة

يستمر الإمام الهادي (عليه السلام) في حديثه ويقول: وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله قائلاً: يا أمير المؤمنين بماذا عرفتَ ربَّك؟

قال (عليه السلام): بالتمييز الذي خوّلني، والعقل الذي دلّني.

قال نجدة: أفمجبول أنت عليه؟

قال (عليه السلام): لو كنتُ مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان، ولا مذموماً على إساءة، وكان المحسن أولى باللّائمة من المسيء، فعلمت أن الله قائم باقٍ، وما دونه حدث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل.

قال نجدة: أجدك أصبحتَ حكيماً يا أمير المؤمنين.

قال (عليه السلام): أصبحت مخيّراً، فإن أتيت السيئة بمكان الحسنة فأنا المعاقب عليها.

عند الانصراف من الشام

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه ويقول في رسالته الكريمة إلى أهل الأهواز:

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام أبقضاء وقدر؟

قال (عليه السلام): نعم يا شيخ، ما علوتم تلعةً، ولا هبطتم وادياً، إلا بقضاء وقدر من الله.

فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين.

فقال (عليه السلام): مَه يا شيخ، فإن الله قد عظّم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من أموركم مُكرَهين، ولا إليه مُضطرّين، لعلّك ظننت أنه قضاء حتم، وقدر لازم، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، ولسقط الوعد والوعيد، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق، ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشياطين، إن الله عزّ وجلّ أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، ولم يُطَعْ مُكرَهاً، ولم يُعصَ مغلوباً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[1].

---

(١) سورة ص: ٢٧.

فقام الشيخ فقبّل رأس أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنشأ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعتـــــه

يوم النجاة من الرحمن غفرانـــا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً

جزاك ربك عنا فيه رضوانـــــا

فليس معذرة في فعل فاحشـــــة

عندي لراكبها ظلماً وعصيانـــا

الاختبار بالاستطاعة

ثم يستمر الإمام الهادي (عليه السلام) في حديثه ويقول: فقد دل قول أمير المؤمنين (عليه السلام) على موافقة الكتاب، ونفي الجبر والتفويض، اللذَين يلزمان من دان بهما وتقلّدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب، ونعوذ بالله من الضلالة والكفر، ولسنا نُدين بجبر ولا تفويض، لكنا نقول بمنزلة بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملّكنا الله وتعبّدنا بها على ما شهد به الكتاب، ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول (صلوات الله عليه وعليهم).

تمثيل وتبيين

ثم إن الإمام الهادي (عليه السلام) يأتي بمثل لتقريب معنى الاختبار بالاستطاعة، ويقول:

ومَثَل الاختبار بالاستطاعة، مَثَل رجل ملك عبداً، وملك مالاً كثيراً، أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه، فملّكه من ماله بعض ما أحبّ، ووقفه على أمور عرّفها العبد، فأمره أن يصرف ذلك المال فيها، ونهاه عن أسباب لم يحبّها، وتقدم إليه أن يجتنبها، ولا ينفق من ماله فيها.

وأسكنه دار اختبار أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار، وأن له داراً غيرها، وهو مخرجه إليها، فيها ثواب وعقاب دائمان:

فإن أنفذ العبد المال الذي ملّكه مولاه في الوجه الذي أمره به، جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها.

وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه، جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود. وقد حدّ المولى في ذلك حداً معروفاً، وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى، فإذا بلغ الحدّ استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنه لم يزل مالكاً للمال والعبد في الأوقات كلها، إلا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلى أن يستتمّ سكناه فيها، فوفى له، لأن من صفات المولى العدل والوفاء، والنصفة والحكمة.

نتيجة التمثيل

ثم قال (عليه السلام): أوليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به، أن يفي له بما وعده من الثواب، وتفضّل عليه بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة؟

وإن صرف العبد المال الذي ملّكه مولاه أيام سكناه تلك الدار الأولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه، كذلك يجب عليه العقوبة الدائمة التي حذّره إياها، غير ظالم له لما تقدّم إليه، وأعلمه وعرّفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده، بذلك يوصف القادر القاهر؟

مفردات التمثيل

ثم يشرح الإمام (عليه السلام) معاني مفردات التمثيل بقوله:

وأما المولى: فهو الله جل وعز.

وأما العبد: فهو ابن آدم المخلوق.

والمال: قدرة الله الواسعة.

ومحنته: إظهار الحكمة والقدرة.

وبعض المال الذي ملّكه مولاه: هو الاستطاعة التي ملّك ابن آدم.

والأمور التي أمر الله بصرف المال إليها: هو الاستطاعة لاتّباع الأنبياء

والإقرار بما أوردوه عن الله جلّ وعز.

واجتناب الأسباب التي نهى عنها: هي طرق إبليس.

وأما وعده: فالنعيم الدائم وهي الجنة.

وأما وعيده: فعذاب الجحيم.

وأما الدار الفانية: فهي الدنيا.

وأما الدار: فهي الدار الباقية وهي الآخرة.

والقول بين الجبر والتفويض: هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملّك العبد.

وشرحها: في خمسة الأمثال التي ذكرها الإمام الصادق (عليه السلام) وقال: بأنها جمعت جوامع الفضل، وأنا مفسّرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله تعالى.

جوامع الفضل الخمسة

الأول: صحة الخلقة

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) حديثه في بيان الأمثال الخمسة وجوامع الفضل التي ذكرها الإمام الصادق (عليه السلام) واحداً بعد آخر، ويقول:

أما قول الإمام الصادق (عليه السلام): «صحة الخلقة» فإن معناه: كمال الخلق للإنسان بكمال الحواس، وثبات العقل والتمييز، وإطلاق اللسان بالنطق.

وذلك قول الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

فقد أخبر عز وجل عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه، من البهائم والسباع، ودوابّ البحر والطير، وكل ذي حركة تدركه حواس بني آدم بتمييز العقل والنطق.

وذلك قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[3]، وفي آيات كثيرة.

---

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

(٢) سورة التين: ٤.

(٣) سورة الانفطار: ٦ ـ ٨.

أول نِعَم الله على الإنسان

فأول نعمة الله على الإنسان: صحة عقله، و تفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل، وتمييز البيان، وذلك أن كل ذي حركة على بسيط الأرض هو قائم بنفسه بحواسه، مستكمل في ذاته.

ففضّل بني آدم بالنطق، الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواس. فمن أجل النطق ملّك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار آمراً ناهياً، وغيره مسخّر له، كما قال الله: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾[1].

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[2].

وقال: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَ بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾[3].

فمن أجل ذلك دعا الله الانسان إلى اتّباع أمره وإلى طاعته، بتفضيله إياه باستواء الخلق، وكمال المنطق والمعرفة، بعد أن ملّكهم استطاعة ما كان تعبدهم

---

(١) سورة الحج: ٣٧.

(٢) سورة النحل: ١٤.

(٣) سورة النحل: ٥ ـ ٧.

به بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[١].

وقوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَ وُسْعَهَا﴾[٢].

وقوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَ مَا آتَاهَا﴾[٣]، وفي آيات كثيرة.

فإذا سلب العبد حاسة من حواسه رفع العمل عنه بحاسته، كقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ الآية[٤].

فقد رفع عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد، وجميع الأعمال التي لا يقوم إلا بها.

وكذلك أوجب على ذي اليسار الحج والزكاة، لما ملّكه من استطاعة ذلك، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[٥].

وقوله في الظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾[٦].

كل ذلك دليل على أن الله تبارك وتعالى، لم يكلف عباده إلاّ ما ملّكهم

---

(١) سورة التغابن: ١٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) سورة الطلاق: ٧.

(٤) سورة النور: ٦١.

(٥) سورة آل عمران: ٩٧.

(٦) سورة المجادلة: ٣ ـ ٤.

استطاعته بقوة العمل به، ونهاهم عن مثل ذلك، فهذه صحة الخلقة.

الثاني: تخلية السرب

ثم يستمر الإمام الهادي (عليه السلام) في شرح جوامع الفضل من الأمثال الخمسة ويأتي إلى الجامع الثاني منها، ويقول في بيانه له:

أما قوله: «تخلية السرب» فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه، ويمنعه العمل بما أمره الله به، وذلك قوله في من استضعف وحظر عليه العمل، فلم يجد حيلة، ولم يهتد سبيلاً، كما قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾[1].

فأخبر أن المستضعف لم يخل سربه، وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئن القلب بالإيمان.

الثالث: المهلة في الوقت

يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) الكلام في بيان الأمثال الخمسة وجوامع الفضل، ويتعرض للجامع الثالث ويقول في شرحه له:

وأما «المهلة في الوقت» فهو: العمر الذي يمتّع به الإنسان من حدّ ما يجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه

(١) سورة النساء: ٩٨.

أجله، فمن مات على طلب الحق ولم يدرك كماله فهو على خير، وذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1].

وإن كان لم يعمل بكمال شرائعه لعلّة ما لم يمهله في الوقت إلى استتمام أمره، وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَ لاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾[2]، فلم يجعل عليهن حرجاً في إبداء الزينة للطفل، وكذلك لا تجري عليه الأحكام.

الرابع: الزاد و الراحلة

يسترسل الإمام الهادي (عليه السلام) في حديثه عن جوامع الفضل من الأمثال الخمسة، ويذكر الجامع الرابع، ويقول في توضيحه له:

وأما قوله: «الزاد» فمعناه: الجدة والبُلغة، التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به، وذلك قوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ

(١) سورة النساء: ١٠٠.

(٢) سورة النور: ٣١.

رَحِيمٌ﴾[١].

ألا ترى أنه قَبِل عذر من لم يجد ما ينفق، وألزم الحجة كلّ من أمكنته البُلغة، والراحلة للحج والجهاد وأشباه ذلك، كذلك قَبِل عذر الفقراء وأوجب لهم حقاً في مال الأغنياء بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لاَيَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لاَيَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾[٢]، فأمر بإعفائهم، ولم يكلّفهم الإعداد لما لايستطيعون ولا يملكون.

الخامس: السبب المهيّج للفاعل على فعله

يستمر الإمام الهادي (عليه السلام) في كلامه حول الأمثال الخمسة من جوامع الفضل، ويقول في بيان الجامع الخامس والأخير ما يلي:

وأما قوله في: «السبب المهيّج» فهو: النية التي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال، وحاستها: القلب، فمن فعل فعلاً وكان يدين به ولم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلا بصدق النية، ولذلك أخبر عن المنافقين بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[٣].

ثم أنزل على نبيه (صلى الله عليه وآله) توبيخاً للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ

---

(١) سورة التوبة: ٩١.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٧.

﴿تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[١].

فإذا قال الرجل قولاً واعتقد في قوله، دعته النية إلى تصديق القول بإظهار الفعل، وإذا لم يعتقد القول لم يتبين حقيقته، وقد أجاز الله صدق النية وإن كان الفعل غير موافق لها لعلّة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله: ﴿إِلاَ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[٢].

وقوله: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَ لٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٣].

فدّل القرآن وأخبار الرسول (صلى الله عليه وآله) على أن القلب مالك لجميع الحواس، يصحح أفعالها، ولا يبطل ما يصحح القلب شيء.

خلاصة القول

ثم قال (عليه السلام): فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال التي ذكرها الإمام الصادق (عليه السلام) أنها تجمع المنزلة بين المنزلتين، وهما: الجبر والتفويض، فإذا اجتمع في الإنسان كمال هذه الخمسة الأمثال، وجب عليه العمل كملاً، لما أمر الله عزوجل به ورسوله، وإذا نقص العبد منها خلّة، كان العمل عنه مطروحاً بحسب ذلك.

---

(١) سورة الصف: ٢ ـ ٣.

(٢) سورة النحل: ١٠٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٥.

شواهد القرآن على الاختيار

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) حديثه مستدلاً بآيات القرآن الكريم، على اختيار الانسان للاختبار والامتحان، ويقول ما نصه:

فأما شواهد القرآن على الاختيار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[١].

وقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

وقال: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾[٣].

معنى الفتنة في الآيات الشريفة

وأضاف (عليه السلام) قائلاً: وقال سبحانه في الفتن التي معناها الاختبار: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾[٤].

---

(١) سورة محمد: ٣١.

(٢) سورة القلم: ٤٤.

(٣) سورة العنكبوت: ١ ـ ٢.

(٤) سورة ص: ٣٤.

وقال في قصة قوم موسى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[١].

وقول موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾[٢]، أي: اختبارك.

فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض، ويشهد بعضها لبعض.

آيات البلوى ومعناها

ثم قال (عليه السلام): وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار فهي قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[٣].

وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[٤].

وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾[٥].

وقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٦].

وقوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[٧].

---

(١) سورة طه: ٨٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٣) سورة المائدة: ٤٨.

(٤) سورة آل عمران: ١٥٢.

(٥) سورة القلم: ١٧.

(٦) سورة الملك: ٢.

(٧) سورة البقرة: ١٢٤.

وقوله: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾(١).

وكل ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار، وأمثالها في القرآن كثيرة، فهي إثبات الاختبار والبلوى أن الله جل وعز لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سُدًى، ولا أظهر حكمته لعباً، بذلك أخبر في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾(٢).

شبهات وردود

ثم قال (عليه السلام) فإن قال قائل: أفلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم؟

قلنا: بلى، قد علم ما يكون منهم قبل كونه، وذلك قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾(٣).

وإنما اختبرهم ليُلعمهم عدله، ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل، وقد أخبر بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً﴾(٤).

---

(١) سورة محمد: ٤.

(٢) سورة المؤمنون: ١١٥.

(٣) سورة الأنعام: ٢٨.

(٤) سورة طه: ١٣٤.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[١].

وقوله: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[٢].

فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملّكها عبده، وهو القول بين الجبر والتفويض، بهذا نطق القرآن، وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول (عليهم صلوات الله).

سؤال وجواب

فإن قالوا: ما الحجة في قول الله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[٣]، وما أشبهها؟

قيل: مجاز هذه الآيات كلها على معنين:

أما أحدهما: فإخبار عن قدرته، أي: إنه قادر على هداية من يشاء، وضلال من يشاء، وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب، على نحو ما شرحنا في الكتاب.

والمعنى الآخر: أن الهداية منه تعريفه، كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[٤]، أي عرفناهم ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٥].

---

(١) سورة الإسراء: ١٥.

(٢) سورة النساء: ١٦٥.

(٣) سورة النحل: ٦٣.

(٤) سورة فصلت: ١٧.

(٥) سورة فصلت: ١٧.

فلو أجبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلوا، وليس كلما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها، من ذلك قوله: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[1].

وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[2]، أي أحكمه وأشرحه، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[3].

ختام الرسالة

ثم يختتم الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه التفصيلي كله، ويُنهي رسالته الكريمة كلها، بالدعاء والثناء، والتحية والسلام، ويقول ما يلي:

«وفقنا الله وإياكم من القول والعمل لما يحب ويرضى، وجنّبنا وإياكم معاصيه، بمنّه وفضله، والحمد لله كثيراً كما هو أهله، وصلى الله على محمد وآله الطيبين، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[4].

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٣) سورة الزمر: ١٨.

(٤) بحار الأنوار: ج٥ ص٦٨ ـ ٨١، عن تحف العقول، بتصرف.

مع أنبياء بني إسرائيل

جاء في تفسير علي بن إبراهيم، مسنداً عن موسى بن محمد بن علي بن موسى، أنه سأل من الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) مسائل كان منها:

أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾[1]، هل سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب قائلاً: «أما سجود يعقوب وولده ليوسف، فإنه لم يكن ليوسف وإنما كان ذلك طاعةً منهم لله تعالى وتحيةً ليوسف، كما كان السجود من الملائكة لآدم، ولم يكن لآدم، إنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية لآدم.

فسجد يعقوب (عليه السلام) وولده وسجد يوسف (عليه السلام) معهم شكراً لله تعالى لاجتماع شملهم، ألم تر أنه يقول في شكره ذلك القول:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[2].

فنزل جبرائيل وقال ليوسف: يا يوسف أخرج يدك، فأخرجها فخرج من

---

(١) سورة يوسف: ١٠٠.

(٢) سورة يوسف: ١٠١.

بين أصابعه نور.

يوسف (عليه السلام) يلتفت إلى جبرائيل متسائلاً: ما هذا النور الذي خرج من يدي يا جبرائيل؟

جبرائيل يجيبه بقوله: هذه النبوة أخرجها الله من صلبك لأنك لم تقم لأبيك.

الإمام الهادي (عليه السلام) يواصل كلامه ويقول: فحطّ الله نوره، ومحى النبوة من صلبه، وجعلها في ولد لاوي: أخي يوسف، وذلك لأنهم لما أرادوا قتل يوسف قال: ﴿لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾[1]، فشكر الله له ذلك.

ولما أرادوا أن يرجعوا إلى أبيهم من مصر وقد حبس يوسف أخاه، قال: ﴿لَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[2].

فشكر الله له ذلك، فكان أنبياء بني إسرائيل من ولد لاوي، وكان موسى من ولد لاوي، وهو: موسى بن عمران بن يهصر بن واهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم...»[3].

---

(١) سورة يوسف: ١٠.

(٢) سورة يوسف: ٨٠.

(٣) تفسير القمي: ج١ ص٣٥٦، بتصرف.

وما تشاؤون إلا أن يشاء الله

يحدثنا بصائر الدرجات[١] مسنداً عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أنه قال: إن الله جعل قلوب الأئمة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاؤوه، وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاّ أَنْ يَشَاء اللهُ﴾[٢].

مسائل عوصاء

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره[٣] عن المتوكل العباسي، أنه قال لابن السكيت يوماً: سل ابن الرضا ـ يعني: الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليهم السلام) ـ مسألة عوصاء عند حضوره، بحضرتي.

تعرفة بابن السكيت

وابن السكيت هذا هو: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي، الإمامي الجعفري، الأديب اللغوي، كان ثقةً جليلاً، من العظماء النبلاء، وكان حامل لواء الأدب والشعر، والميزان والمنطق، وله تصانيف مفيدة

---

(١) بصائر الدرجات: ص٥١٧، بتصرف.

(٢) سورة الإنسان: ٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٦٤، بتصرف.

منها: تهذيب الألفاظ وإصلاح المنطق، الذي قال فيه ابن خلّكان: قال بعض العلماء عنه: ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة بمثل إصلاح المنطق، وقال ابو العباس المبرّد، ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب ابن السكيت في المنطق.

نعم هذا العالم الجليل ابن السكيت كان قد ألزمه المتوكل تأديب ولديه: المعتز بالله والمؤيد بالله، فقال له يوماً: أيما أحب إليك، ابناي هذان (يعني: المعتز والمؤيد) أم الحسن والحسين؟

فقال ابن السكيت كلمة الحق أمام طاغوت العباسيين وجبارهم، قال له وبكل صراحة وصلابة: والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب (عليه السلام) خير منك ومن ابنيك.

وهنا ثارت ثائرة المتوكل، وجنّ جنونه، وراح يصرخ ويعربد، ويدمدم ويقول: أيها الأتراك الشداد (وكانوا حرسه وفدائيه) أين أنتم؟ احضروا وسلوا لسان ابن السكيت من قفاه.

الأتراك الغلاظ يهرعون إلى ابن السكيت ويوثقونه بالحبال والأغلال، ثم يستلون لسانه من قفاه ويقضون على حياته الكريمة.

وهكذا نال ابن السكيت الشهادة في سبيل الله لقول الحق والدفاع عن الفضيلة.

وبهذا الفتك القاسي والإرهابي أثبت المتوكل العباسي جريمة كبيرة أخرى

إلى جرائمه الكثيرة الكبرى، وهل هناك جريمة أكبر من جريمة قتل العلماء، وهتك حرمتهم، والاعتداء على كرامتهم وقداستهم؟ مع أن العلماء محترمون على كل حال، وفي كل زمان ومكان، ودين ومبدأ، ولغة ومنطق، إلا لغة المستبدين، ومنطق الديكتاتوريين.

استئذان

عود على بدء

نرجع إلى المسائل العوصاء التي طلب المتوكل من ابن السكيت ليسألها عن الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام عند حضوره عنده، فإنه بعد أن استقر المقام بالإمام (عليه السلام) التفت إليه ابن السكيت يستأذنه في السؤال، ويقول: يابن رسول الله أتأذن لي بالسؤال؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يُقدم عليه بكل طلاقة وجه، ورحابة صدر، ويقول: نعم، تفضل يا ابن السكيت.

ابن السكيت ـ يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على إذنه له ويقول: لماذا ـ يابن رسول الله ـ بعث الله موسى بالعصا؟

ولماذا بعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى؟

ولماذا بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) بالقرآن والسيف؟

إذن وجواب

معاجز الأنبياء وفنون العصر

وهنا بعد الإذن وطرح السؤال، يبدأ الإمام الهادي (عليه السلام) بالجواب ويقول بكل متانة ورزانة: بعث الله موسى (على نبينا وآله وعليه السلام) بالعصا واليد البيضاء في زمان كان الغالب على أهله السحر ـ بحيث كان الكثير منهم خبيراً في هذا الفن، ويقدر على التمييز بينه وبين غير السحر ـ فأتاهم موسى من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم، وأثبت الحجة عليهم».

أي: إنهم حيث كانوا خبراء في هذا المجال، عرفوا في أنفسهم أن ما جاء به موسى ليس هو من نوع السحر، وإنما هو معجز وخارق للعادة، فثبت لديهم بذلك الحجة على نبوة موسى (عليه السلام) وصدق ما ادعاه وجاء به وإن أنكره في الظاهر كثير منهم.

معجزة الإبراء والإحياء

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) جوابه ويقول: «وبعث الله عيسى المسيح (على نبينا وآله وعليه السلام) بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان كان الغالب على أهله: الطب، فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، فقهرهم وبهرهم».

أي: أتاهم بما هم خبراء في فنه، علماء في مجاله، وكانوا قادرين على التمييز بين العلاج العادي الفني، وبين العلاج السماوي المعجز، فإنهم مهما تقدموا في معالجة المرضى لم يكونوا قادرين على معالجة داء البرص، ولا مرض الكمه، ولا على إحياء ميت من الأموات، فلما رأوا من عيسى (عليه السلام) معالجة ذلك وإحياء الميت اعترفوا في قرارة أنفسهم بأن ذلك ليس طباً وعلاجاً أرضياً، وإنما هو علاج وشفاء معجز، وخارق سماوي للعادة، فثبتت الحجة عليهم، وأيقنوا في أنفسهم بأن عيسى (عليه السلام) نبي من عند الله تعالى، وأنه يجب عليهم تصديقه والإيمان به وإن أنكره كثير منهم ظاهراً.

المعجزة الخالدة: القرآن

ويستمر الإمام الهادي (عليه السلام) في الجواب ويقول: «وبعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) بالقرآن والسيف، في زمان كان الغالب على أهله السيف والشعر، فأتاهم من القرآن الزاهر، والسيف القاهر، ما بهر به شعرهم، وبهر سيفهم، وأثبت الحجة به عليهم».

فإنهم رغم إنكارهم وجحودهم للنبي (صلى الله عليه وآله) ولما جاء به، قد استيقنتها أنفسهم، واعترفوا في قرارة أنفسهم بأن قرآنه فوق شعرهم وكلامهم، وأرقى من نظمهم ونثرهم، وأنه يعلو كلام الآدميين بلاغةً وفصاحةً، حتى أنهم راحوا ينتزعون معلقاتهم السبعة من حول الكعبة، ويخفونها عن الأنظار

حياءً وخجلاً، كما أنهم لما جيّشوا الجيوش وشهروا السيف في وجه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأذن الله له بالدفاع، انهزموا أمام سيفه وأذعنوا بتفوقه، مع أن سيوفهم كانت أمضى وأحدّ، وجموعهم كانت أكبر وأكثر، ولكن عنادهم للحق، وتعصبهم الأعمى ضده، لم يسمح لهم بإظهار ما اعترفوا به في باطنهم، وإعلان ما استيقنتها به أنفسهم.

العقل السليم: هو الحجة اليوم

ثم إن ابن السكيت طرح على الإمام الهادي (عليه السلام) سؤالاً آخر متمماً لأسئلته، وقال:

فما الحجة يا بن رسول الله الآن، حيث إنا لم نكن في زمان النبي (صلى الله عليه وآله) ولا من معاصريه، فنراه من كثب، ونختبر دلائله على صدقه، ونمتحن شواهده على صحة نبوته ورسالته؟

الإمام الهادي (عليه السلام): يُطري على ابن السكيت ويحبذ سؤاله الذي جاء في محله، إذ كان خير متمم لأسئلته السابقة، لارتباطه بالوظيفة الفعلية لكل مسلم لم يحضر عصر النبوة والرسالة، ولم ير الرسول وأهل بيته زمن تواجدهم واجتماعهم، ويقول في جوابه:

الحجة اليوم هو: العقل، إذ به يعرف الكاذب على الله، فيكذّب.

نعم، العقل هو الحجة الباطنة الذي جعله الله تعالى في كل إنسان ليستطيع

به التمييز بين الصادق والكاذب، وبين المحق والمبطل.

مع اعتراض ابن أكثم

وهنا انبرى قاضي قضاة المتوكل: يحيى بن أكثم، وهو غاضب ومعترض وبصلافة على ابن السكيت وعلى أسئلته التوعوية ومشوهاً لها بقوله التالي:

ما لابن السكيت ومناظرته، وإنما هو صاحب نحو وصرف، وشعر ولغة.

ثم رفع قرطاساً فيه مسائل عديدة طالباً من الإمام الهادي (عليه السلام) الجواب عليها وهي كالتالي:

أسئلة ابن أكثم العوصاء

جاء في كتاب تاريخ سامراء، عن تحف العقول، ذكر الأسئله التي سألها ابن أكثم وهي عبارة عما يلي:

سأل عن قول الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[١]، هل كان نبي الله محتاجاً إلى علم وصيّه آصف؟

وعن قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾[٢]، هل سجد يعقوب وولده ليوسف وهم الأنبياء؟

وعن قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٣]، من هو المخاطب بالآية، فإن كان المخاطب هو النبي (صلى الله عليه وآله) فقد شك، وإن كان المخاطب غيره فعلى من إذن أنزل الكتاب؟

وعن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾[٤]، ما هذه الأبحر؟ وأين هي؟

---

(١) سورة النمل: ٤٠.

(٢) سورة يوسف: ١٠٠.

(٣) سورة يونس: ٩٤.

(٤) سورة لقمان: ٢٧.

وعن قوله سبحانه: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾[١]، فاشتهت نفس آدم (عليه السلام) أكل البُر، فأكل وأطعم فكيف عوقب؟

وعن قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾[٢]، كيف يزوج الله عباده من الذكران وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك؟

وعن شهادة المرأة جازت وحدها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[٣].

وعن الخنثى وقول علي (عليه السلام): «يورّث من المبال، فلو خرج من الذكر فهو رجل، وإن خرج من الفرج فهو امرأة، وإن خرج منهما ينظر فإن كان يطفر فهو رجل، وإلا فهو امرأة»، فمن ينظر إليه إذا بال مع أنه عسى أن يكون امرأة وقد نظر إليها الرجال، أو عسى أن يكون رجلاً وقد نظرت إليه النساء، وهذا ما لا يحل؟

وعن رجل أتى قطيع غنم فرأى الراعي ينزو على شاة منها، فلما بصر بصاحبها خلى سبيلها فدخلت بين الغنم، كيف تذبح؟ وهل يجوز أكلها أم لا؟

وعن صلاة الفجر لِمَ يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار، وإنما يجهر في صلاة الليل؟

وعن قول علي (عليه السلام) لابن جرموز: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، فلِم

---

(١) سورة الزخرف: ٧١.

(٢) سورة الشورى: ٥٠.

(٣) سورة الطلاق: ٢.

لم يقتله وهو إمام؟

وعن علي (عليه السلام) لِمَ قتل أهل صفين، وأمر بذلك مقبلين ومدبرين وأجهز على الجرحى، وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل موليّاً ولم يجهز على جريح ولم يأمر بذلك، وقال من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن؟ لماذا فعل ذلك؟ فإن كان الحكم الأول صواباً، فالثاني خطأ.

وعن رجل أقر باللواط على نفسه، هل يحدّ أم يُدرأ عنه الحد؟ (١).

أجوبة وردود

الإمام الهادي (عليه السلام) يُعرض عن مجابهة ابن أكثم بالكلام، ويترك توبيخه على صلافته واللوم على خُرقه والحكم بذلك للتاريخ والأجيال، وإنما يجابهه عملاً، حيث يلتفت إلى ابن السكيت موقراً له ومبجلاً إياه ويطلب منه أن يكتب ما يمليه عليه.

ابن السكيت ـ وقد استعد لكتابة ما يمليه عليه الإمام الهادي (عليه السلام) فيشكر الإمام على عنايته ورعايته ويقول: شكراً يابن رسول الله، إني على استعداد تام وبكل إعزاز لأن أكتب ما تمليه يا سيدي عليّ.

الإمام الهادي (عليه السلام) يشكر ابن السكيت على وفائه وإخلاصه ويملي عليه أجوبته على أسئلة ابن أكثم التي رفعها إليه في قرطاس خاص ويقول في

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٩ ـ ١٨١، عن تحف العقول، بتصرف.

الجواب عليها ما يلي:

الذي عنده علم من الكتاب

«سألت عن قول الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾[1]، في قصة إحضار عرش بلقيس من سبأ إلى مجلس سليمان، فهو: آصف بن برخيا، ثم يجيب (عليه السلام) عن شبهة قد ترد هنا ويقول: ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، ولكنه أحبّ أن يُعرّف أُمّته من الجن والإنس بأن آصف بن برخيا هو الحجة بعده.

يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه ويقول: وذلك العلم الذي استطاع به آصف من إحضار عرش بلقيس، إنما هو من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله، ففهّمه ذلك لئلا يُختلف في إمامته وولايته من بعده، ولتأكيد الحجة على الخلق».

وفي هذا الكلام تأكيد على أن الإمامة امتداد للرسالة، وأن الإمام والخليفة إنما يكون بتعيين من الله تعالى وإبلاغ من الرسول، كما كان ذلك بالنسبة إلى نبينا (صلى الله عليه وآله) حيث إن الله تعالى عيّن علياً (عليه السلام) للإمامة والخلافة، وأمر رسوله بإبلاغ ذلك، وأخذ البيعة له بإمرة المؤمنين في يوم الغدير الثامن عشر من شهر ذي الحجة من عام حجة الوداع.

---

(١) سورة النمل: ٤٠.

سجود يعقوب ليوسف

ثم قال الإمام الهادي (عليه السلام) في مواصلة جوابه على أسئلة ابن أكثم:

«وأما سجود يعقوب لولده، فإن السجود لم يكن ليوسف، وإنما كان ذلك من يعقوب وولده طاعةً لله تعالى، وتحيةً ليوسف (على نبينا وآله وعليه السلام).

وهنا يأتي الإمام الهادي (عليه السلام) بنظير لسجود يعقوب وولده ليوسف، دفعاً للاستبعاد عما قاله ويقول: كما أن السجود من الملائكة لم يكن لآدم (عليه السلام)، فسجود يعقوب وولده ويوسف معهم، كان شكراً لله تعالى باجتماع الشمل.

ثم يؤكد الإمام الهادي (عليه السلام) على أن سجودهم كان شكراً لله مستدلاً بقول الله تعالى ويقول: «ألم تر أن يوسف (عليه السلام) يقول في شكره في ذلك الوقت ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[1]».

وفي هذا الكلام دلالة على أن السجود خاص بالله تعالى، ولا يجوز لغير الله سبحانه، وإذا كان سجود ـ في الظاهر ـ لغير الله كالملائكة لآدم، ويعقوب ليوسف، وزوار النبي وعترته المعصومين (عليه وعليهم السلام) في مراقدهم المنورة وروضاتهم المشرفة، فهو واقعاً سجود لله تعالى وشكراً له، لأن الجميع يعلم أن

---

(١) سورة يوسف: ١٠١.

السجود لا يجوز لغير الله سبحانه وتعالى.

النبي على يقين من أمره

يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) أجوبته على أسئلة ابن أكثم ويقول:

«وأما قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾[1]، فإن المخاطب بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يكن في شك مما أنزل الله إليه، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة؟ ولِم لم يفرّق الله بينه وبين الناس في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق؟

فأوحى الله إلى نبيه (صلى الله عليه وآله): ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾ بمحضر من الجهلة، هل بعث الله نبياً قبلك إلا وهو يأكل الطعام، ويشرب الشراب؟ ولك بهم أسوة يا محمد».

ثم يشرح الإمام الهادي (عليه السلام) العلة التي من أجلها عبّر القرآن الكريم بالشك مع أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان متيقناً من أمره ويقول: وإنما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ مع أنه (صلى الله عليه وآله) لم يكن في شك، للنصفة والمجاراة، كما قال سبحانه في آية المباهلة:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ

---

(١) سورة يونس: ٩٤.

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

ولو قالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم، لم يكونوا يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أن نبيه مؤدّ عنه رسالته وما هو من الكاذبين، وكذلك عرّف النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه صادق فيما يقول: ولكن أحب أن ينصف من نفسه».

الأئمة المعصومون كلمات الله التي لا تنفد

ثم يستمر الإمام الهادي (عليه السلام) في أجوبته عن مسائل ابن أكثم ويقول: «وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾[٢]، فهو كذلك، فلو أن أشجار الدنيا أقلام، والبحر مداد، يمده سبعة أبحر حتى انفجرت الأرض عيوناً كما انفجرت في الطوفان، ما نفدت كلمات الله، وهي عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين طبرية، وحمّة ما سيدان وتدعى: لسان، وحمّة أفريقية وتدعى بسيلان، وعين باحوران».

ثم تطرق الإمام الهادي (عليه السلام) إلى بيان المراد من (كلمات الله) في الآية الكريمة وقال: «ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا، ولا تستقصى».

---

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) سورة لقمان: ٢٧.

جنة آدم والشجرة المنهية

يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) حديثه حول الإجابة عن أسئلة ابن أكثم ويقول:

«وأما الجنة ففيها من المآكل والمشارب والملاهي، وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأباح الله ذلك لآدم، والشجرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته أن لا يأكلا منها: شجرة الحسد، عهد الله إليهما أن لا ينظرا إلى من فضّل الله عليهما، وعلى خلائقه بعين الحسد ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[1].

وفي هذا الكلام والاستدلال بالآية الكريمة دلالة على أن آدم (عليه السلام) كان نبياً ولكنه لم يكن من أولي العزم، لأن الله تعالى لم يجد له عزماً حيث إنه أقدم على ارتكاب ما نهي عنه، كما أن فيه دلالة على نوعية الشجرة المنهي عنها.

وقال بعض العلماء كان النهي تنزيهياً، ولم يكن من النهي التحريمي، وبعبارة أخرى: كان النهي نهياً إرشادياً، ولم يكن نهياً مولوياً، فلم يصدر منه ذنب ينافي العصمة.

---

(١) سورة: طه ١١٥.

معنى: أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً

يستمر الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه عن أسئلة ابن أكثم ويقول: وأما قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾[1]، فإن الله تبارك وتعالى يزوج ذكران المطيعين إناثاً من الحور العين، وإناث المطيعات من الإنس من ذكران المطيعين، ومعاذ الله أن يكون الجليل عنى ما لبّستَ على نفسك تطلب الرخصة لارتكاب المحارم والمآثم، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ❖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾[2] إن لم يتب.

---

(١) سورة الشورى: ٥٠، جاء في كنز الدقائق عن تفسير علي بن إبراهيم: ج٢ ص٧٨ ـ في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله عز وجل: ﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾ يعني ليس معهن ذكور، ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ يعني ليس معهم أنثى، ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ أي يهب لمن يشاء ذكراناً وإناثاً جميعاً، يجمع له البنين والبنات، أي يهبهم جميعاً لواحد، ثم قال: حدثني أبي عن المحمودي، ومحمد بن عيسى بن عبيد، عن محمد بن إسماعيل الرازي، عن محمد بن سعيد، أن يحيى بن أكثم سأل موسى بن محمد عن مسائل، وفيها: أخبرنا عن قول الله عزوجل: ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾، فهل يزوّج الله عباده الذكران وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك؟ فسأل موسى أخاه أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) وكان من جواب أبي الحسن (عليه السلام): «أما قوله عز وجل: ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ فإن الله تبارك وتعالى يزوج ذكران المطيعين إناثاً من الحور العين، وإلى آخره».

(٢) سورة الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩.

أسئلة وأجوبة

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) أجوبته على أسئلة ابن أكثم ويقول:

فأما شهادة إمرأة وحدها التي جازت، فهي القابلة التي جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم يكن رضا فلا أقل من امرأتين، تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة، لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كان وحدها قبل قولها مع يمينها.

وأما قول علي (عليه السلام) في الخنثى فهو كما قال: يرث من المبال، وينظر إليه قوم عدول، يأخذ كل واحد منهم مرآة وتقوم الخنثى خلفهم عريانة، وينظرون إلى المرآة فيرون الشيء ويحكمون عليه.

وأما الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة، فإن عرفها ذبحها وأحرقها، وإن لم يعرفها قسمها الإمام نصفين وساهم بينهما، فإن وقع السهم على أحد القسمين فقد نجى النصف الآخر، ثم يفرق الذي وقع عليه السهم نصفين فيقرع بينهما، فلا يزال كذلك حتى يبقى اثنتان، فيقرع بينهما، فأيهما وقع السهم عليها، ذُبحت وأُحرقت، وقد نجى سائرها، وسهم الإمام سهم الله لا يخيب.

وأما صلاة الفجر والجهر فيها بالقراءة: فلأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان

يغلس بها فقراءتها من الليل»[١].

مصير الزبير وقاتله

يسترسل الإمام الهادي (عليه السلام) في حديثه جواباً عن أسئلة ابن أكثم ويقول:

«وأما قول أمير المؤمنين (عليه السلام): بَشِّر قاتلَ ابن صفية بالنار، فلقول رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وكان قاتل ابن صفية وهو ابن جرموز، ممن خرج يوم النهروان، فلم يقتله أمير المؤمنين (عليه السلام) بالبصرة ـ حين جاء برأس الزبير ـ وذلك لأنه علم أنه يُقتل في فتنة النهروان».

ولا يخفى أن ابن صفية هو: الزبير بن العوام، وكان يكنى: أبا عبد الله، وأُمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، شهد الجمل مقاتلاً ضد علي (عليه السلام) وذلك بعد نكث بيعته وخروجه على إمام زمانه الذي نصبه الله تعالى واجتمع عليه الناس. فاستدعاه علي (عليه السلام) وقال له: أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنظر إلي وضحك وضحكت، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال (صلى الله عليه وآله): ليس بمزهٍ، ولتقاتلنَّه وأنت له ظالم؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٦٧، بتصرف.

فذكر الزبير ذلك، فانصرف عن القتال، لكنه لم يظهر منه توبة ولا استغفار، ولو كان أراد التوبة كان عليه أن يفيء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ويعتذر منه ويجدد بيعته معه ثم يُعلن للجيش الذي كان هو أحد أقطاب تشكيله، توبته من خروجه على إمامه ومقاتلته ظلماً له.

لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك، وإنما ترك القتال ونزل بوادي السباع، فغدر به عمرو بن جرموز وقتله وجاء بسيفه ورأسه إلى علي (عليه السلام) فقال (صلوات الله عليه): إن هذا سيف طالما فرّج الكرب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعلى ما جاء في كتاب الجمل للشيخ المفيد أنه (عليه السلام) تناول السيف وهزّه وقال: سيف طالما قاتل بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) ولكن الحين ومصارع السوء.

ثم تفرس (عليه السلام) في وجه الزبير وقال: لقد كان لك بالنبي صحبة ومنه قرابة، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد، ثم قال (عليه السلام): بشّر قاتل ابن صفية بالنار، وذلك:

١: لأنه قتله غدراً وغيلةً، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الإيمان قيد الفتك».

٢: ولأن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «من ألقى سلاحه فهو آمن» وكان الزبير بمنزلة من ألقى سلاحه[١].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٦٩ وهامشه، بتصرف.

بين مقاتلي الجمل وصفين

ثم يستمر الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه على أسئلة ابن الأكثم ويقول:

«وأما قولك: إن علياً (عليه السلام) قاتل أهل صفين مقبلين ومدبرين، وأجهز على جريحهم، وأنه يوم الجمل لم يتبع موليّاً ولم يجهز على جريحهم، وكل من ألقى سيفه وسلاحه آمنه.

فإن أهل الجمل قُتل إمامهم ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين، ولا محتالين، ولا متجسسين، ولا مبارزين. فقد رضوا بالكف عنهم، فكان الحكم فيه رفع السيف والكف عنهم، إذ لم يطلبوا عليه أعواناً.

بينما أهل صفين يرجعون إلى فئة مستعدة، وإمام منتصب، يجمع لهم السلاح، من الرماح والدروع والسيوف، ويستعد لهم، ويُسني لهم العطاء، ويهيئ لهم الأموال، ويعقب مريضهم، ويجبر كسيرهم، ويداوي جريحهم، ويحمل راجلهم، ويكسو حاسرهم، ويردّهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم.

وعليه فإن الحكم في أهل البصرة الكف عنهم لما ألقوا أسلحتهم، إذ لم تكن لهم فئة يرجعون إليها.

والحكم في أهل صفين: أن يتبع مدبرهم، ويجهز على جريحهم.

فلا يساوى بين الفريقين في الحكم».

ثم يعقب الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه بالاستنتاج من الفرق في التعامل بين الفريقين ويقول: «ولولا أميرالمؤمنين (عليه السلام) وحكمه في أهل صفين والجمل، لما عرف الحكم في عصاة أهل التوحيد، فمن أبى ذلك عرض على السيف»[1].

الإمام وحق العفو والمؤاخذة

يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) جوابه على أسئلة ابن الأكثم ويقول:

«وأما الرجل الذي أقرّ باللواط، فإنه أقرّ بذلك متبرعاً من نفسه، ولم تقم عليه بينة، ولا أخذه سلطان، وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب في الله، فله أن يعفو في الله، أما سمعت الله يقول لسليمان: ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[2]، فبدأ بالمنّ قبل المنع.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٠ بتصرف.

(٢) سورة ص: ٣٩.

القصة التي أبكت ملائكة السماء

وأما قصة هذا الرجل، فهي على ما في الكافي، مسنداً عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«بينا أمير المؤمنين (عليه السلام) في ملأ من أصحابه إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إني قد أوقبت على غلام فطهرني.

فقال (عليه السلام) له: يا هذا أمض إلى منزلك، لعل مراراً هاج بك.

فلما كان من الغد عاد إليه وأعاد كلامه، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) ما قاله بالأمس، فانصرف وعاد للمرة الثالثة والرابعة أيضاً.

فلما كان في الرابعة قال له أمير المؤمنين (عليه السلام): يا هذا إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حكم في مثلك بثلاثة أحكام، فاختر أيهن شئت.

قال الرجل: وما هن يا أمير المؤمنين؟

قال (عليه السلام): ضربة بالسيف في عنقك بالغة ما بلغت، أو دهداه من جبل مشدود اليدين والرجلين، أو إحراق بالنار.

قال الرجل: يا أمير المؤمنين أيهن أشد علي؟

قال: الإحراق بالنار.

قال الرجل: فإني قد اخترتها يا أمير المؤمنين.

قال: فخذ أهبتك.

فقال الرجل: نعم، ثم قام فصلى ركعتين ثم جلس في تشهده وقال: اللهم إني قد أتيتُ من الذنب ما قد علمتَه، وإني تخوفتُ من ذلك فجئتُ إلى وصي رسولك، وابن عم نبيك فسألته أن يطهرني، فخيرني بين ثلاثة أصناف من العذاب، اللهم فإني قد اخترت أشدها، اللهم فإني أسألك أن تجعل ذلك كفارة لذنوبي، وأن لا تحرقني بنارك في آخرتي، ثم قام وجلس في الحفرة التي أُعدَّت له والنار تتأجج حوله.

عندها بكى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبكى من حوله جميعاً، ثم التفت إلى الرجل وقال له: قم يا هذا فقد أبكيتَ ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأن الله قد تاب عليك، فقم ولا تعاودَنَّ شيئاً مما قد فعلتَ[1].

الفضل ما شهدت به الأعداء

فلما قرأ يحيى ابن الأكثم الأجوبة التي أجاب بها الإمام الهادي (عليه السلام) على أسئلته قال للمتوكل: ما نحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه، فإنه لا يرد عليه شيء بعدها إلا دونها، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧١ مع الهامش، بتصرف.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٦٤ـ ١٧٢، تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٩ ـ ١٨٤.

مميزات الإيمان والاسلام

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن مروج الذهب للمسعودي، بإسناده عن أبي دعامة قائلاً: أتيت الإمام الهادي علي بن محمد (عليهما السلام) عائداً في علّته التي كانت وفاته بها، ثم هممتُ بالانصراف وعزمتُ على توديعه للخروج من عنده.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إليه ملوّحاً بيده، ومشيراً إليه بالاقتراب منه، ويقول له: يا أبا دعامة، قد وجب عليّ حقك، ألا أُحدّثك بحديث تسرّ به؟

أبو دعامة ـ وهو منشرح من لطف الإمام الهادي (عليه السلام) به وعنايته له يقول: نعم، يابن رسول الله، فإنه ما أحوجني إلى ذلك؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يتوجه إليه بابتسامة جميلة ويقول: حدثني أبي، محمد بن علي قال: حدثني أبي، علي بن موسى قال: حدثني أبي، موسى بن جعفر قال: حدثني أبي: جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي، محمد بن علي قال: حدثني أبي، علي بن الحسين قال: حدثني أبي، الحسين بن علي قال: حدثني أبي، علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا علي اكتب.

فقلت: ما أكتب؟

فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الإيمان ما وقّر في القلوب، وصدّقته الأعمال، والإسلام ما جرى على اللسان، وحلّت به المناكحة.

أبو دعامة ـ وهو لا يتمالك نفسه فرحاً وسروراً ويقول: والله يابن رسول الله ما أدري أيهما أحسن، الحديث المتين، أم الإسناد الشريف؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يبتهج على أثر ابتهاج عائده ويقول له مؤيداً كلامه: نعم يا أبا دعامة، إنه لَكَما قلت: إنها لصحيفة نور كُتبت بخط علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وإملاء من رسول الله (صلى الله عليه وآله) نتوارثها صاغر عن كابر، اعتزازاً بها، واكراماً لها[1].

المعتقَد الحق

روى الشيخ الصدوق في أماليه[2] مسنداً عن السيد عبد العظيم الحسني (عليه السلام)، أنه قال بالنسبة إلى قصته المعروفة في عرض معتقَده على الإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السلام) ومعرفة صحته عن سقمه، ما يلي:

زرتُ سيدي علي بن محمد الهادي (عليهما السلام) لأعرض عليه معتقدي، فلما بصر بي سلمت عليه، فردّ عليّ السلام بأحسن منه وقال لي:

مرحباً بك يا أبا القاسم ـ وأبو القاسم هي كنية السيد عبد العظيم ـ.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٠٨، عن مروج الذهب للمسعودي، بتصرف.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٣٨ ـ ٣٤٠ المجلس٥٤ ح٢٤، بتصرف.

فقلت له: سيدي يابن رسول الله، إني أريد أن أعرض عليك ديني الذي أدين به ربي، ومعتقدي الذي أعتقد به، فإن كان مرضيّاً، ثَبَتُّ عليه حتى ألقى الله ربي عز وجل.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يستقبل هذه المبادرة من السيد عبد العظيم ويشجعه عليها بقوله: هاتها يا أبا القاسم.

السيد الحسني ـ يُقبل على الإمام الهادي (عليه السلام) ويشرح له دينه ومعتقده قائلاً:

إني أقول معتقداً بأن ربي الله تبارك وتعالى واحد، ليس كمثله شيء، خارج من الحدين: حد الإبطال (بإثبات صفة له) وحد التشبيه (بتشبيهه بالمخلوقين)، وأنه ليس بجسم ولا صورة، ولا عَرَض ولا جوهر، بل هو مجسِّم الأجسام، ومصوِّر الصور، خالق الأعراض والجواهر، وربّ كل شيء ومالكه، وجاعله ومحدثه.

وأن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة.

وأن الإمام والخليفة وولي الأمر بعده: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم أنت يا مولاي يا بن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يذكر أسماء الأئمة من بعده مواصلة لكلام السيد

عبد العظيم، ويقول: «ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟».

السيد الحسني ـ يقول متعجباً: وكيف ذلك يا مولاي يا بن رسول الله؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابه: «لأنه يغيب فلا يُرى شخصه، ولا يحل ذكره باسمه، حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً».

السيد الحسني ـ يقر بذلك ويقول: أقررتُ وأقول: إن وليّهم ولي الله، وعدوهم عدو الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله.

وأقول أيضاً: إن المعراج حق، والمسائلة في القبر حق، وإن الجنة حق، والنار حق، والصراط حق، والميزان حق، وإن الساعة آتية لا ريب فيها، وإن الله يبعث من في القبور.

وأقول: إن الفرائض الواجبة بعد الولاية: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

الإمام الهادي (عليه السلام) يؤيد جميع ذلك ويؤكد صحة دينه ومعتقده ويقول له: «يا أبا القاسم، هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فأثبت عليه، ثبَّتكَ الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة».

السيد الحسني ـ يطمئن على صحة معتقده ودينه ويشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على تفضله وعنايته.

الإمام والاسم الأعظم

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره أيضاً، عن كشف الغمة، عن علي بن محمد النوفلي، أنه قال:

كنت عند الإمام أبي الحسن الهادي (عليهما السلام) وجرى الكلام حول عرش بلقيس وكيفية إحضار آصف بن برخيا له من مدينة سبأ، وأحببت أن أعرف ذلك من الإمام أبي الحسن (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إليّ ويقول: إن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وإنما كان عند آصف منه حرف واحد، فتكلّم به، فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيّره إلى سليمان، ثم بسطت له الأرض في أقل من طرفة عين.

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) حديثه ويقول: وعندنا (أهل البيت) من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله عز وجل استأثر به في علم الغيب.

النوفلي ـ يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على ذلك ويزداد علماً وبصيرةً، ويحمد الله على هدايته لولاية أهل بيت رسوله الكريم، عَيبة علمه، وخَزَنة سرّه، وحمَلة وحيه، وحفَظة اسمه الأعظم، ومن علا فضلهم بعد جدهم الرسول على كل العالمين من الأولين والآخرين، (صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين)[١].

لولا وجود العلماء العاملين

ويحدثنا الشيخ الطبرسي في كتابه الاحتجاج، أنه روي عن الإمام الهادي علي بن محمد (عليهما السلام) أنه قال في حق العلماء العاملين والفقهاء الربانيين في زمن الغيبة، ما يلي:

«لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم (عليه السلام) من العلماء، الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بالحجج الواضحة والبراهين الساطعة، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس، ومصائد مردته، وفخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكانها».

ثم إنه (عليه السلام) يواصل كلامه ويقول: «أولئك هم الأفضلون عند الله عزوجل»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٦٧، عن كشف الغمة، بتصرف.

(٢) الاحتجاج: ج٢ ص٤٨٦، تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٠، بتصرف.

إذا حشر الناس يوم القيامة

ويروي لنا كتاب تاريخ سامراء، ما رواه الشيخ الطوسي في أماليه، بسنده عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليهما السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يشير إلى مقام الشفاعة ويقول ما يلي:

«إذا حشر الناس يوم القيامة ناداني منادٍ: يا رسول الله، إن الله قد أمكنك من مجازاة محبيك، ومحبي أهل بيتك، الموالين لهم فيك، والمعادين لأعدائهم فيك، فكافئهم بما شئت.

فأقول: «يا رب، الجنة، فأبوؤهم منها حيث شئت».

ثم أضاف (صلى الله عليه وآله) قوله: «فذلك المقام المحمود الذي وُعدتُ به»[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٠، بتصرف.

مع كتاب: يوم وليلة

جاء في رجال الكشي مسنداً عن أبي هاشم الجعفري أنه قال:

أدخلت كتاب (يوم وليلة) ـ وهو كتاب يشرح أعمال اليوم والليلة والأحكام الشرعية لها كالرسائل العملية ـ الذي ألفه يونس بن عبد الرحمان، على الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يأخذ الكتاب وينظر فيه ويتصفحه كله، ثم يلتفت إلى أبي هاشم الجعفري ويقول له: «هذا ديني ودين آبائي وهو الحق كله»[1].

(١) رجال الكشي: ص٤١٠، بتصرف.

أيام الأسبوع وتأويلها بأهل البيت

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن معاني الأخبار، وكمال الدين، بإسنادهما عن الصقر بن أبي دلف الكرخي، في حديث طويل أنه قال:

لما استدعى المتوكل سيدنا الإمام الهادي (عليه السلام) إلى سامراء، جئت أسأل عن خبره، فنظر إلي الزرافي وكان حاجباً للمتوكل، فأمر أن أدخل إليه، فأدخلت إليه.

الزرافي ـ يلتفت إلى غلام له ويقول له: خذ بيد الصقر وأدخله إلى الحجرة التي فيها العلوي المحبوس (يعني الإمام الهادي عليه السلام) وخل بينه وبين العلوي وارجع.

الغلام ـ يمتثل أمر الحاجب ويقول: سمعاً وطاعة.

الصقر ـ وهو فرح على تحقق أُمنيته وبلوغ أمله، يقول: تقدم الغلام أمامي وأدخلني إلى الحجرة، وأومأ بيده إلى بيت وأشار عليّ بالدخول إليها وانصرف.

ثم يضيف قائلاً: دخلت البيت فإذا بالإمام الهادي (عليه السلام) جالس على صدر حصير، وبحذاه قبر محفور، فسلمت عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يرفع رأسه نحوي ويلتفت إليّ ويقول: وعليكم

السلام ورحمة الله وبركاته، ثم رحب بي وأمرني بالجلوس، وقال: يا صقر، ما أتى بك؟

الصقر ـ وهو فرح من جهة اللقاء بإمامه، وقلق من جهة ما يراه من الحبس والقبر المحفور بإزائه، يقول: يا سيدي، جئت أتعرف خبرك، ثم يردف قائلاً: ونظرت إلى القبر فبكيت ولم أتمالك نفسي.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ ينظر إليه بعطف ورحمة ويخفف عليه آلامه بقوله: يا صقر، لا عليك إنهم لن يصلوا إلينا بسوء الآن.

الصقر ـ يطمئن من كلام الإمام الهادي (عليه السلام) إلى صحته وسلامته، فيستعيد قراره وسكونه ويقول: الحمد لله، ثم يسترسل بعد ذلك ويقول: يا سيدي، حديث يروى عن جدكم النبي (صلى الله عليه وآله) لا أعرف معناه.

مع حديث لا تعادوا الأيام

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت عندها إليه وبكل انطلاق ورحابة، ويقول: وما هو ذلك الحديث يا صقر؟

الصقر ـ يتهيأ لذكر الحديث النبوي الشريف واستماع الجواب الوافي والشافي من الإمام الهادي (عليه السلام) يقول: هو قوله (صلى الله عليه وآله): «لا تعادوا الأيام فتُعاديكم».

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يبدأ بالجواب بكل بداهة ويقول: نعم، الأيام

نحن، ما قامت السماوات والأرض.

فالسبت: اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

والأحد: كناية عن أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء (عليهما السلام).

والاثنين: الحسن والحسين (عليهما السلام).

والثلاثاء: علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد (عليهم السلام).

والأربعاء: موسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وأنا (يعني: الإمام علي بن محمد الهادي) (عليهم السلام).

والخميس: ابني الحسن بن علي (عليه السلام).

والجمعة: ابن ابني (عليهما السلام)، وإليه تجتمع عصابة الحق، وهو الذي يملأها قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً.

ثم يلتفت (عليه السلام) إلى الصقر ويقول: فهذا هو يا صقر معنى الأيام، فلا تعادوهم في الدنيا، فيعادوكم في الآخرة، ثم يقول له برفق ولطف، يا صقر! ودع وأخرج، فإني لا آمن عليك.

الصقر يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على استقباله وبيانه لمعنى الحديث النبوي الشريف له، ويودعه ويخرج [١]

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٩٤، بتصرف.

ليس للأيام صنع في حكم الله

ويحدثنا كتاب "تاريخ سامراء"، عن الحسن بن مسعود، أنه قال: جئت يوماً من الأيام لزيارة أبي الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام) وقد نكبت إصبعي، وتلقاني راكب و صدم كتفي، ودخلت في زحمة فخرقوا عليّ بعض ثيابي.

فلما صرت بين يديه (عليه السلام) وسلّمت عليه، قلت متشائماً من هذا اليوم: كفاني الله شرّك من يوم ما أشأمك.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يرد عليه سلامه و يأخذ في معاتبته على مقالته ويقول: يا حسن، هذا وأنت تغشانا (تزورنا وتتردد علينا) ترمي بذنبك من لا ذنب له؟

الحسن ـ يتنبه من غفلته، ويستيقظ من نومته ويقول: فآب إليّ عقلي، وتبينت خطأي وقلت معتذراً: يا مولاي يا بن رسول الله! أشهد يا سيدي بأني أستغفر الله من ذلك وأتوب إليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يواصل عتابه ويستمر في نصيحته وتوعيته بقوله: يا حسن ما ذنب الأيام حتى صرتم تتشاءمون بها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها؟

الحسن ـ يعيد الإقرار بالاستغفار ويكرر التوبة عما صدر منه ويقول: إني أستغفر الله أبداً وهي توبتي يا بن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يؤكد عتابه، ويشدد خطابه له، زيادةً في نصيحته ومبالغةً في إرشاده، ليكون درساً للآخرين، ويقول: والله ما ينفعكم، ولكن الله يعاقبكم بذمّكم ما لا ذمّ فيه، أما علمت يا حسن أن الله هو المثيب والمعاقب في الدنيا والآخرة، وهو المحاسب والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً؟

الحسن ـ يندم على قوله ندماً شديداً، ويعزم على تركه وعدم العود إلى مثله أبداً، ويقول: بلى يا مولاي يا بن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكر في نصيحته له وتثقيفه إياه ويقول: لا تعدّ للأيام دخلاً، ولا تجعل لها صنعاً في حكم الله، ثم قال (عليه السلام): من أمن مكر الله وأليم أخذه، تكبّر حتى يحل به قضاؤه ونافذ أمره، ومن كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قُرّض بالمقاريض ونُشر بالمناشير[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٠ ـ ٢٢١، بتصرف.

من لزم رأس العين لم يتردد

إن الظروف التي كان يعيشها الإمام الهادي (عليه السلام) كانت ظروفاً قاسية، كالظروف التي عاشها سائر الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، حيث كان الحكام يتربصون بأهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم الدوائر، ويحاولون قمعهم وإبادتهم عن بكرة أبيهم، لذلك جاءت الأحاديث والروايات الشريفة عنهم مختلفة حتى لا يعرف العدو الشيعة فيقتلوهم، وأوكلوا معرفة الصحيح منها عن غيره إلى الفقهاء من مواليهم.

وعن مثل ذلك يحدثنا كتاب تاريخ سامراء، عن الحِميري، أنه كتب رسالة إلى الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليهما السلام) يسأله فيها ما يلي:

إنه يختلف علينا أخباركم (أي: الأحاديث والروايات التي تُروى عنهم عليهم السلام)، ثم يواصل كتابته ويقول: فكيف العمل بها ـ يا بن رسول الله ـ مع اختلافها؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكتب في جوابه: «من لزم رأس العين، لم يختلف عليه أمره، فإنها تخرج من مخرجها وهي بيضاء، صافية نقية، فتخالطها الأكدار في طريقها».

الحِميري ـ لم يدرك المعنى بكماله، ولذلك يكتب للإمام الهادي (عليه السلام) رسالة ثانية يسأل فيها السؤال التالي:

كيف لنا برأس العين وقد حيل بيننا وبينه؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يطّلع على الرسالة الثانية ويكتب في الجواب: «هي مبذولة لمن طلبها، إلاّ لمن أرادها بالإلحاد»[١].

ومن المعلوم: أن طالبها هم الفقهاء الأتقياء، والمراجع الأمناء، السائرون على نهج أهل البيت (عليهم السلام) والباذلون جهدهم في معرفة الصحيح من أحاديثهم عن غير الصحيح منها، فإنه غير خافٍ على أولي الألباب الأذكياء، بأن مراجع الدين الأمناء أصحاب الرسائل العملية، هم وحدهم الذين يصدق عليهم قول صاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى فرجه): «فإنّهُم حُجَّتي عَلَيكُم وأنا حُجّةُ الله»[٢]، وأنهم وحدهم دون غيرهم الذين يجوز الاعتماد عليهم وتقليدهم، والاطمئنان إلى أنهم هم الذين يطلبون وبأمانة روايات أهل البيت (عليهم السلام) ليعرفوا الصحيح من غير الصحيح منها ويفتوا بحسبها، وأنهم لم يريدوا الإلحاد فيها، ولا الإنكار لها، ولا التحريف في شرحها وتفسيرها، ولم يقصدوا منها جمع الناس حولهم، ولا تعزيز موقعهم لديهم، بادعائهم ما لا يجوز شرعاً لهم، من انتسابهم المباشر لهم ومن البنوّة القريبة لهم، ومن كونهم أحد المهديين ونحو ذلك، مما هو غير جائز شرعاً ادعاؤهم له.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٣ ح٣٠، بتصرف.

(٢) الاحتجاج: ج٢ ص٤٧٠.

لا إيمان لولا حب أهل البيت

الإسلام هو ما يُحقن به الدماء وتحل به المناكح، بينما الإيمان بالله والرسول وأهل البيت (عليه وعليهم السلام) هو ملاك القبول عند الله تعالى، وسعادة الدنيا ونعيم الآخرة، وإلى هذا المعنى يشير الإمام الهادي (عليه السلام) في كتابه إلى بعض أهل همدان.

نعم، لقد جاء في كتاب "تاريخ سامراء" أن الإمام الهادي أبا الحسن علي بن محمد (عليهما السلام) كتب رسالة إلى بعض أهل همدان، وقد جاء فيها قوله (عليه السلام): «وليس مع سوء الظن بنا إيمان».

ثم يواصل الكتاب المذكور "تاريخ سامراء"، قوله: بأن السري بن سلامة كتب رسالة إلى الإمام الهادي (عليه السلام) يسأله فيها عن الغالية، (أي: الذين غلوا وقالوا بربوبية غير الله تعالى)، وما يتخوف من معرّتهم وفسادهم على الأمة، ثم يسأله الدعاء له ولأخوانه بالثبات على الإيمان بالله والرسول وأهل البيت (عليهم السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه ما يبين به حكم الغالية، وما يخصه هو وأخوانه بالدعاء، وذلك على ما يلي:

«عدل الله عنكم وصرفكم عما سلكوا فيه من الغلو، فحسبهم أن تبرأ أولياء الله منهم، وجعل الله ما أنتم عليه مستقراً، ولا جعله مستودعاً، وثبّتكم

بالقول الثابت في الدنيا والآخرة، ولا أضلّكم بعد إذ هداكم، وأحمد الله كثيراً وأشكره»[١].

ما لم تعلموه فردوه إلينا

ويحدثنا كتاب "تاريخ سامراء"، عن "بصائر الدرجات"، عن داود بن فرقد الفارسي، أنه كتب رسالة إلى الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليهما السلام) يسأله فيها ما يلي:

نسألك يا بن رسول الله عن العلم المنقول إلينا عبر الأحاديث الشريفة والروايات المنيفة عن آبائك وأجدادك، وقد اختلفوا علينا فيه، فكيف العمل به على اختلافه؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على الرسالة ويكتب بخط يده الكريمة الجواب التالي:

«إن علمتم أنه قولنا فألزموه، وما لم تعلموه فردوه إلينا»[٢].

أي: إذا كان في الحديث أحد علائم الاعتبار وجب الأخذ به، وإلا وجب ردّ علمه إليهم (عليهم السلام).

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٣ ح٢٨، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٢ ح٢٦، بتصرف.

أبوَا هذه الأمة

يروي لنا العلامة المجلسي في البحار، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليهما السلام) أنه قال:

«من لم يكن والدا دينه: محمد وعلي (عليهما السلام) أكرم عليه من والدَي نسبه، فليس من الله في حلّ ولا حرام، ولا قليل ولا كثير»[١].

وفيه إشارة ألى الولاية والأولوية التي جعلها الله تعالى للنبي ووصيه وعترته (عليه وعليهم السلام) وبلّغها (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير بقوله: «مَن كُنتُ مَولاه فَعَليٌّ مَولاه...»[٢].

(١) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٢٦١.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٨٧.

من إعظام جلال الله

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره أيضاً، عن الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليهما السلام) أنه قال:

«إنّ من إعظام جلال الله، إيثار قرابة أبوَي دينك: محمد وعلي (عليهما السلام) على قرابات أبوَي نسبك، وإنّ من التهاون بجلال الله، إيثار قرابات أبوَي نسبك على قرابات أبوَي دينك: محمد وعلي (عليهما السلام)»[1].

وهذا كسابقه في الدلالة على ولاية النبي وأهل بيته (عليه وعليهم السلام) وأولويتهم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٢٦٣.

تربتهم (عليهم السلام) واحدة

جاء في البحار، نقلاً عن تهذيب الشيخ الطوسي، مسنداً عن محمد بن سليمان زرقان، أنه قال:

قال لي الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في شيء من أسباب تفرق قبورهم (عليهم السلام) وتشتتها ما يلي:

«يا رزقان، إن تربتنا كانت واحدة، فلما كان أيام الطوفان افترقت التربة فصارت قبورنا شتى، والتربة واحدة»[1].

وفي هذا دلالة على أحد أسباب التفرق المعنوية، وأما الأسباب المادية فمنها: ظلم حكّام بني أمية وبني العباس وجورهم عليهم.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص١٣٢ ح٢٠.

سجود الملائكة

وجاء في كتاب تحف العقول، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«إن السجود من الملائكة لآدم (عليه السلام) لم يكن لآدم (عليه السلام)، وإنما كان ذلك طاعةً لله، ومحبةً منهم لآدم»[١].

الزهراء.. لماذا؟

وجاء في كتاب المناقب لابن شهر آشوب، عن أبي هاشم الجعفري، أنه قال: سألت صاحب العسكر (عليه السلام) - والظاهر هو الإمام الهادي (عليه السلام) - عن سبب تسمية السيدة فاطمة (عليها السلام) بالزهراء؟

الإمام الهادي (عليه السلام) - يجيب على سؤاله قائلاً:

«لأنه كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين (عليه السلام) من أول النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوب الدري»[٢].

---

(١) تحف العقول: ص٤٧٨.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج٣ ص٣٣٠.

نصارى هذه الأمة ومجوسها

ويحدثنا "تاريخ سامراء"، عن "حديقة الشيعة" للمحقق الأردبيلي، بسند صحيح عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، قائلاً:

كنت مع الإمام أبي الحسن الهادي علي بن محمد (عليهما السلام) في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) فأتاه جماعة من أصحابه، منهم أبو هاشم الجعفري، وكان رجلاً بليغاً، وكانت له منزلة عظيمة عنده (عليه السلام)، إذ دخل المسجد جماعة من الصوفية فجلسوا في جانب من المسجد مستديراً وأخذوا بالتهليل وترديد الأوراد.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ عند ما يرى هؤلاء الصوفية يدخلون المسجد ويشتغلون بأورادهم، وذلك بطريقة ملفتة للأنظار، وأسلوب يجلب انتباه البسطاء، ويكسب قلوب السذج من الناس، يتوجه (عليه السلام) إلى من معه ويأخذ بكشف واقعهم، وسوء سرائرهم، وبطلان مسلكهم ومرامهم، ويقول مايلي:

«لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين، فإنهم خلفاء الشياطين، ومخرّبوا قواعد الدين، يتزهدون لإراحة الأجسام، ويتهجدون لصيد الأنعام، يتجوّعون عمراً، حتى يُديّخوا للإيكاف حمراً، لا يهللون إلا لغرور الناس، ولا يقللون الغذاء إلا لملأ العساس، واختلاس قلب الذنفاس، يكلمون الناس بإملائهم في

الحب، ويطرحونهم بإدلائهم في الجب، أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنم والتغنية، فلا يتبعهم إلا السفهاء، ولا يعتقد بهم الا الحمقاء، فمن ذهب إلى زيارة أحد منهم حياً أو ميتاً فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبدة الأوثان، ومن أعان أحداً منهم فكأنما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان».

فقال له رجل من أصحابه: وإن كان معترفاً بحقوقكم؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ينظر إليه شبه المغضب ويقول: «دع عنك ذلك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنهم أخس طوائف الصوفية، والصوفية كلهم مخالفونا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلاّ نصارى ومجوس هذه الأمة، أولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون»[1].

هذا ولا يخفى أن قوله (عليه السلام): «من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا» يشير إلى أنهم (عليهم السلام) هم وحدهم الصراط المستقيم الذي أمرنا الله تعالى بسلوكه واتباعه، وهو عام يشمل وبلا استثناء كل طريق غير طريقهم، ويعمّ كل شخص نصب نفسه في منصبهم، ودعى إلى نفسه دونهم، وإن تظاهر بأنه يدعو إليهم، وصوّر نفسه بأنه ابنهم أو بابهم، أعاذنا الله منهم ومن فتنتهم، فإنّ فِتَن عصرنا هذا كثيرة لا ينجو منها إلاّ من تمسّك بولاية النبي الكريم وأهل بيته الكرام، وحذا حذوهم واقتدى بهم (عليهم السلام).

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٠، عن حديقة الشيعة، بتصرف.

الشيطان الرجيم

ويحدثنا الشيخ الصدوق، في كتابه "معاني الأخبار"، مسنداً عن السيد عبد العظيم الحسني (عليه السلام) أنه قال: سمعت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليهما السلام) يقول في معنى وصف إبليس بالرجيم، ما يلي:

«معنى الرجيم: أنه مرجوم باللعن، مطرود من مواضع الخير، لا يذكره مؤمن إلاّ لعنه، وأن في علم الله السابق: أنه إذا خرج القائم (عليه السلام وعجل الله تعالى فرجه)، لا يبقى مؤمن في زمانه إلا رجمه بالحجارة، كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن»[1].

وفي هذا الحديث الشريف دلالة على أن إبليس في زمن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) يكون في منتهى الذل والعار، والخزي والشنار، وفي غايتها، بحيث لم يكن في مثلها أيام الغيبة قط، إذ ببركة الإمام المهدي (عليه السلام) وهدايته، تكمل عقول الناس، وتتكامل معنوياتهم، فيتبعون هدى الله تعالى، ويجتنبون خطوات إبليس وغوايته، ويرجمونه بالحجارة كما كانوا ولا يزالون يرجمونه باللعن.

---

(١) معاني الأخبار: ص١٣٩.

الإمام الهادي ومعجزات النبي

روى العلامة المجلسي في البحار ـ كما في "تاريخ سامراء"[١] ـ رواية طويلة، عن تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) ملخصها:

عن الإمام الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) أنه قال:

قلت لأبي، علي بن محمد الهادي (عليهما السلام): كيف كانت الأخبار في هذه الآيات التي ظهرت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة والمدينة؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول: «يا بني، استأنف له النهار».

معجزة الغمامة

فلما كان من غد قال الإمام الهادي (عليه السلام):

«يا بني، أما الغمامة فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد، وكان من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر، وكانوا في حمّارة القيظ يصيبهم حرّ تلك البراري، وربما عصفت عليهم فيها الرياح وسفت عليهم الرمال والتراب.

وكان الله تعالى في تلك الأحوال يبعث لرسول الله (صلى الله عليه وآله) غمامة

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٣٤ ـ ٣٤٨ بتصرف.

تظلّه فوق رأسه، تقف لوقوفه وتزول لزواله، إن تقدم تقدمت، وإن تأخر تأخرت، وإن تيامن تيامنت، وإن تياسر تياسرت.

وكانت تكف عنه حرّ الشمس من فوقه، وكانت تلك الرياح المثيرة لتلك الرمال والتراب تسفيها في وجوه قريش ووجوه رواحلها، حتى إذا دنت من محمد (صلى الله عليه وآله) هدأت وسكنت، ولم تحمل شيئاً من رمل ولا تراب، وهبّت عليه ريح باردة ليّنة، حتى كانت قوافل قريش يقول قائلها: جوار محمد (صلى الله عليه وآله) أفضل من جوار خيمة، فكانوا يلوذون به ويتقربون إليه، فكان الرَّوْح يصيبهم بقربه، وإن كانت الغمامة مقصورة عليه.

وكان إذا اختلط بتلك القوافل غرباء، فإذا الغمامة تسير في موضع بعيد منهم، قالوا: إلى من قرنت هذه الغمامة فقد شرف ذكره؟

فيخاطبهم أهل القافلة، انظروا إلى الغمامة تجدوا عليها اسم صاحبها واسم صاحبه وصفيه وشقيقه، فينظرون فيجدون مكتوباً عليها:

«لا إله إلا الله، محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أيَّدتُهُ بِعَلي (عليه السلام) سيد الوصيين، وشَرَّفتُه بأصحابه الموالين له ولعلي وأوليائهما، والمعادين لأعدائهما»، فيقرأ ذلك، ويفهمه من يحسن أن يقرأ ويكتب، ومن لا يحسن ذلك.

معجزة السلام

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السلام):

وأما تسليم الجبال والصخور والأحجار عليه: فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما ترك التجارة إلى الشام وتصدّق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات، كان يغدو كل يوم إلى حراء، يصعده وينظر من قلّته إلى آثار رحمة الله، وأنواع عجائب حكمته، وبدائع صنعه، وينظر إلى أكناف السماء، وأقطار الأرض، والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، ويتذكر بتلك الآيات، ويعبد الله حق عبادته.

فلما استكمل أربعين سنة ونظر الله إليه و إلى قلبه، فوجده أفضل القلوب وأجلها وأطوعها وأخشعها وأخضعها، فأذِن لأبواب السماوات ففتحت ومحمد (صلى الله عليه وآله) ينظر إليها.

وأذِن للملائكة فنزلوا ومحمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينظر إليهم.

وأمر بالرحمة فأُنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد وغمرته.

ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين ـ المطوّق بالنور طاووس الملائكة ـ فهبط إليه فأخذ بعضده وهزّه، وقال: يا محمد، اقرأ.

قال: وما أقرأ؟

قال: يا محمد ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ* خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، إلى

قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١].

ثم أوحى إليه ما أوحى إليه ربه عز وجل، ثم صعد إلى العلو.

النبي بعد نزول الوحي

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السلام):

ونزل محمد (صلى الله عليه وآله) من الجبل وقد غشيه من تعظيم جلال الله، و ورد عليه من كبير شأنه ما لا يوصف، وكان يخاف من تكذيب قريش في خبره، فأراد الله عزوجل، أن يشرح صدره، ويشجّع قلبه، فأنطق الجبال والصخور والمدر، وكلما وصل إلى شيء منها ناداه:

السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا ولي الله، السلام عليك يا رسول الله، أبشِر فإن الله عز وجل قد فضّلك وجمّلك وزيّنك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأولين والآخرين.

لا يحزنك أن تقول قريش: إنك مجنون، وعن الدين مفتون، فإن الفاضل من فَضّله ربُ العالمين، والكريم من كَرّمه خالق الخلق أجمعين، فلا يضيقنَّ صدرك من تكذيب قريش وعتاة العرب لك.

فسوف يبلغك ربك أقصى منتهى الكرامات، ويرفعك إلى أرفع الدرجات.

وسوف ينعم الله ويفرح أولياءك بوصيك علي بن أبي طالب (عليه السلام).

---

(١) سورة العلق: ١ ـ ٥.

وسوف يبث علومك في العباد والبلاد، بمفتاحك وباب مدينة حكمتك علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وسوف يقر عينك ببنتك فاطمة (عليها السلام).

وسوف يخرج منها ومن علي: الحسن والحسين (عليهما السلام) سيدي شباب أهل الجنة.

وسوف ينشر في البلاد دينك.

وسوف يضع في يدك لواء الحمد، فتضعه في يد أخيك علي (عليه السلام)، فيكون تحته كل نبي وصديق وشهيد، يكون قائدهم أجمعين إلى جنات النعيم.

ثم أنزل الله عليه ميزان الجلال، فجعل محمداً (صلى الله عليه وآله) في كفة منه، ومُثّل له علي (عليه السلام) وسائر الخلائق من أمته إلى يوم القيامة في كفة، فوزن بهم فرجح.

ثم مُثّل له علي بن أبي طالب (عليه السلام) فجعل في الكفة التي كان فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوزن بساير أمته فرجح بهم، فعرفه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعينه وصفته ونودي: يا محمد، هذا علي بن أبي طالب صفيّي الذي أؤيّد به هذا الدين، يرجح على جميع أمتك بعدك.

معجزة الحراسة

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السلام):

وأما دفاع الله القاصدين لمحمد (صلى الله عليه وآله) إلى قتله، وإهلاكه إياهم كرامةً لنبيّه، وتصديقه إياه فيه: فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان ابن تسع سنين بمكة، قد نشأ في الخير نشوءاً لا نظير له في سائر صبيان قريش، حتى ورد مكة قوم من يهود الشام، فنظروا إلى محمد (صلى الله عليه وآله) وشاهدوا نعته وصفته، فأسرّ بعضهم إلى بعض: هذا والله محمد الخارج في آخر الزمان، يزيل الله تعالى به دولة اليهود، ويذلّهم ويقمعهم، وقد كانوا وجدوه النبي الأُمي الفاضل الصادق، فحملهم الحسد على أن كتموا ذلك.

ثم قال بعضهم لبعض: تعالوا نحتال عليه فنقتله، فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت، لعلنا نصادفه ممن يمحو، فهمّوا بذلك.

ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى نمتحنه ونجربه بأفعاله، فإن الحلية قد توافق الحلية، والصورة قد تشاكل الصورة، وإن ما وجدناه في كتبنا أن محمداً يجتنبه ربه الحرام والشبهات.

فصادقوه وآلِفوه وادْعوه إلى دعوة، وقدموا إليه الحرام والشبهة، فإن انبسط فيهما أو في أحدهما فأكله، فاعلموا أنه غير من تظنّون، وإنما الحلية وافقت الحلية، والصورة قد تساوي الصورة، وإن لم يكن الأمر كذلك

ولم يأكل منهما شيئاً فاعلموا أنه هو، فاحتالوا له في تطهير الأرض منه، لتسلم لليهود دولتهم منه.

ضيافة اختبارية

فجاؤوا إلى أبي طالب فصادقوه ودعوه إلى دعوة لهم، ولما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) قدموا إليه دجاجة مسمّنة، كانوا قد وقذوها وشووها.

فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمد يده نحوها فيعدل بها يمنةً، ثم يسرةً، ثم أماماً، ثم خلفاً، ثم فوقاً، ثم تحتاً، لا تصيبها يده.

فقالوا: ما لك يا محمد لا تأكل منها؟

فقال (صلى الله عليه وآله): يا معشر اليهود قد جهدت أن أتناول منها، وهذه يدي يعدل بها عنها، وما أراها إلا حراماً يصونني ربي عنها.

فقالوا: ما هي إلا حلال، فدعنا نلقمك منها.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فافعلوا إن قدرتم.

فذهبوا ليأخذوا منها ويطعموه فكانت أيديهم يعدل بها عنها إلى الجهات، كما كانت يد رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعدل عنها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فهذه قد منعت منها، فأتوني بغيرها إن كانت لكم.

فجاؤوه بدجاجة أخرى مسمنة مشوية، قد أخذوها لجار لهم غائب، لم يكونوا اشتروها، وعمدوا على أن يردوا عليه ثمنها إذا حضر.

فتناول منها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقمة فلما ذهب يرفعها ثقلت عليه، وفصلت حتى سقطت من يده، وكلما ذهب يرفع ما قد تناوله بعدها ثقلت وسقطت.

فقالوا: يا محمد فما بال هذه لا تأكل منها؟

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وهذه أيضاً قد مُنعت منها، وما أراها إلاّ من شبهة يصونني الله ربي عز وجل عنها.

قالوا: ما هي شبهة، فدعنا نلقمك منها.

فقال: افعلوا إن قدرتم عليه.

فكلما تناولوا لقمة ليلقموه ثقلت كذلك في أيديهم ثم سقطت، ولم يقدروا أن يعلوها.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): هو ما قلت لكم هذه شبهة يصونني ربي عز وجل عنها.

فتعجبت قريش من ذلك، وكان ذلك مما يقيمهم على اعتقاد عداوته، إلى أن أظهروها لما أظهره الله عز وجل بالنبوة، وأغرتهم اليهود بذلك أيضاً، وقالت لهم: أيّ شيء يرد عليكم من هذا الطفل؟ ما نراه إلا سالبكم نعمكم وأرواحكم، وسوف يكون لهذا شأن عظيم.

تآمر وتواطؤ

قال الإمام الهادي (عليه السلام): ثم تواطأت اليهود على قتله في طريقه إلى جبل حراء، وهم سبعون رجلاً، فعمدوا إلى سيوفهم فسمموها، ثم قعدوا له ذات غلس في طريقه على جبل حراء.

فلما صعد النبي (صلى الله عليه وآله) الجبل، صعدوا إليه وسلوا سيوفهم وهم سبعون رجلاً من أشد اليهود وأجلدهم وذوي النجدة منهم، فلما أهووا بها إليه ليضربوه بها، التقى طرفا الجبل بينهم وبينه فانضمّا وصار ذلك حائلاً بينهم وبين محمد (صلى الله عليه وآله)، وانقطع طمعهم عن الوصول إليه بسيوفهم، فغمدوها، فانفرج الطرفان بعد ما كانا قد انضمّا.

ولما انفرج الطرفان سلوا بعده سيوفهم مرة أخرى وقصدوه، فلما هموا بإرسالها عليه انضم طرفا الجبل، وحيل بينهم وبينه، فغمدوها.

وهكذا كلما انضمّ طرفا الجبل غمدوا سيوفهم، وكلما كانا ينفرجان فيسلّونها، إلى أن بلغ ذروة الجبل، فكان ذلك سبعاً وأربعين مرة.

فصعدوا الجبل وداروا خلفه ليقصدوه بالقتل فطال عليهم الطريق، ومد الله عز وجل الجبل فأبعدوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى فرغ من ذكره وثنائه على ربه واعتباره بعبره.

ثم انحدر عن الجبل وانحدروا خلفه ولحقوه وسلوا سيوفهم عليه ليضربوه

بها، فانضم طرفا الجبل وضغطهم الجبل ورضضهم، وما زال يضغطهم حتى ماتوا أجمعين، وذهب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ذلك الموضع سالماً مكفياً مصوناً محوطاً، تناديه الجبال وما عليها من الأحجار والأشجار قائلة:

هنيئاً لك يا محمد بنصرة الله عز وجل لك على أعدائك بنا، وسينصرك إذا ظهر أمرك على جبابرة أمتك بعلي بن أبي طالب، وسيجعله تاليك وثانيك ونفسك التي بين جنبيك، وسمعك الذي به تسمع، وبصرك الذي به تبصر، ويدك التي بها تبطش، ورجلك التي عليها تعتمد، وسيقضي عنك ديونك، ويفي عنك بعداتك، وسيكون جمال أمتك، وزين أهل ملتك، وسيسعد ربك عز وجل به محبيه، ويهلك به شانئيه.

معجزة تلاصق الشجرتين

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام):

وأما الشجرتان اللتان تلاصقتا: فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان ذات يوم في طريق له بين مكة والمدينة، وفي عسكره منافقون من المدينة، وكافرون من مكة ومنافقون لها، وكانوا يتحدثون فيما بينهم بمحمد (صلى الله عليه وآله) وآله الطيّبين وأصحابه الخيرين.

فقال بعضهم لبعض: إنه يأكل كما نأكل، ويشرب كما نشرب، ومع ذلك يدّعي أنه رسول الله.

فقال بعض مردة المنافقين، لما رأى النبي (صلى الله عليه وآله) يريد تجديد الوضوء: هذه صحراء ملساء تعالوا ننظر إليه.

فعرّف الله عز وجل ذلك نبيه (صلى الله عليه وآله)، فقال لزيد بن ثابت: اذهب إلى تينك الشجرتين المتباعدتين فقف بينهما وناد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمركما أن تلتصقا وتنضما، ليقضي رسول الله (صلى الله عليه وآله) خلفكما ما يريده.

ففعل ذلك زيد وقال: فو الذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن الشجرتين انقلعتا بأصولهما من مواضعهما، وسعت كل واحدة منهما إلى الأخرى سعي المتحابين، حتى تلاصقتا وانضمتا وصار رسول الله (صلى الله عليه وآله) خلفهما.

فقال أولئك المنافقون: قد استتر عنا، فقال بعضهم لبعض: فدوروا خلفه تنظرون إليه. فذهبوا ليدوروا خلفه، فدارت الشجرتان كلما داروا، ومنعتاهم من النظر حتى فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتوضأ وخرج من هناك وعاد إلى العسكر.

وقال لزيد بن ثابت: عد إلى الشجرتين وقل لهما: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمركما أن تعودا إلى مواضعكما.

فقال المنافقون: قد امتنع محمد من أن نراه على تلك الحالة، فتعالوا ننظر إلى ما خرج منه، فجاءوا إلى الموضع فلم يروا شيئاً البتة.

معجزة استدعاء الشجرة

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (صلوات الله عليهما):

وأما دعاؤه (صلى الله عليه وآله) الشجرة: فإن رجلاً من ثقيف كان أطبّ الناس، يقال له: الحارث بن كلدة الثقفي، جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال:

يا محمد جئت أداويك من جنونك، فقد داويت مجانين كثيرة فشفوا على يدي.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا حارث، أنت تفعل أفعال المجانين، وتنسبني إلى الجنون؟

قال الحارث: وماذا فعلته من أفعال المجانين؟

قال (صلى الله عليه وآله): نسبتك إياي إلى الجنون من غير محنة منك ولا تجربة ولا نظر في صدقي أو كذبي.

فقال الحارث: أوليس قد عرفت كذبك وجنونك بدعواك النبوة التي لا تقدر لها.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وقولك: "لا تقدر لها" فعل المجانين، لأنك لم تقل: لم قلت كذا؟ ولا طالبتني بحجة فعجزتُ عنها.

فقال الحارث: صدقت، أنا أمتحن أمرك بآية أطالبك بها، إن كنت نبياً

فادع تلك الشجرة ـ وأشار إلى شجرة عظيمة ـ فإن أتتك علمت أنك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وشهدت لك بذلك.

فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده إلى تلك الشجرة، وأشار إليها، فانقلعت تلك الشجرة بأصولها وعروقها، وجعلت تخد في الأرض أخدوداً عظيماً كالنهر، حتى دنت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوقفت بين يديه، ونادت بصوت فصيح: ها أنا ذا يا رسول الله ما تأمرني؟

فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): دعوتكِ لتشهدي لي بالنبوة، بعد شهادتك لله بالتوحيد، ثم تشهدي بعد شهادتك لعلي هذا بالإمامة.

فنادت الشجرة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك ـ يا محمد ـ عبده ورسوله، أرسلك بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأشهد أن علياً ابن عمك أوفر خلق الله من الدين حظاً، وأجزلهم من الإسلام نصيباً، وهو أخوك في دينك، وسناد ظهرك، وقامع أعدائك، وناصر أوليائك، وباب علومك في أمتك.

فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الحارث بن كلدة فقال: يا حارث أوَ مجنون مَن هذا حاله وآياته؟

فقال الحارث بن كلدة: لا والله يا رسول الله، ولكني أشهد أنك رسول رب العالمين، وسيد الخلق أجمعين، فأسلم وحسن إسلامه.

معجزة تكلم الذراع

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السلام):

وأما كلام الذراع المسمومة: فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما رجع من خيبر إلى المدينة وقد فتح الله له، جاءته امرأة من اليهود قد أظهرت الإيمان، ومعها ذراع مسمومة مشوية وضعتها بين يديه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما هذه؟

قالت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كان لي حَمَل، وعلمت أن أحب الطعام إليك الذراع المشوي، فنذرت لله لئن سلّمك الله منهم، لأذبحنه ولأطعمنك من شواء ذراعيه، والآن فقد سلّمك الله منهم وأظفرك عليهم، وقد جئتك بنذري.

وكان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) البراء بن معرور وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فمد البراء بن المعرور يده وأخذ منه لقمة فوضعها في فيه، فقال له علي بن أبي طالب (عليه السلام): يا براء لا تتقدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال البراء وكان أعرابياً: يا علي كأنك تبخّل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟!

فقال علي (عليه السلام): ما أبخّل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكني أبجّله وأوقّره، ليس لي ولا لك ولا لأحد من خلق الله أن يتقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقول ولا فعل ولا أكل ولا شرب.

فقال البراء: أما أبجّل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

قال علي (عليه السلام): ما لذلك قلت، ولكن هذه هدية جاءت بها يهودية تظهر الإسلام، ولسنا نعرف حالها، فإذا أكلته بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو الضامن لسلامتك منه، وإذا أكلته بغير إذنه وكلك إلى نفسك.

وكان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول هذا والبراء يلوك اللقمة.

الذراع تتكلم

قال (عليه السلام): وإذا بالذراع قد أنطقها الله فقالت: يا رسول الله لا تأكلني فإني مسمومة.

وسقط البراء في سكرات الموت ولم يرفع إلا ميتاً.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ايتوني بالمرأة اليهودية التي جاءت بهذا الذراع، فأتي بها، فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟

فقالت: وترتني وتراً عظيماً، قتلتَ أبي وعمي وزوجي وأخي وابني، ففعلت هذا وقلت: إن كان ملكاً فسأنتقم منه، وإن كان نبياً كما يقول فيمنعه الله منه ويحفظه ولن يضره.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لها:

أيتها المرأة لقد صدقت، ثم أضاف: لا يغرّك موت البراء فإنما امتحنه الله لتقدمه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولو كان بأمر رسول الله أكل منه

لكفي شر سمّه.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ادع لي فلاناً وفلاناً، وذكر قوماً من أصحابه فيهم سلمان والمقداد وأبو ذر وعمار وصهيب وبلال، وقال: اقعدوا وتحلقوا عليه.

فوضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده على الذراع المسمومة ونفث عليه، وقال:

«بسم الله الشافي، بسم الله الكافي، بسم الله المعافي، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء ولا داء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»،

ثم قال: كلوا على اسم الله.

فأكل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأكلوا حتى شبعوا، ثم شربوا عليه الماء.

فلما كان اليوم الثاني جاء بها فقال: أليس هؤلاء أكلوا ذلك السم بحضرتك؟ فكيف رأيت دفع الله عن نبيه وصحابته؟

فقالت: يا رسول الله كنت إلى الآن في نبوتك شاكة، والآن قد أيقنت أنك رسول الله حقاً، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وحسن إسلامها.

رضا الإمام علي (عليه السلام) شرط

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام):

ولما حملت جنازة براء بن معرور إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليصلي عليه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أين علي بن أبي طالب؟

قالوا: يا رسول الله إنه ذهب في حاجة رجل من المسلمين إلى قبا، فجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يصلّ عليه.

قالوا: يا رسول الله ما لك لا تصلي عليه؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله عز وجل أمرني أن أؤخر الصلاة عليه إلى أن يحضره علي بن أبي طالب فيجعله في حلّ مما كلمه به بحضرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ليجعل الله موته بهذا السم كفارة له.

فقال بعض من كان قد حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشاهد الكلام الذي تكلم به براء بن معرور: يا رسول الله إنما كان مزاحاً مازح به علياً ولم يكن منه جداً، فيؤاخذه الله عز وجل بذلك؟

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لو كان ذلك منه جداً لأحبط الله تعالى أعماله كلها، ولو كان تصدق بمثل ما بين الثرى إلى العرش ذهباً وفضةً، ولكنه كان مزحاً وهو في حلّ من ذلك، إلا إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يريد أن لا يعتقد أحد منكم أن علياً (عليه السلام) واجد عليه، فأريد أن يجدد بحضرتكم

إحلاله ويستغفر له، ليزيده الله عز وجل بذلك قربةً ورفعةً في جنانه.

فلم يلبث أن حضر علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقال محللاً له: رحمك الله يا براء، ولقد كنت صواماً قواماً، وسممت في سبيل الله، ثم قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) فصلى عليه ودفن.

معجزة تكلم الذئب

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السلام):

وأما كلام الذئب بإعجاز النبي (صلى الله عليه وآله): فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم، إذ جاءه راعٍ ترتعد فرائصه قد استفزعه العجب.

فلما رآه النبي (صلى الله عليه وآله) من بعيد قال لأصحابه، قبل وصوله إليه وهو يشير إليه: إن لصاحبكم هذا شأناً عجيباً.

فلما وقف عليهم قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): حدثنا بما أزعجك؟

قال الراعي: يا رسول الله، أمري عجيب، كنت في غنمي إذ جاء ذئب، فتناول حملاً، فرميته بمقلاعتي فانتزعته منه، ثم جاء إلى الجانب الأيمن فتناول حملاً، فرميته بمقلاعتي فانتزعته منه.

ثم جاء مع أنثاه يريدان أن يتناولا حملاً، فأردت أن أرميه فأقعى على ذنبه وقال: أما تستحيي تحول بيني وبين رزقي وقد قسمه الله لي، أفما أحتاج أنا إلى غذاء أتغذى به؟

فقلت: ما أعجب من هذا، ذئب أعجم يكلمني كلام الآدميين؟

فقال لي الذئب: ألا أنبئك بما هو أعجب من كلامي لك؟ محمد رسول رب العالمين، يحدث الناس بأنباء ما قد سبق من الأولين وما لم يأت من الآخرين، والناس يكذّبونه، واليهود مع علمهم بصدقه ووجوده في كتبهم، التي نزلت من رب العالمين بأنه أصدق الصادقين وأفضل الفاضلين يكذبونه ويجحدونه، ويحك يا راعي، آمن به تأمن من عذاب الله، وأسلم تسلم من سوء العذاب الأليم.

فقلت له: والله لقد عجبت من كلامك، واستحييت من منعي لك، فكل ما شئت الآن من غنمي فدونك، لا أدافعك ولا أمانعك.

إحمد الله على الانقياد

فقال لي الذئب: يا عبد الله، إحمد الله إذ كنتَ ممن يعتبر بآيات الله، وينقاد لأمره، لكن الشقي كل الشقي من يشاهد آيات محمد في أخيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما يؤديه عن الله عز وجل من فضائله، وما يراه من وفور حظ من العلم والعمل الذي لا نظير له فيه، والزهد الذي لا يحاذيه أحد فيه، والشجاعة التي لا عدل له فيها، ونصرته للإسلام التي لا حظ لأحد فيها مثل حظه، ثم يرى مع ذلك كله، رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمر بموالاته وموالاة أوليائه، والتبري من أعدائه، ويخبر أن الله تعالى لا يقبل من أحد عملاً وإن جل

وعظم ممن خالفه، ثم هو مع ذلك يخالفه، ويدفعه عن حقه ويظلمه، ويوالي أعداءه، ويعادي أولياءه، إن هذا أعجب من تكلمي.

قال الراعي: فقلت: أيها الذئب أو كائن هذا؟

قال: بلى، بل وما هو أعظم منه، أنهم سوف يقتلونه باطلاً، ويقتلون ولده، ويسبون حريمهم، ومع ذلك يزعمون أنهم مسلمون يدّعون أنهم على دين الإسلام.

قال الراعي: فقلت: والله لولا هذه الأغنام أمانة في رقبتي لقصدت محمداً (صلى الله عليه وآله) حتى أراه.

فقال لي الذئب: يا عبد الله فامض إلى محمد، واترك الننم عليّ لأرعاها.

فقلت: كيف أثق بأمانتك؟

فقال لي: يا عبد الله إن الذي أنطقني بما سمعت هو الذي يجعلني قوياً أميناً عليها، أو لست مؤمناً بمحمد، مسلّماً له، فامض لشأنك فإني راعيك، والله عز وجل.

قال الراعي مسترسلاً: فتركت غنمي على الذئب والذئبة وجئتك يا رسول الله.

فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وجوه القوم، وفيها ما يتهلل سروراً به، وفيها من يعبس شكاً فيه وتكذيباً.

فأسرّ المنافقون وقالوا: إن هذا قد واطأه محمد ليخدع به الضعفاء الجهال.

فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من إسرارهم ذلك بإخبار الله له وقال: لئن شككتم أنتم فيه فقد تيقنته أنا وصاحبي صاحب المناقب: علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي جعله الله لديني قواماً، ولعلومي أعلاماً، وفي الحروب مقداماً، وعلى أعدائه ضرغاماً، أسداً قمقاماً، لم يضرني عبوس المعبّس منكم.

ثم قال (صلى الله عليه وآله): هذا الراعي ولم يباعد مشاهدته فهلموا بنا إلى قطيعه ننظر إلى الذئبين فإن كلّمتا ووجدناهما يرعيان غنمه، وإلا كنا على رأس أمرنا.

الذئب ومعجزة رعي الغنم

يقول الإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السلام):

فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار، فلما رأوا القطيع من بعيد قال الراعي: ذاك قطيعي.

فقال المنافقون: فأين الذئبان؟

فلما قربوا رأوا الذئبين يطوفان حول الغنم يردان عنها كل غنم يبعدها.

فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): أتحبون أن تعلموا أن الذئب ما عنى غيري بكلامه؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال (صلى الله عليه وآله): أحيطوا بي حتى لا يراني الذئبان.

فأحاطوا به، وقال للراعي: يا راعي قل للذئبين: من محمد الذي ذكرته من بين هؤلاء؟

قال: فجاء الذئب يكشف الجميع إلى أن وصل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو وأنثاه، وقالا: السلام عليك يا رسول الله وسيد الخلق أجمعين، ووضعا خدودهما على التراب ومرغاها بين يديه، وقالا: نحن كنا دعاة إليك، بعثنا إليك هذا الراعي وأخبرناه بخبرك.

فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المنافقين معه فقال: ما للكافرين عن هذا محيص، ولا للمنافقين عن هذا معدل، وقد علمتم صدق الراعي فيها، أتحبون أن تعلموا صدقه في الثانية ـ يعني علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال (صلى الله عليه وآله): أحيطوا بعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، ففعلوا.

ثم نادى رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أيها الذئبان إن هذا محمد، قد أشرتما للقوم إليه، فأشيرا إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي ذكرتماه.

قال: فجاءه الذئبان وتخللا القوم حتى بلغا علياً (عليه السلام)، فمرغا في التراب أبدانهما، ووضعا على الأرض بين يديه خدودهما، وقالا: السلام عليك يا وصي المصطفى، وعالماً في الصحف الأولى، السلام عليك يا من أسعد الله به محبيه وأشقى بعداوته شانئيه.

فعجب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين كانوا معه، وقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن لعلي (عليه السلام) هذا المحل من السباع مع محله منك.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فكيف لو رأيتم محله من سائر الحيوانات المبثوثات في البر والبحر، وتواضع أملاك سدرة المنتهى والحجب والعرش والكرسي؟

معجزة حنين الجذع

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام):

وأما حنين الجذع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله): فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يخطب بالمدينة ويتكئ إلى جذع نخلة في صحن مسجدها، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله إن الناس قد كثروا، وإنهم يحبون النظر إليك حين تخطب، فلو أذنت أن يعملوا لك منبراً له مراقي ترقاها، فيراك الناس إذا خطبت، فأذن في ذلك.

فلما كان يوم الجمعة وكانوا قد أحضروا المنبر ونصبوه في المسجد، مرّ النبي (صلى الله عليه وآله) بالجذع فجاوزه إلى المنبر فصعده، فلما استوى عليه حنّ ذلك الجذع حنين الثكلى، وأنّ أنين الحبلى، فارتفع بكاء الناس وحنينهم وأنينهم.

فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك، نزل عن المنبر وأتى الجذع فاحتضنه ومسح عليه يده، وقال: أسكن فما تجاوزك رسول الله تهاوناً بك،

ولا استخفافاً بحرمتك، ولكن ليتمّ لعباد الله مصلحتهم، فهدأ حنينه وأنينه.

معجزة رد الكيد على صاحبه

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام):

وأما ردّ الله كيد الذين قصدوا إهلاك النبي والوصي وخواصهما في نحورهم، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما ظهر بالمدينة اشتد حسد عبد الله ابن أُبيّ له، فدبر عليه أن يحفروا له حفيرة في مجلس من مجالس داره، ويبسطوا فوقها بساطاً، وينصبوا في أسفل الحفيرة أسنةً ورماحاً، وينصبوا سكاكين مسمومة، ويشدوا أحد جوانب البساط والفراش إلى الحائط، ليدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخواصه مع علي (عليه السلام)، فإذا وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجله على البساط وقع في الحفيرة.

وكان قد خبّأ في داره رجالاً بسيوف مشهورة يخرجون على علي (عليه السلام) ومن معه عند وقوع محمد (صلى الله عليه وآله) في الحفيرة فيقتلونهم بها.

ثم دبر السم في طعامه.

فجاء جبرائيل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأخبره بذلك.

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قام بعد إخبار جبرائيل له، ودخل هو مع علي (عليه السلام) وخواصهما عليهم، وقعد هو وعلي (عليه السلام) على البساط وحوله أصحابه، وأكلوا من الطعام المسموم ولم يصبهم مكروه.

ثم جاء أصحاب عبد الله بن أُبي وأكلوا من فاضل الطعام ظناً منهم أنه ليس بمسموم فماتوا بأجمعهم، وجائت بنت عبد الله بن أبي ورأت تحت البساط أرضاً ملتئمة، فجلست على البساط واثقة، فأعاد الله الحفيرة فسقطت فيها وهلكت، فوقعت الصيحة.

فقال عبد الله بن أُبي: إياكم أن تقولوا وقعت في الحفيرة، فيعلم محمد ما دبرناه عليه، بل قولوا: سقطت من السطح.

فقال (صلى الله عليه وآله): أنا أعلم بماذا ماتت.

معجزة تكثير الطعام

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام):

أما تكثير الله القليل من الطعام: فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يوماً جالساً هو وأصحابه وقال: أشتهي حريرة، وقال الآخر: أشتهي لحم حَمَل مشوي.

فقال عبد الله بن أُبيّ: هذا والله اليوم الذي أكيد فيه محمداً ونقتله ونخلص العباد والبلاد منه.

فقال: يا رسول الله، أنا أضيفكم، فإنه يوجد عندي شيء من برّ وسمن وعسل، ويوجد عندي حَمَل مشوي.

فعمل ما يشتهون وجعل فيه السم، ثم جاء فقال: هلموا إليّ.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنا ومن معي من هؤلاء؟

فقال: دون هؤلاء، لأن الشيء قليل لا يشبع أكثر من خمسة إلى عشرة.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله تعالى يبارك لنا، فنادى: يا معاشر المهاجرين والأنصار، هلموا إلى مائدة عبد الله بن أُبيّ، فجاؤوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم سبعمائة، فأكلوا حتى شبعوا ووسعهم البيت، ثم خرجوا سالمين ولم يصبهم مكروه.

النبي و نفر من مشركي قريش

وهذا كتاب الاحتجاج [١] للشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، يحدثنا بحذف الأسناد، عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) أنه قال:

قلت لأبي - أبي الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام) - هل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه، ويحاجهم إذا حاجّوه؟

فقال أبي في جوابي: بلى يا بني، وذلك مراراً كثيرةً، ثم أخذ يعدّد بعضها قائلاً ما يلي:

منها: ما حكى الله من قولهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَـذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ [٢] ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [٣].

---

(١) الاحتجاج: ج١ ص٢٦ احتجاج النبي (صلى الله عليه وآله) مع جماعة من المشركين، عن لسان الإمام الهادي (عليه السلام)، بتصرف.

(٢) سورة الفرقان: ٧ و٨.

(٣) سورة الزخرف: ٣١.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ﴾[1]، أنزلتَ علينا كسفاً من السماء ونزلت علينا الصاعقة في مسألتنا إليك، لأن مسألتنا أشد من مسائل قوم موسى لموسى (عليه السلام).

قال: وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم بمكة في فناء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبو البختري ابن هشام، وأبو جهل، والعاص بن وائل السهمي، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي، وكان معهم جمع ممن يليهم كثير، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في نفر من أصحابه، يقرأ عليهم كتاب الله، ويؤدي إليهم عن الله أمره ونهيه.

فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمد، وعظم خطبه، فتعالوا نبدأ بتقريعه وتبكيته وتوبيخه، والاحتجاج عليه وإبطال ما جاء به، ليهون خطبه على أصحابه، ويصغر قدره عندهم، فلعله ينزع عما هو فيه، فإن انتهى، وإلا عاملناه بالسيف الباتر.

---

(١) سورة الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

المخزومي لسان القوم

عندها قال أبو جهل: فمن ذا الذي يلي كلامه ومجادلته؟

قال عبد الله بن أبي أمية المخزومي: أنا إلى ذلك، أفما ترضاني له قرناً حسيباً، ومجادلاً كفياً؟

قال أبو جهل: بلى.

فأتوه بأجمعهم، فابتدأ عبد الله بن أبي أمية المخزومي وقال: يا محمد لقد ادعيتَ دعوى عظيمة، وقلتَ مقالاً هائلاً، زعمتَ أنك رسول رب العالمين، وما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق أجمعين، أن يكون مثلك رسوله بشراً مثلنا، تأكل كما نأكل، وتشرب كما نشرب، وتمشي في الأسواق كما نمشي.

فهذا ملك الروم، وهذا ملك الفرس، لا يبعثان رسولاً إلاّ كثير المال، عظيم الحال، له قصور ودور، وفساطيط وخيام، وعبيد وخدام، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده.

ولو كنتَ نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنما يبعث ملكاً لا بشراً مثلنا، ما أنت يا محمد إلاّ رجلاً مسحوراً ولستَ بنبي!.

تصدي الرسول الكريم للجواب

وهنا التفت إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) مراعياً أسلوب الحوار، ومحترماً قواعده، مع أن كلام الخصم كان نابياً وخارجاً عن قواعد البحث العلمي وقال:

هل بقي من كلامك يا عبد الله شيء؟

قال: بلى، ثم واصل كلامه بكل صلافة، متناسياً مكانة الرسول الكبيرة عندهم، وأنه لديهم الصادق الأمين، قائلاً:

لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجلّ من فيما بيننا، أكثره مالاً، وأحسنه حالاً، فهلا أنزل هذا القرآن الذي تزعم أن الله أنزله عليك، وابتعثك به رسولاً، على رجل من القريتين عظيم: إما الوليد بن المغيرة بمكة، وإما عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

وهنا أيضاً وللمرة الثانية، التفت إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) متحملاً صلافة الخصم، ومتجملاً بمراعاة قواعد الحوار، قائلاً: هل بقي من كلامك شيء يا عبد الله؟

قال: بلى، ثم استرسل في سفاسفه وقال متعنّتاً:

ولن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكة هذه، فإنها ذات أحجار وعرة وجبال، تكسح أرضها وتحفرها، وتجري فيها العيون، فإنا إلى

ذلك محتاجون، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب، فتأكل منها وتطعمنا، فتفجر الأنهار خلالها: خلال تلك النخيل والأعناب تفجيراً.

أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً، فإنك قلت لنا: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾[1]، فلعلنا نقول ذلك.

أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً، تأتي به وبهم وهم لنا مقابلون.

أو يكون لك بيت من زخرف تعطينا منه وتغذينا به، فلعلنا نطغى، وأنك قلت لنا: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[2].

أو ترقى وتصعد في السماء ولن نؤمن لرقيك وصعودك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرأه من الله العزيز الحكيم إلى عبد الله بن أبي أمية المخزومي ومن معه بأن آمنوا بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب فإنه رسولي، وصدقوه في مقاله فإنه من عندي.

ثم لا أدري يا محمد إذا فعلت هذا كله أؤمن بك، أو لا أؤمن بك، بل لو رفعتنا إلى السماء، وفتحت أبوابها وأدخلتناها، لقلنا: إنما سكّرت أبصارنا وسحرتنا.

وهنا أيضاً وللمرة الثالثة، التفت إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال، بكل وقار وسكون، وصبر وحلم: وهل بقي يا مخزومي شيء من كلامك؟

---

(١) سورة الطور: ٤٤.

(٢) سورة العلق: ٦ ـ ٧.

أجاب، وطابعُ الجفاء والغلظة طافح من كلامه، قائلاً: يا محمد أو ليس فيما أوردته عليك كفاية وبلاغ، ما بقي شيء فقل ما بدا لك، وأفصح عن نفسك إن كانت لك حجة، وأتنا بما سألناك به؟

وهنا حين استلزم هذا اللقاء الرد، وتطلب هذا الحوار الإجابة، واستدعى أن يجيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنه، وأن يلقي الضوء عليه، وأن يكشف عن أسئلة القوم التعنّتية، واقتراحاتهم التعسّفية، استمد من الله تعالى العون على ذلك، وطلب منه الظفر عليهم، ودعاه سبحانه قائلاً: «اللهم أنت السامع لكل صوت، والعالم بكل شيء، تعلم ما قاله عبادك».

الوحي يُمد الرسول الكريم

فما أن تم دعاء الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) حتى أنزل الله تعالى عليه: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَ رَجُلاً مَسْحُوراً * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً * تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾[1] ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ

(١) سورة الفرقان: ٧ـ١٠.

كَنْزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[١].

﴿وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[٢].

الرسول الكريم يستمد من الوحي

استعان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بما أنزل الله تعالى عليه، واستمد من الوحي الذي هبط إليه، ثم التفت إلى محاوره وهو يقول: يا عبد الله، أما ما ذكرتَ من أني آكل الطعام كما تأكلون، وزعمتَ أنه لا يجوز لأجل هذا أن أكون لله رسولاً، فإنما الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو محمود في ذلك كله، وليس لك ولا لأحد الاعتراض عليه بلِمَ وكيف، ألا ترى كيف أفقر الله تعالى بعضاً، وأغنى بعضاً، وأعزّ بعضاً، وأذلّ بعضاً، وأسقم بعضاً، وشرّف بعضاً، ووضع بعضاً، وكلّهم ممن يأكل الطعام.

ثم واصل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) حديثه وجوابه قائلاً: ثم ليس للفقراء أن يقولوا: لم أفقرتنا وأغنيتهم، ولا للوضعاء أن يقولوا لم وضعتنا وشرفتهم، ولا للزمنى والضعفاء أن يقولوا لم أزمَنتنا وأضعفتنا وصححتهم، ولا للأذلاء أن يقولوا لم أذلَلتنا وأعززتهم، ولا لقباح الصور أن يقولوا لم قبّحتنا وجمّلتهم؟.

---

(١) سورة هود: ١٢.

(٢) سورة الأنعام: ٨ ـ ٩.

بل إن قالوا ذلك كانوا على ربهم رادّين، وله في أحكامه منازعين وبه كافرين، ولكان جوابه تعالى لهم: أنا الملك الخافض الرافع، المغني المفقر، المعز المذل، المصحح المسقم، وأنتم العبيد وليس لكم إلا التسليم لي، والانقياد لحكمي، فإن سلمتم كنتم عباداً مؤمنين، وإن أبيتُم كنتم بي كافرين، وبعقوباتي من الهالكين.

التأييد السماوي للرسول

ولما بلغ الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في جوابه هذا المبلغ، أنزل الله تعالى إليه: يا محمد ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ - يعني آكل الطعام - ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[1]، يعني قل لهم: أنا في البشرية مثلكم، ولكن ربي خصّني بالنبوة دونكم، كما يخصّ بعض البشر دون بعض بالغنى والصحة، والبهاء والجمال، فلا تنكروا أن يخصّني دونكم بالرسالة والنبوة.

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.

مناقشة إشكالية البساطة والزهادة

ثم بعد أن استقوى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بالتأييد الرباني والمدد السماوي، واصلَ كلامه مع محاوره وهو يقول: وأما قولك يا عبد الله: "هذا ملك الروم وملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلا كثير المال، عظيم الحال، له قصور ودور، وفساطيط وخيام، وعبيد وخدام، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده".

فاعلم بأن الله له التدبير والحكم، لا يفعل على ظنك وحسبانك، ولا بأطروحتك واقتراحك، بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو محمود على ذلك كله.

يا عبد الله، إنما بعث الله نبيه ليعلّم الناس دينهم، ويدعوهم إلى ربهم، ويكدّ نفسه في ذلك آناء الليل وطول نهاره، فلو كان صاحب قصور يحتجب فيها، وعبيد وخدم يسترونه عن الناس، أليس كانت الرسالة تضيع، والأمور تتباطأ، أو ما ترى الملوك إذا احتجبوا كيف يجري الفساد وتستشري القبائح من حيث لا يعلمون به ولا يشعرون؟

يا عبد الله، إنما بعثني الله ولا مال لي، ليعرفكم قدرته وقوته، وأنه هو الناصر لرسوله، ولا تقدرون على قتله، ولا منعه في رسالته، فهذا بيّن في قدرته وفي عجزكم، وسوف يظفرني الله بكم فأسعكم قتلاً وأسراً، ـ وهذا

تهديد لهم فحسب، لأنه (صلى الله عليه وآله) لما ظفر بهم عفى عنهم وقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم يظفرني الله ببلادكم ويستولي عليها المؤمنون من دونكم ودون من يوافقكم على دينكم.

مناقشة إشكالية عدم بعث الملائكة

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وأما قولك لي: لو كنتَ نبياً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنما يبعث ملكاً لا بشراً مثلنا.

فاعلم أن الملك لا تشاهده حواسكم، لأنه من جنس هذا الهواء لا عيان له، ولو شاهدتموه - بأن يزاد في قوى أبصاركم - لقلتم: ليس هذا ملكاً بل هذا بشر، لأنه إنما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي الفتموه، لتفهموا عنه مقالته، وتعرفوا خطابه ومراده، فكيف كنتم تعلمون صدق الملك وأن ما يقوله حق؟

بل إنما بَعَث بشراً وأظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم، فتعلمون بعجزكم عما جاء به أنه معجزة، وأن ذلك شهادة من الله بالصدق له.

ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما تعجزون عنه ويعجز عنه جميع البشر، لم يكن في ذلك ما يدلكم على أن ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من

الملائكة حتى يصير ذلك معجزاً، ألا ترون أن الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجز، لأن لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها، ولو أن آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً.

فإن الله عز وجل سهل عليكم الأمور، وجعله بحيث تقوم عليكم حجته وأنتم تقترحون عمل الصعب الذي لا حجة فيه.

مناقشة إشكالية المسحورية

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وأما قولك ما أنت إلاّ رجل مسحور.

فكيف أكون كذلك وقد تعلمون أني في صحة التمييز والعقل فوقكم؟

فهل جربتم عليّ منذ نشأتُ إلى أن استكملتُ أربعين سنة، خزيةً أو زلّةً، أو كذبة أو خيانة، أو خطأ من القول، أو سفهاً من الرأي؟

أتظنون أن رجلاً يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوتها، أو بحول الله وقوته، وذلك ما قال الله: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**﴾[1]، إلى أن يُثبتوا عليك عمىً بحجة، أكثر من دعاويهم الباطلة التي تبيّن عليك تحصيل بطلانها.

---

(١) سورة الإسراء: ٤٨.

مناقشة إشكالية اختيار الرسول

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وأما قولك: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف، فاعلم أن الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت، ولا خطر له عنده كما له عندك، بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سقى كافراً به مخالفاً له شربة ماء.

وليس قسمة رحمة الله إليك، بل الله هو القاسم للرحمات، والفاعل لما يشاء في عبيده وإمائه.

وليس هو عز وجل ممن يخاف أحداً كما تخافه أنت لماله وحاله فتعرفه بالنبوة لذلك، ولا ممن يطمع في أحد في ماله أو في حاله كما تطمع أنت فتخصه بالنبوة لذلك، ولا ممن يحب أحداً محبة الهواء كما تحب أنت فتقدّم من لا يستحق التقديم، وإنما معاملته بالعدل، فلا يؤثر إلاّ بالعدل لأفضل مراتب الدين وجلاله، وكذلك لا يؤخّر في مراتب الدين وجلاله إلاّ أشدهم تباطؤاً عن طاعته، وإذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى حال، بل هذا المال والحال من تفضله، وليس لأحد من عباده عليه ضريبة لازمة.

فلا يقال له: إذا تفضلت بالمال على عبد فلابد أن تتفضل عليه بالنبوة أيضاً، لأنه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده، ولا إلزامه تفضلاً، لأنه

تفضل قبله بنعمه، ألا ترى يا عبد الله كيف أغنى واحداً وقبّح صورته، وكيف حسّن صورة واحد وأفقره، وكيف شرّف واحداً وأفقره، وكيف أغنى واحداً ووضعه؟

لا يُسأل عما يفعل

ثم ليس لهذا الغني أن يقول: هلا أُضيف إلى يساري جمال فلان؟ ولا للجميل أن يقول: هلا أُضيف إلى جمالي مال فلان؟ ولا للشريف أن يقول: هلا أُضيف إلى شرفي مال فلان؟ ولا للوضيع أن يقول: هلا أُضيف إلى ضعتي شرف فلان؟

ولكن الحكم لله، يقسم كيف يشاء، ويفعل كما يشاء، وهو حكيم في أفعاله، محمود في أعماله، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ فأجابهم سبحانه بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]، فأحوجنا بعضاً إلى بعض، أحوج هذا إلى مال ذاك، وأحوج ذاك إلى سلعة هذا وإلى خدمته.

فترى أجلّ الملوك وأغنى الأغنياء محتاجاً إلى أفقر الفقراء في ضرب من الضروب، إما سلعة معه ليست معه، وإما خدمة يصلح لها لا يتهيأ لذلك الملك

(١) سورة الزخرف: ٣١ ـ ٣٢.

أن يستغني إلا به، وإما باب من العلوم والحِكَم هو فقير إلى أن يستفيدها من هذا الفقير، فهذا الفقير يحتاج إلى مال ذلك الملك الغني، وذلك الملك يحتاج إلى علم هذا الفقير أو رأيه أو معرفته.

ثم ليس للملك أن يقول: هلا اجتمع إلى مالي علم هذا الفقير، ولا للفقير أن يقول: هلا اجتمع على رأيي وعلمي وما أتصرف فيه من فنون الحكمة مال هذا الملك الغني، ثم قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ ثم قال: يا محمد قل لهم: ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1]، أي ما يجمعه هؤلاء من أموال الدنيا.

مناقشة إشكالية إتيان المعجزات

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وأما قولك: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ... إلى آخر ما قلته، فإنك قد اقترحت على محمد رسول الله أشياء.

منها: ما لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوته، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يرتفع عن أن يغتنم جهل الجاهلين، ويحتج عليهم بما لا حجة فيه.

ومنها: ما لو جاءك به كان معه هلاكك، وإنما يؤتى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الإيمان بها، لا ليهلكوا بها، فإنما اقترحت هلاكك وربُّ العالمين

(١) سورة الزخرف: ٣٢.

أرحم بعباده، وأعلم بمصالحهم من أن يهلكم كما تقترحون.

ومنها: المحال الذي لا يصح ولا يجوز كونه، ورسول رب العالمين يعرّفك ذلك، ويقطع معاذيرك، ويضيق عليك سبيل مخالفته، ويلجئك بحجج الله إلى تصديقه، حتى لا يكون لك عنه محيد ولا محيص.

ومنها: ما قد اعترفتَ على نفسك أنك فيه معاند متمرد لا تقبل حجةً ولا تصغي إلى برهان، ومن كان كذلك فدواؤه عذاب الله النازل من سمائه، أو في جحيمه، أو بسيوف أوليائه.

تفجير الأرض عيوناً

فأما قولك يا عبد الله: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكة هذه، فإنها ذات أحجار وصخور وجبال تكسح أرضها وتحفرها، وتجري فيها العيون، فإننا إلى ذلك محتاجون، فاعلم أنك سألت هذا وأنت جاهل بدلائل الله. يا عبد الله أرأيتَ لو فعلتُ هذا أكنتُ من أجل هذا نبياً؟

قال: لا.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أرأيتَ بالطائف التي لك فيها بساتين، أماكان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتَها وذلّلتَها وكسحتَها، وأجريتَ فيها عيوناً استنبطتها؟

قال: بلى.

قال (صلى الله عليه وآله): وهل لك في هذا نظراء؟

قال: بلى.

قال (صلى الله عليه وآله): فصرتَ أنت وهم بذلك أنبياء؟

قال: لا.

قال (صلى الله عليه وآله): فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد لو فعله على نبوته، فما هو إلا كقولك: لن نؤمن لك حتى تقوم وتمشي على الأرض كما يمشي الناس، أو حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس.

جنة من نخيل

وأما قولك يا عبد الله: أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا وتفجر الأنهار خلالها تفجيراً، أو ليس لك ولأصحابك جنات من نخيل وعنب بالطائف تأكلون وتطعمون منها، وتفجرون الأنهار خلالها تفجيراً، أفصرتم أنبياء بهذا؟

قال: لا.

قال (صلى الله عليه وآله): فما بال اقتراحكم على رسول الله أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه، بل لو تعاطاها لدل تعاطيها على كذبه، لأنه يحتج بما لا حجة فيه، ويختدع الضعفاء عن عقولهم وأديانهم، ورسول رب العالمين يجلّ ويرتفع عن هذا.

سقوط السماء

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عبد الله وأما قولك: أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً، فإنك قلتَ: وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم، فإن في سقوط السماء عليكم هلاككم وموتكم.

فإنما تريد بهذا من رسول الله أن يهلكك، ورسول رب العالمين أرحم من ذلك، لا يهلكك ولكنه يقيم عليك حجج الله.

وليس حجج الله لنبيه وحده على حساب اقتراح عباده، لأن العباد جهال بما يجوز من الصلاح وما لا يجوز منه من الفساد، وقد يختلف اقتراحهم ويتضاد حتى يستحيل وقوعه، والله عز وجل طبيبكم، لا يجري تدبيره على ما يلزم به المحال.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وهل رأيت يا عبد الله طبيباً كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحهم؟ وإنما يفعل به ما يعلم صلاحه فيه، أحبه العليل أو كرهه، فأنتم المرضى والله طبيبكم، فإن انقدتم لدوائه شفاكم، وإن تمردتم عليه أسقمكم.

وبعد فمتى رأيت يا عبد الله مدعي حق من قِبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بيّنة على دعواه على حسب اقتراح المدعى عليه، إذاً ما كان يثبت لأحد على أحد دعوى ولا حق، ولا كان بين ظالم ومظلوم،

ولا بين صادق وكاذب فرق.

السؤال المحال

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عبد الله، وأما قولك: أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً يقابلوننا ونعاينهم، فإن هذا من المحال الذي لا خفاء به، وأن ربنا عز وجل ليس كالمخلوقين يجيء ويذهب، ويتحرك ويقابل شيئاً حتى يؤتى به، فقد سألتم بهذا المحال.

وإنما هذا الذي دعوتَ إليه صنعة أصنامكم الضعيفة المنقوصة، التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تعلم ولا تُغني عنكم شيئاً ولا عن أحد.

يا عبد الله، أو ليس لك ضياع وجنان بالطائف، وعقار بمكة وقوّام عليها؟

قال: بلى.

قال (صلى الله عليه وآله): أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك وبين معامليك؟

قال: بسفراء.

قال (صلى الله عليه وآله): أرأيتَ لو قال لك معاملوك وأكرتك وخدمك لسفرائك: لا نصدقكم في هذه السفارة إلا أن تأتونا بعبد الله بن أبي أمية لنشاهده فنسمع ما تقولون عنه شفاهاً، كنت تسوغهم هذا، أو كان يجوز لهم

عندك ذلك؟

قال: لا.

قال (صلى الله عليه وآله): فما الذي يجب على سفرائك، أليس أن يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلهم على صدقهم يجب عليهم أن يصدقوهم؟

قال: بلى.

قال (صلى الله عليه وآله): يا عبد الله، أرأيتَ سفيرك لو أنه لما سمع منهم هذا عاد إليك وقال لك: قم معي فإنهم قد اقترحوا عليّ مجيئك معي، أليس يكون هذا لك مخالفاً، وتقول له: إنما أنت رسول لا مشير ولا آمر؟

قال: بلى.

قال (صلى الله عليه وآله): فكيف صرتَ تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوغ لأكرتك ومعامليك أن يقترحوه على رسولك إليهم؟ وكيف أردتَ من رسول رب العالمين أن يستذم إلى ربه بأن يأمر عليه وينهى وأنت لا تسوغ مثل هذا على رسولك إلى أكرتك وقوّامك، هذه حجة قاطعة لإبطال جميع ما ذكرتَه في كل ما اقترحته يا عبد الله.

بيت من زخرف

وأما قولك يا عبد الله: أو يكون لك بيت من زخرف ـ وهو الذهب ـ، أما بلغك أن لعظيم مصر بيوتاً من زخرف؟

قال: بلى.

قال (صلى الله عليه وآله): أفصار بذلك نبياً؟

قال: لا.

قال (صلى الله عليه وآله): فكذلك لا يوجب لمحمد نبوة لو كان له بيوت (أي: بيوت من ذهب)، ومحمد لا يغتنم جهلك بحجج الله.

الرقي في السماء

وأما قولك يا عبد الله: أو ترقى في السماء، ثم قلت: ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه، فاعلم يا عبد الله أن الصعود إلى السماء أصعب من النزول عنها، وإذا اعترفت على نفسك أنك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النزول.

ثم قلت: حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه من بعد ذلك ثم لا أدري أومن بك أو لا أومن بك، فأنت يا عبد الله مقر بأنك تعاند حجة الله عليك، فلا دواء لك إلا تأديبه لك على يد أوليائه من البشر، أو ملائكته الزبانية، وقد أنزل الله عليّ

حكمة بالغة جامعة لبطلان كل ما اقترحته، فقال عز وجل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَ بَشَراً رَسُولاً﴾[1].

ما أبعد ربي عن أن يفعل الأشياء على ما يقترحه الجهال مما يجوز ومما لا يجوز، وهل كنتُ إلاّ بشراً رسولاً لا يلزمني إلا إقامة حجة الله التي أعطاني، وليس لي أن آمر على ربي ولا أنهى ولا أشير، فأكون كالرسول الذي بعثه ملك إلى قوم من مخالفيه فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما اقترحوه عليه.

إشكالية أبي جهل ومناقشتها

فقال أبو جهل: يا محمد ها هنا واحدة، ألست زعمت أن قوم موسى احترقوا بالصاعقة لما سألوه أن يريهم الله جهرة؟

قال (صلى الله عليه وآله): بلى.

قال: فلو كنت نبياً لاحترقنا نحن أيضاً، فقد سألنا أشد مما سأل قوم موسى، لأنهم كما زعمت قالوا: أرنا الله جهرة، ونحن نقول: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً نعاينهم.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أبا جهل أما علمتَ قصة إبراهيم الخليل لما رُفع في الملكوت، وذلك قول ربي:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

---

(١) سورة الإسراء: ٩٣.

﴿الْمُوقِنِينَ﴾[١]، قوّى الله بصره لما رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين، فرأى رجلاً وامرأةً على فاحشة، فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا.

ثم رأى آخرين فهمّ بالدعاء عليهما، فأوحى الله إليه: يا إبراهيم، اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي، فإني أنا الغفور الرحيم، الجبار الحليم، لا يضرني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم، ولست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك، فأكفف دعوتك عن عبادي وإمائي، فإنما أنت عبد نذير، لا شريك في الملك، ولا مهيمن علي ولا على عبادي.

وعبادي معي بين خلال ثلاث:

إما أن يتوبوا إليّ، فأتوب عليهم وأغفر ذنوبهم وأستر عيوبهم.

وإما أن أكف عنهم عذابي، لعلمي بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون، فأرفق بالآباء الكافرين، وأتأنى بالأمهات الكافرات، وأرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم، فإذا تزايلوا حلّ بهم عذابي، وحاق بهم بلائي.

وإن لم يكن هذا ولا هذا، فإن الذي أعددته لهم من عذابي أعظم مما تريده بهم، فإن عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي، يا إبراهيم خلّ

---

(١) سورة الأنعام: ٧٥.

بيني وبين عبادي، فأنا أرحم بهم منك، وخل بيني وبين عبادي، فإني أنا الجبار الحليم، العلام الحكيم، أدبّرهم بعلمي، وأنفذ فيهم قضائي وقدري.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أبا جهل، إنما دفع الله عنك العذاب لعلمه بأنه سيخرج من صلبك ذرية طيبة... وإلا فالعذاب نازل عليك، وكذلك سائر قريش السائلين لما سألوا من هذا، إنما أُمهلوا لأن الله علم أن بعضهم سيؤمن بمحمد وينال به السعادة، فهو تعالى لا يقطعه عن تلك السعادة ولا يبخل بها عليه، أو من يولد منه مؤمن، فهو يُنظر أباه لإيصال ابنه إلى السعادة، ولولا ذلك لنزل العذاب بكافتكم.

ثم قال (صلى الله عليه وآله): يا أبا جهل انظر إلى السماء.

فنظر فإذا أبوابها مفتحة، وإذا النيران نازلة منها مسامتة لرؤوس القوم تدنو منهم، حتى وجدوا حرّها بين أكتافهم، فارتعدت فرائص أبي جهل والجماعة.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تروعنكم فإن الله لا يهلككم بها، وإنما أظهرها عبرة.

ثم نظروا إلى السماء وإذا قد خرج من ظهور الجماعة أنوار قابلتها ورفعتها ودفعتها حتى أعادتها في السماء كما جاءت منها.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن بعض هذه الأنوار أنوار من قد علم الله أنه سيسعده بالإيمان بي منكم من بعد، وبعضها أنوار ذرية طيبة ستخرج من

بعضكم ممن لا يؤمن وهم يؤمنون»[١].

موسى يسأل والله تعالى يُجيب

وهذا كتاب "تاريخ سامراء"، يروي لنا عن الشيخ أبي جعفر محمد بن بابويه الصدوق في أماليه، بسنده عن السيد عبد العظيم الحسني (عليه السلام) المدفون في الري بطهران، عن الإمام الهمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قصّ علينا بعض ما ناجى به موسى بن عمران (عليه السلام) ربه ـ ليكون عبرةً وعِظَةً لنا ـ قائلاً ما يلي:

لما كلم الله عز وجل موسى بن عمران (عليه السلام) اغتنم موسى فرصة ما منحه الله تعالى من توفيق مناجاته ونعمة تكليمه، ليسأله عن مسائل كانت تدور في ذهنه وتتلجلج على لسانه، يستفاد هو منها ويفيد الآخرين بها، فقال بأدب وخضوع منادياً ربه:

إلهي ما جزاء من شهد من أمتي بتوحيدك، وشهد بأني رسولك ونبيك، وصدّق بأنك ناجيتني وكلمتني من بين الناس أجمعين؟

ـ وهذا في زمانه (عليه السلام)، وفي زماننا يشهد بعد توحيد الله برسالة النبي الخاتم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) وولاية أوصيائه وأهل بيته المعصومين

---

(١) الاحتجاج: ج١ ص٢٦ احتجاج النبي (صلى الله عليه وآله) مع جماعة من المشركين، عن لسان الإمام الهادي (عليه السلام)، بتصرف.

(عليهم السلام) كما بشّر بهم موسى (عليه السلام)، مضافاً إلى الإيمان بموسى والأنبياء السابقين ـ .

قال الله عز وجل في جواب سؤال موسى (عليه السلام): يا موسى أرسل إليه ملائكتي فتبشّره عند موته بجنّتي.

قال موسى (عليه السلام) وبخشوع وتواضع: إلهي فما جزاء من أطاعك وتعبّد لك وقام بين يديك يصلي ممتثلاً أمرك بالصلاة؟

قال الله تعالى وهو يجيب كليمه: أُباهي به يا موسى ملائكتي راكعاً وساجداً، وقائماً وقاعداً، ومَن باهيتُ به ملائكتي وقيته من نار جهنم ولا أعذبه بعذابي.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من أطاعك بخدمة عبادك وأطعم مسكيناً ابتغاء وجهك وطلباً لمرضاتك؟

قال الله سبحانه: يا موسى آمر منادياً ينادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق: أن فلان بن فلان من عتقاء الله من النار.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من أطاعك في صلة الأرحام ووصل رحمه بتفقد حال، وتحية وسلام، وهدية ومال؟

قال الله عز وجل: يا موسى أُنسي له أجله، وأهوّن عليه سكرات الموت، وينادي خزنة الجنة ـ رضوان ومن معه ـ: هلمّ إلينا فادخل الجنة من أيّ أبوابها شئت.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من كان لك ذاكراً ومنك مراقباً، فذكرك بلسانه وبقلبه معاً، ولم يغفل قلبه بانشغاله بحب الدنيا وزخارفها؟

قال الله تبارك وتعالى: يا موسى أظلله يوم القيامة ـ يوم لا ظل إلا بأمر الله ـ بظل عرشي، وأجعله في كنفي.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من تلا حكمتك ـ وهو في زماننا القرآن الكريم وتفسير أهل البيت للقرآن الكريم وأحاديثهم الشريفة ـ سراً وجهراً، وخُفيةً وعلانيةً؟

قال الله سبحانه: يا موسى يمرّ على الصراط ـ وهو جسر على جهنم والعياذ بالله من نارها وعذابها ـ كالبرق الخاطف.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من أحسن معاشرة من معه والمجتمع الذي فيه، فصبر على أذى الناس وتحمل عناءهم فيك، ومن أجل رضاك؟

قال الله تعالى: يا موسى أُعينه ـ في يوم كثير الهول، شديد الوقع، حيث لا معين غيره تعالى في ذلك اليوم وهو ـ يوم القيامة على شدائدها وأهوالها.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من خاف مقامك ودمعت عيناه من خشيتك؟

قال الله عز وجل: يا موسى أقي وجهه من حر النار ـ حيث لا واقي سواه ـ وأومنه يوم الفزع الأكبر حيث لا أمان إلا أمانه تعالى.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من راعى حدودك وترك الخيانة في

أموال الناس وأعراضهم حياءً منك؟

قال الله سبحانه: يا موسى له الأمن والأمان في يوم لا أمن ولا أمان فيه وهو يوم القيامة.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من تولاك وأحب أهل طاعتك وتبرأ من أعدائك وأبغض أهل معصيتك؟

قال الله تعالى: يا موسى أُحرّم جسده على ناري.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من تعدى حدودك في أوليائك، وقتل مؤمناً متعمداً؟

قال الله عز وجل: يا موسى لا أنظر إليه يوم القيامة، ولا أقيل عثرته.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من بلّغ دينك إلى الناس، ودعا نفساً كافرةً إلى الإسلام؟

قال الله تبارك وتعالى: يا موسى آذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يريد.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من اهتم بأداء فرائضك وصلّى الصلوات لوقتها؟

قال الله عز وجل: يا موسى أعطيه سؤله، وأبيحه جنتي.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من أتمّ الوضوء وأسبغه لأمرك وخشية منك؟

قال الله عز من قائل: يا موسى أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه

يتلألأ.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من أطاع أمرك في الصيام وصام شهر رمضان محتسباً؟

قال الله سبحانه: يا موسى أقيمه ـ يوم القيامة يوم الخوف والهول ـ مقاماً لا يخاف فيه.

قال موسى (عليه السلام): إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان رياءً يريد به الناس؟

قال لله تعالى: يا موسى ثواب من صام رمضان رياءً كثواب من لم يصمه.

قال موسى (عليه السلام): يا إلهي فما جزاء من كف أذاه عن الناس وبذل معروفه لهم؟

قال الله عز وجل: يا موسى آمر النار حتى تناديه يوم القيامة، أن لا سبيل لي عليك[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٠ ـ ٢٤٢، بتصرف.

أيكم أحسن عملاً؟

روى الشيخ الطوسي في "الاحتجاج"، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) بسنده عن آبائه (عليهم السلام) عن جده الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) أنه قال:

«إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون، فأمرهم ونهاهم.

فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به.

وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه.

وما أجبر الله أحداً من خلقه على معصية، بل اختبرهم بالبلوى، كما قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[1]»[2].

---

(١) سورة هود: ٧.

(٢) الاحتجاج: ج٢ ص١٥٨، بتصرف.

الأحلام والرؤيا حادثة

وروى الشيخ الكليني في "الكافي" مسنداً، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«إن الأحلام لم تكن فيما مضى في أول الخلق وإنما حدثت، وذلك لأن الله عز وجل بعث رسولاً إلى أهل زمانه، فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته.

فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا، فوالله ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزنا عشيرةً؟

فقال لهم نبيهم: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النار.

فقالوا: وما الجنة وما النار؟

فوصف لهم نبيهم ذلك، فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟

فقال لهم نبيهم: إذا متم وفارقت روحكم الدنيا.

فقالوا: لقد رأينا أمواتاً صاروا عظاماً ورفاتاً ولم يدخلوا جنة ولا ناراً، فأنكروا ذلك وازدادوا للنبي تكذيباً وبه استخفافاً.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يواصل حديثه ويقول: فأحدث الله عز وجل

فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك.

فقال لهم نبيهم: إن الله عز وجل أراد أن يحتج عليكم بهذا الذي أراكم في المنام من الأحلام، فإنه هكذا تكون أرواحكم إذا متم وإن بُليت أبدانكم، فإن أرواحكم تصير إلى عقاب حتى تُبعث الأبدان»[1].

السورة الموجبة لدخول الجنة

جاء في كتاب "تاريخ سامراء"، نقلاً عن العلامة المجلسي في "البحار": ما رواه في شرح القصيدة لأبي فراس، قائلاً ما يلي:

إن قيصر ملك الروم كتب إلى أحد حكام بني العباس رسالة ذكر فيها السؤال التالي:

إنا وجدنا في الإنجيل من قرأ سورة خالية من سبعة أحرف حرّم الله جسده على النار، وهي: (ث ج خ ز ش ظ ف) فطلبنا هذه السورة في الإنجيل والتوراة فلم نجدها، وطلبناها في الزبور فلم نجدها، فهل تجدونها في كتبكم؟

الحاكم العباسي: يجمع العلماء ويطرح عليهم السؤال المذكور، فلم يستطع أحد منهم الجواب على ذلك.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على هذا السؤال ويقول: إن السورة

---

(١) الكافي: ج٨ ص٩٠، بتصرف.

المذكورة هي (سورة الحمد) فإنها خالية من هذه الأحرف السبعة.

قيل له: يابن رسول الله، ما الحكمة في ذلك؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابهم: لأن الثاء من الثبور، والجيم من الجحيم، والحاء من الخيبة، والزاي من الزقوم، والشين من الشقاوة، والظاء من الظلمة، والفاء من الفرقة أو من الآفة.

الحاكم العباسي ـ يحصل على الجواب الصحيح من الإمام الهادي (عليه السلام) ويبعث به إلى قيصر الروم.

قيصر الروم ـ يتلقى الجواب ويفرح بذلك فرحاً شديداً، ويُسلم من وقته، ويموت على الإسلام، وذلك ببركة جواب الإمام الهادي (عليه السلام) ودلالته على السورة التي تسبب قراءتها تحريم النار على قارئها إذا كان القارئ جامعاً لشروط ذلك[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٤ و١٠٥ ح٨، بتصرف.

نصب الفقهاء

روى الكشي بسنده إلى محمد بن عيسى اليقطيني أنه قال: كتب الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) إلى أبي علي بن بلال في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين للهجرة رسالة جاء فيها ما يلي:

«أحمد الله إليك، وأشكر طَوْله وعَوْده، وأصلّي على محمد النبي وآله، صلوات الله ورحمته عليهم، ثم إني أقمتُ أبا علي مقام الحسين بن عبد ربه، وائتمنته على ذلك بالمعرفة بما عنده، الذي لا يتقدمه أحد، وقد أعلم أنك شيخ ناحيتك، فأحببتُ إفرادك وإكرامك بالكتاب بذلك.

فعليك بالطاعة له، والتسليم إليه جميع الحق قِبَلك، وأن تحض موالي على ذلك، وتعرّفهم من ذلك ما يصير سبباً إلى عونه وكفايته، فذلك موفور، وتوفير علينا، ومحبوب لدينا، ولك به جزاء من الله وأجر، فإن الله يُعطي من يشاء ذو الإعطاء والجزاء برحمته، وأنت في وديعة الله وكتبتُ بخطي، والحمد لله كثيراً»[1].

---

(١) رجال الكشي: ص ٥١٢ و ٥١٣.

الإرجاع إلى الفقيه

وروى أحمد بن إسحاق القمي، أنه قال: دخلت على الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في يوم من الأيام وقلت له: يا سيدي يابن رسول الله، أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل، وأمر من نمتثل؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على سؤاله بقوله: «هذا أبو عمر ـ عثمان بن سعيد العمري ـ الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه»[1].

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ص٢٥٤، بتصرف.

التنصيص على الإمام

وروى الشيخ الكليني في "الكافي" مسنداً عن الفهفكي ابن أبي طيفور المتطبب، أنه قال:

كتب إليّ الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ما يلي:

«أبو محمد ابني ـ العسكري (عليه السلام) ـ أنصح آل محمد (صلى الله عليه وآله) غريزةً، وأوثقهم حجةً، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه ينتهي عُرى الإمامة وإحكامها، فما كنت سائلي فاسأله عنه، فعنده ما تحتاج إليه»[1].

(١) الكافي: ج١ ص٣٨٦ ح١١.

الحائر الحسيني: موطن الدعاء

وروى الشيخ الكليني في "الكافي"، ما رواه أبو هاشم، في قصة بعث الإمام الهادي (عليه السلام) في مرضه من يدعو بشفائه عند الحائر الحسيني (عليه السلام)، واعتراض ابن بلال بأنه (عليه السلام) هو الحائر فما يصنع بالحائر؟ وعرض هذا الكلام للإمام (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابه ما يلي:

«ألا قلتَ له: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يطوف بالبيت ويقبّل الحجر، وحرمة النبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمره الله أن يقف بعرفة، وإنما هي مواطن يحب الله أن يُذكر فيها، فأنا أحب أن يُدعى لي حيث يحب الله أن يُدعى فيها، والحائر الحسيني (عليه السلام) من تلك المواضع»[1].

(١) الكافي: ج٤ ص٥٦٧، بتصرف.

تفضيل الفقيه

ويحدثنا كتاب "تاريخ سامراء"، عن الشيخ الطبرسي في "الاحتجاج"، بالإسناد عن الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) أنه اتصل به أن رجلاً من فقهاء الشيعة، كلّم بعض النصّاب واحتج عليه، فأفحمه بحجته حتى أبان من فضيحته، وكشف عن معرته.

ثم إن هذا الفقيه أقبل لزيارة الإمام الهادي (عليه السلام) فدخل عليه زائراً، وكان في صدر مجلس الإمام الهادي (عليه السلام) دست عظيم ـ متكأ رفيع ـ منصوب، والإمام (عليه السلام) قاعد خارج الدست، وبحضرته خلق من الأشراف من العلويين وبني هاشم.

فما زال الإمام الهادي (عليه السلام) يرفع الفقيه المذكور، ويرفعه حتى أجلسه في ذلك الدست، ثم أقبل عليه يحدثه.

اشتد ذلك وصعب على أولئك الأشراف، فأما العلويون: فأجلوه وأكبروه من اللوم والعتاب، وأما الهاشميون: فقال له شيخهم العباسي، يا ابن رسول الله، هكذا تؤثر من ليس هو من السادة الهاشميين على سادات بني هاشم من الطالبيين، والعباسيين؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إليهم ويحذّرهم مما يُنكرونه عليه، ويقول

في جوابهم: إياكم وأن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾(١).

ثم قال لهم: أترضون بكتاب الله عز وجل حَكماً؟

قالوا في جوابه: بلى.

قال (عليه السلام): أليس الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾(٢).

ثم يعقّب (عليه السلام) ذلك بقوله لهم: فلم يرض الله تعالى للعالم المؤمن إلاّ أن يرفع على المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلا أن يرفع على من ليس بمؤمن.

ثم قال (عليه السلام) لهم: أخبروني عنه، هل قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، أو قال: يرفع الله الذين أوتوا شرف النسب درجات؟

أو ليس قد قال الله سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران: ٢٣.

(٢) سورة المجادلة: ١١.

(٣) سورة الزمر: ٩.

وعليه، فكيف تنكرون رفعي لهذا الذي قد رفعه الله تعالى، إذ كسر هذا لذلك الناصب بسبب الحجج والبراهين التي ألقاها عليه لأفضل له من كل شرف في النسب.

فقال العباسي: يا ابن رسول الله، قد شرّفت هذا علينا، وقصّرتنا عمن ليس له نسب كنسبنا، وما زال منذ أول الإسلام يقدّم الأفضل في الشرف على من دونه فيه.

فقال (عليه السلام) في جوابه: سبحان الله، أليس العباس بايع أبا بكر مع أن أبا بكر تيمي، والعباس هاشمي؟

أو ليس عبد الله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب، وعمر عدوي وعبد الله هاشمي وأبو خلفاء بني العباس؟

وما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى ولم يدخل العباس فيهم؟

ثم أضاف (عليه السلام) قائلاً: فإن كان رفع من ليس بالهاشمي على الهاشمي منكراً، فأنكروا على العباس بيعته لأبي بكر، وأنكروا على عبد الله بن عباس خدمته لعمر بعد بيعته له، وإن كان ذلك جائزاً، فهذا جائز.

العباسي: فكأنما أُلقم حجراً وأُفحم، فسكت ولم يحر جواباً[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٨٤، بتصرف.

حديثهم صعب مستصعب

روى الشيخ الكليني في "الكافي" مسنداً عن بعض أصحابنا، أنه قال:

كتبتُ إلى الإمام أبي الحسن الهادي صاحب العسكر (عليه السلام) رسالة أسأله فيها عن معنى قول الإمام الصادق (عليه السلام): «حديثنا لا يحتمله ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه: «أي لا يحتمله ملك ولا نبي ولا مؤمن، إن الملك لا يحتمله حتى يخرجه إلى ملك غيره، والنبي لا يحتمله حتى يخرجه إلى نبي غيره، والمؤمن لا يحتمله حتى يخرجه إلى مؤمن غيره، فهذا معنى قول جدي عليه السلام»[١].

---

(١) الكافي: ج١ ص٤٠١، بتصرف.

العلماء الأتقياء يوم القيامة

روى الشيخ الطبرسي في الاحتجاج بإسناده عن الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«يأتي علماء شيعتنا القوّامون بضعفاء محبينا وأهل ولايتنا، يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم وجباههم، على رأس كل واحد منهم تاج بهاء، قد انبثّت تلك الأنوار في عرصات القيامة، ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة.

فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلها، فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه، ومن ظلمة الجهل أنقذوه، ومن حيرة التيه أخرجوه، إلا تعلّق بشعبة من أنوارهم، فرفعتهم إلى العلوّ، حتى تحاذي بهم فوق الجنان، ثم تنزلهم على منازلهم المعدة في جوار أساتيذهم ومعلّميهم، وبحضرة أئمتهم الذين كانوا إليهم يدعون.

ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلاّ عميتْ عينه، وأصمّتْ أذنه، وأخرس لسانه، وتحوّل عليه أشد من لهب النيران، فيحملهم حتى يدفعهم إلى الزبانية فيدعّونهم إلى سواء الجحيم»[1].

---

(١) الاحتجاج: ج١ ص١٠.

القرآن كلام الله وهو مخلوق

أثار الحكّام والمخالفون لأهل البيت (عليهم السلام) شبهة خلق القرآن الكريم ليشغلوا الناس بها عما يهمهم من الواجبات، فجاء كتاب من الإمام الهادي (عليه السلام) إلى ابن يقطين، يزيل فيه الشبهة ويقطع به حجة المخالفين.

يروي لنا كتاب "تاريخ سامراء"، عما رواه الفقيه الشامي في الدر النظيم، قائلاً:

كتب الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) إلى أحمد بن إسماعيل بن يقطين في سنة سبع وعشرين ومائتين من الهجرة، رسالةً جاء فيها ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها منّة، وإلا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس خالق إلا الله عز وجل، وكلما دون الله مخلوق.

والقرآن كلام الله، فانبذ بنفسك وبالمخالفين في القرآن إلى أسمائه التي سماه الله بها، وذر الذين يلحدون في أسمائه، سيجزون ما كانوا يعملون،

ولا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين. جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم وهم من الساعة مشفقون»[١].

تعالى الله عن الرؤية

قال الله تعالى: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٢]،

وقال سبحانه، يخاطب كليمه موسى (عليه السلام): ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[٣].

و"لن" لنفي الأبد.

وإلى هذا المعنى يشير ما جاء في كتاب الاحتجاج، عن أحمد بن إسحاق القمي أنه قال:

كتبت إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة أسأله فيها عن الرؤية وما اختلف فيها الناس.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكتب في جوابه:

«لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٣ ح٢٧، بتصرف، وذكره الشيخ الصدوق في توحيده: ص٢٢٤ الباب ٣٠ ح٤.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٣.

انقطع الهواء عن الرائي والمرئي وعدم الضياء لم تصح الرؤية، وفي وجوب اتصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه ـ وفي نسخة: وكان في ذلك التشبيه ـ والله منزه عن الاشتباه، فثبت أنه لا تجوز عليه سبحانه الرؤية بالأبصار، لأن الأسباب لابد من اتصالها بالمسببات»[1].

(١) الاحتجاج: ج٢ ص٤٨٦، بتصرف. وذكر مثله الشيخ الصدوق (رحمه الله) في توحيده: ص١٠٩ ب٨ ح٧.

المجال الثاني

من سيرته (عليه السلام) العلمية :

الأحكام والفروع الفقهية

الأحكام الشرعية

الأحكام الدينية والفروع الفقهية في الإسلام، لها شمول واسع، وعموم يشمل كل أفراد الإنسان، ويعم جميع أبعاد الحياة، فلكل فرد من أفراد الإنسان أحكام من قبل ولادته وحتى بعد وفاته، وعلى مستوى الفرد والمجتمع، ولكل بُعد من أبعاد الحياة أحكام من قبل حدوثها وحتى بعد انتهائها وعلى مستوى الراعي والرعية، وبتعبير آخر: على مستوى الدولة والشعب.

والجميل أن أحكام الإسلام سماوية مطابقة للعقل السليم، والفطرة الإنسانية السالمة، وقد بيّنها الله تعالى في كتابه العزيز، وانتخب الإمامَ الهادي (عليه السلام) كما انتخب جدَّه رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) وآباءَه المعصومين (عليهم السلام) لبيانها وتفسيرها.

ولم يترك الإمام الهادي (عليه السلام) شيئاً منها إلاّ وبيّنها، إلاّ أن أعداء الإسلام وأعداء الرسول وأهل بيته أبادوها حرقاً وغرقاً، فلم يصل إلينا منه (عليه السلام) إلاّ النزر القليل، وهذا القليل الذي وصلنا، ولأجل حكّام الجور الذين كانوا يترصدون شيعته (عليه السلام) ليطاردوهم ويقتلوهم، كان مختلفاً لا يمكن الأخذ به إلا للمتخصصين في علم الحديث من الفقهاء المراجع، ولذلك أُمرنا بالرجوع إليهم والأخذ منهم.

وها نحن نشير إلى ما تيسر لنا منها، بإذن الله تعالى وعونه.

من لم يأخذ برُخص الله

إن شبكة المياه والحنفيات الموجودة في يومنا هذا، هي نعمة كبيرة يجب شكرها، لما فيها من التسهيل، مضافاً إلى أنها في حكم الجاري وتطهّر النجس بمرة واحدة، هذه النعمة لم تكن متوفرة حتى قبل قرن واحد، وكان يجب توفير الماء بصعوبة.

وفي هذا المجال يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن أمالي الشيخ الطوسي بإسناده عن كافور الخادم، أنه قال ما يلي:

أراد مني الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) تحضير ماء الوضوء، قائلاً: أترك لي السطل الفلاني في الموضع الفلاني لأتطهّر منه للصلاة، ـ أي لصلاة الليل والتهجد بالنوافل الليلية وتلاوة القرآن ـ.

يواصل كافور كلامه ويقول: أوصاني الإمام الهادي (عليه السلام) بذلك وأنفذني في حاجة وقال: إذا عدت يا كافور فافعل ما أوصيتك به من إعداد سطل الماء ليكون معداً إذا تأهبت للصلاة، ثم تهيأ الإمام (عليه السلام) للنوم، فودّعته وخرجت.

أنفذ كافور المهمة وعاد إلى محله ومقره، ولكنه نسي ما أوصاه به الإمام (عليه السلام) من إعداد سطل الماء، ومن ثم راح يقول: أنسيت ما قال لي (عليه السلام) وكانت ليلة باردة فحسست به (عليه السلام) وقد قام إلى الصلاة، وذكرتُ

حينها أنني لم أترك السطل له، لذلك بعدت عن المكان خجلاً منه، وتألماً له حيث يشقى (عليه السلام) ويتعب بطلب الإناء وتحصيل الماء.

كافور يقول: أنا في هذه الحال وإذا به (عليه السلام) يناديني نداءً شبه المغضب، فقلت في نفسي: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما هو عذري أن أقول نسيت مثل هذا؟ ولكن مع ذلك لم أجد لي بُداً من إجابته (عليه السلام) فجئتُ إليه قائلاً: نعم يا سيدي ومولاي يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) يتوجه إلي ويخاطبني معتباً بقوله: يا ويلك أما عرفت رسمي بأنني لا أتطهّر إلاّ بماء بارد، فلماذا سخّنتَ الماء وتركته في السطل؟ ـ وهذا من باب سؤال العارف لما فيه من الحكمة ـ.

كافور ـ يعتذر ويقدم تقصيره بنسيانه أصل تحضير الماء قائلاً: والله يا سيدي يا ابن رسول الله ما تركتُ السطل ولا الماء، فإني قد نسيتُ ذلك.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يبلّغ كافور ومن يصله خبره: هذا الهدف من سؤاله ويُعلمه بأن حضور الماء وسخونته منحة السماء إليه ويقول: الحمد لله رب العالمين، والله لا تركنا رخصة ولا رددنا منحة، الحمد لله الذي جعلنا من أهل طاعته، ووفقنا للعون على عبادته.

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) بعد دعائه كلامه قائلاً: إن النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: «إن الله يغضب على من لا يقبل رُخَصَه»[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٢٦ ح٤، بتصرف.

الأيام التي تصام في السنة

هناك صوم واجب مثل صوم شهر رمضان المبارك، وهناك صوم مستحب مثل صوم طيلة أيام السنة ما عدا العيدين، فإن صيامهما حرام، وما عدا يوم تاسوعاء وعاشوراء فإن صيامهما مكروه[١]، وفي الصوم المستحب أيام ممتازة، وهي كالتالي:

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن إسحاق بن عبد الله العلوي العريضي، أنه قال ما يلي:

ركب أبي وعمومتي إلى أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ووفدوا عليه وقد اختلفوا في الأربعة أيام التي تصام في السنة، وكان الإمام (عليه السلام) آنذاك مقيماً بِصَرْيا قبل مصيره إلى سرّ من رأى.

فلما دخلوا حيّوا الإمام الهادي (صلوات الله عليه) بالسلام، فأجابهم بأحسن منه، ثم قال (عليه السلام): جئتم تسألوني عن الأيام التي تصام في السنة؟

الوافدون: نعم يا ابن رسول الله، ما جئنا إلاّ لهذا.

الإمام الهادي (عليه السلام): الأيام الأربعة الممتازة بالصوم من بين أيام السنة هي عبارة عن الأيام التالية:

---

(١) يقول العلامة المجلسي: (... ويدلّ على كراهة صوم يوم تاسوعاء أيضاً). مرآة العقول: ج١٦ ص٣٦٢.

١ : اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول، وهو اليوم الذي وُلد فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٢ : اليوم السابع والعشرون من شهر رجب الحرام، وهو اليوم الذي بُعث فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٣ : اليوم الخامس والعشرون من شهر ذي القعدة الحرام، وهو اليوم الذي دُحيت فيه الأرض.

٤ : اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام، وهو يوم الغدير[١] (اليوم الذي نصب فيه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وبأمر من الله تعالى علياً (عليه السلام) أميراً للمؤمنين، وإماماً للمتقين، وخليفةً له بلا فصل على المسلمين، والذي نزل فيه بعد هذا الإبلاغ وأخذ البيعة للإمام (عليه السلام) بإمرة المؤمنين قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[٢].

(١) بحار الأنوار: ج٩٣ ص٢٦٦ ب٣١ ح١٣ عن الخرائج والجرائح، بتصرف.

(٢) سورة المائدة: ٣.

السفر في شهر الصيام

يقول الفقهاء بكراهة السفر في شهر رمضان حتى يمضي منه ثلاثة وعشرون يوماً، ولعل من أدلة الكراهة هو ما جاء في كتاب السرائر، لابن إدريس الحلي، كما رواه الشيخ الطوسي في التهذيب، مسنداً عن محمد بن الفضل البغدادي أنه قال:

كتبت إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة أسأله فيها السؤال التالي:

جُعلتُ فداك يا ابن رسول الله، يدخل شهر رمضان على الرجل، فيقع في قلبه زيارة الحسين (عليه السلام) وزيارة أبيك ببغداد، فهل يقيم في منزله حتى يخرج عنه شهر رمضان ثم يزورهم، أو يخرج في شهر رمضان ويفطر؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه: لشهر رمضان من الفضل والأجر ما ليس لغيره من الشهور، فإذا دخل فهو المأثور، الصيام فيه أفضل من قضائه، وإذا حضر رمضان فهو مأثور ينبغي أن يكون مأثوراً»[1].

(١) السرائر: ج٣ ص٥٨٢، وتهذيب الأحكام: ج٦ ص١١٠.

نذر المال الكثير ومقداره

النذر من الأحكام الشرعية، ولانعقاده شروط مذكورة في الرسائل العملية، وإذا تمت شروط النذر صح ووجب الوفاء به، وفي هذا المجال قصة للمتوكل العباسي وهي كالتالي:

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن المناقب لابن شهر آشوب، عن أبي عبد الله الزيادي أنه قال:

لما اعتلّ المتوكل ومرض على أثر التسمم، نذر إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، فلما عوفي اختلف الفقهاء في تعيين مقدار المال الكثير، فقال له حاجبه ويُدعى: الحسن، إذا أتيتك بالجواب الصحيح والمعنى الصواب فما يكون لي عندك؟

المتوكل ـ يلتفت إلى حاجبه ويقول: لك عشرة آلاف درهم، ثم يتدارك ذلك ويضيف قائلاً، وإن لم تأتني بالجواب الصائب ضربتك مائة مقرعة.

الحاجب ـ يوافق على ذلك ويقول: قد رضيت.

ثم إن الحاجب يأتي إلى الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) ويقصّ عليه قصة المتوكل ونذره، ويسأله عن مقدار ما يجب عليه التصدق به؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيب على سؤاله ويقول: قُل للمتوكل: بأن يتصدق بثمانين درهماً.

الحاجب ـ يودّع الإمام الهادي (عليه السلام) ويذهب إلى المتوكل ويخبره بالجواب الصائب من الإمام، ويقول: بأن عليه أن يتصدق بثمانين درهماً.

المتوكل ـ يحاول التشكيك في الجواب ويقول لحاجبه: اسأله عن العلة والدليل عليه.

الحاجب ـ يُسرع في المجيء إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويسأله عن العلة والدليل؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابه: دليله قول الله تعالى وهو يخاطب نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله): ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[1]، فعددنا مواطن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فبلغت ثمانين موطناً.

الحاجب ـ يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) ويُسرع إلى المتوكل ويخبره بالعلة والدليل.

المتوكل ـ وهو لا يرى بُداً من القبول، يُظهر فرحه بذلك ويعطي حاجبه ما وعده من الهدية، عشرة آلاف درهم[2].

---

(١) سورة التوبة: ٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٦٢ـ ١٦٣ ح٤١، بتصرف.

الزكاة والقائل بالتجسيم

الزكاة من الفرائض الإسلامية الواجبة، وما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز الصلاة إلا وذكر معها الزكاة أيضاً، منبئاً عن أن الصلاة عبادة بدنية وأن الزكاة عبادة مالية، وأنهما معاً من علائم الإسلام وسمات المؤمنين، وللزكاة موارد تُصرف فيها، ومنها: الفقراء والمساكين، فهل الذي يقول بتجسيم الله ـ تعالى الله عنه ـ من موارد مصرف الزكاة لو كان من الفقراء والمساكين؟

هذا ما يجيب عليه الإمام الهادي (عليه السلام) عبر ما جاء في حديث شريف نقله كتاب تاريخ سامراء[1]، عن بحار العلامة المجلسي، قائلاً ما يلي:

جاء في حديث شريف عن الإمام الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«من قال بالجسم (أي: قال بأن الله سبحانه وتعالى جسم ـ والعياذ بالله ـ) فلا تعطوه شيئاً من الزكاة، ولا تصلوا خلفه».

وعليه: فلا يجوز إعطاؤه من الزكاة، كما لا يجوز الإئتمام به والصلاة خلفه.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٥٤، بتصرف.

زكاة الفطرة

زكاة الفطرة مقابل زكاة المال، وهي واجبة بإجماع المسلمين، وتجب بشرائط حين دخول ليلة الفطر، ومقدارها ما يساوي ثلاثة كيلو غرام تقريباً لكل فرد، وإليها يشير ما جاء في كتاب وسائل الشيعة مسنداً عن إبراهيم بن محمد الهمداني، عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أنه كتب إليه الإمام (عليه السلام) ما يلي:

«الفطرة عليك وعلى الناس كلهم، ومَن تَعُول، ذكراً كان أو أنثى، صغيراً كان أو كبيراً، حُراً أو عبداً، فطيماً أو رضيعاً، تدفعه وزناً ستة أرطال برطل المدينة، والرطل مائة وخمسة وتسعون درهماً، فتكون الفطرة ألفاً ومائة وسبعين درهماً»[1].

وقد أفتى الفقهاء والمراجع مستفيدين من هذا الحديث وغيره، بوجوب إخراج المكلّف ليلة العيد صاعاً ـ وهو ثلاثة كيلو غرامات تقريباً ـ من طعام أو قيمته، عن نفسه وعن جميع أفراد عائلته، لكل واحد صاعاً، ويُعطى لفقراء المؤمنين.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٩ ص٣٤٣ ح٢، بتصرف.

الوصية بمالٍ في سبيل الله

قال الله تعالى في بيان مصارف الزكاة ويسميها الصدقات:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١].

مضافاً إلى وجوب العمل بالوصية وحرمة تبديلها، لقوله عز وجل:

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

وقد أوصى رجل بمال في سبيل الله، ولم يعرف الوصي والورثة كيف يعملون بالوصية، وهنا يحدثنا كتاب تاريخ سامراء[٣]، عن البحار، نقلاً عن معاني الأخبار، بالإسناد عن الحسن بن راشد أنه قال ما يلي:

سألت أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) وهو بالمدينة المنورة عن المسألة المذكورة وقلت له: إن رجلاً أوصى بمال في سبيل الله، فلم يعرف الوصي والورثة كيفية العمل بالوصية، ولمن يعطون المال الموصى به؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه على مسألته ويقول:

---

(١) سورة التوبة: ٦٠.

(٢) سورة البقرة: ١٨١.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٥٤، بتصرف.

«سبيل الله: شيعتنا».

ولعل من هذا الجواب وأمثاله ـ كالحديث السابق ـ يستدل الفقهاء بعدم جواز إعطاء الزكاة لغير الموالين لأهل البيت (عليهم السلام)، وإذا أعطاه لغيرهم لم يكن مجزياً ووجب تكراره وإعطاؤه للموالين.

الخمس بعد المؤونة

الخمس هدية من الله تعالى لرسوله الكريم وأهل بيته المعصومين (عليه وعليهم السلام) والفقراء واليتامى وأبناء السبيل من بني هاشم، مقابل الزكاة التي هي خاصة للفقراء والمساكين وابن السبيل والغارمين ونحوهم من غير بني هاشم، والخمس في مال الجميع بعد خروج المؤونة، مسلماً كان أو غير مسلم، رجلاً كان أو امرأةً، كبيراً كان أو صغيراً، وذلك لأجل (لام) الملكية في قول الله تعالى بعد الخطاب الصارم: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...**﴾[1].

إلى هذا المعنى يشير كتاب تاريخ سامراء[2] نقلاً عن البحار، عن العياشي، عن إبراهيم بن محمد، أنه قال ما يلي:

كتبتُ إلى الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) رسالة أسأله

---

(١) سورة الأنفال: ٤١.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٨ ح٤٥، بتصرف.

فيها عما يجب في الضياع[١]؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكتب في الجواب على سؤالي ويوقّع: «الخمس بعد المؤونة».

إبراهيم بن محمد ـ يأخذ الجواب ويقول: ناظرت أصحابنا بعد ذلك، فقالوا: المؤونة بعد ما يأخذ السلطان وبعد مؤونة الرجل، فكتبتُ رسالةً ثانية إلى الإمام الهادي (عليه السلام) أسأله فيها عن المؤونة واختلاف أصحابنا في حدودها.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكتب في جوابه: «الخمس بعد ما يأخذ السلطان، وبعد مؤونة الرجل وعياله».

---

(١) الضياع: جمع ضيعة، وهي الأرض المغلّة، أو القرية الصغيرة.

لي منه الخمس

جاء في كتاب "وسائل الشيعة" مسنداً عن علي بن محمد بن شجاع النيسابوري، أنه قال:

كتبت إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أسأله فيها عن رجل أصاب من ضيعته من الحنطة مائة كر، ما يزكي؟ وقد أخذ منه العشر عشرة أكرار، وذهب منه بسبب عمارة الضيعة ثلاثون كراً، وبقي في يده ستون كراً، ما الذي يجب لك من ذلك؟ وهل يجب لأصحابه من ذلك شيء؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه موقّعاً: «لي منه الخمس مما يفضل من مؤونته»[١].

لم يك ينفعهم إيمانهم

يحدثنا كتاب "تاريخ سامراء"[٢]، عما رواه جمال الدين يوسف بن الحاتم الفقيه الشامي في الدر النظيم، من أنه قال: قُدِّم إلى المتوكل رجل نصراني باتهام أنه قد فجر بامرأة مسلمة، فلما ثبت عليه اتهامه وأراد المتوكل أن يُجري عليه الحد، أعلن النصراني إسلامه، فراراً من إجراء الحد عليه.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٩ ص٥٠٠ ح٢، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٣، بتصرف.

المتوكل ـ يلتفت حينئذٍ إلى علماء البلاط الموجودين عنده ويسألهم عن حكمه، وأنه هل تبدل الحكم بإعلان إسلامه؟

قاضي القضاة يحيى بن أكثم ـ يرى تبدل الحكم ويقول: قد هدم الإسلام شركه، ومحى ما قبله، فيُعفى عنه ولم يجر الحد عليه

وبعض القضاة يقول: يضرب ثلاثة حدود، ويفعل به كذا وكذا.

المتوكل ـ وهو يرى اختلاف علماء البلاط في المسألة، فيأمر بكتابة رسالة إلى الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) وتوجيه السؤال إليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ حينما تصله الرسالة يقرأها ويجيب على المسألة: بعدم تبدل حكمه ووجوب إجراء الحد عليه، ويرسل الجواب مع الرسول إلى المتوكل.

قاضي القضاة وسائر علماء البلاط يقرؤون الرسالة وما جاء فيها من الجواب، فينكرون ما حكم به الإمام الهادي (عليه السلام) ويقولون للمتوكل: سل عن علّة هذا الحكم، فإنه غريب بنظرنا، إذ لم ينطق به الكتاب، ولم يأت في السنة، فما هو دليل وجوب إجراء الحد عليه وعدم رفعه عنه بإسلامه؟

المتوكل ـ يأمر بكتابة رسالة ثانية إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويسأله فيها عن علّة ما حكم به.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ عندما تصله الرسالة يجيب عليها، ويكتب علة الحكم من القرآن الكريم قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

المتوكل وعلماء البلاط ـ لا يرون بُداً من الاستسلام للدليل الذي ذكره الإمام الهادي (عليه السلام) من القرآن الكريم ويقومون بإجراء الحد الشرعي وتنفيذ الحكم.

تكنية غير المسلم

التكنية نوع احترام عرفاً، واحترام المسلم وإكرامه من حقوق الأخوة الإيمانية، ومن الواجبات الأخلاقية على المسلمين، فهل تكنية غير المسلم ـ باعتباره احترام عرفاً ـ سائغ أم لا؟

هذا ما يحدثنا به كتاب "تاريخ سامراء"، عما ذكره العلامة المجلسي في بحاره، عن كتاب "الاستدراك" من ذكره القصة التالية:

قال: كان للمتوكل كُتّاب عديدون، وكان من بينهم كاتب نصراني، فناداه المتوكل في يوم بكنيته قائلاً: يا أبا نوح.

الكُتّاب ـ ينكرون على المتوكل ذلك ويشكلون عليه.

المتوكل ـ يستفتي علماء البلاط في جواز ذلك أو عدمه، فيختلفون عليه في

---

(١) سورة غافر: ٨٤ و٨٥.

الجواب بين مجوز وبين نافٍ للجواز، فيأمر بكتابة رسالة إلى الإمام الهادي (عليه السلام) يسأله فيها عن حكم تكنية غير المسلم.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقرأ الرسالة فيوقع في الجواب ما يلي:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١].

المتوكل ـ يقرأ الجواب ويكتشف حكم الجواز منه، وذلك لأن الله تعالى قد كنى الكافر أبا لهب[٢].

الصلاة لا يقطعها شيء

يستحب للمصلي أن يجعل بين يديه سُترة، ولو بمثل المسبحة التي يسبح الإنسان بعد الصلاة بها، بل وحتى بمثل التربة التي يسجد المصلي عليها، وفائدتها حجب مرور الآخرين من أمامه.

علماً بأن مرور الآخرين أمام المصلين لا يخدش بصلاته حتى وإن لم يجعل سُترة بين يديه، نعم جعل السُترة مستحب.

وعن هذا المعنى يخبرنا كتاب "تاريخ سامراء"[٣] عن بحار العلامة المجلسي، نقلاً عن "علل الشرائع" بسنده عن أبي سليمان، مولى الإمام الهادي أبي الحسن

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٢، بتصرف.

(٢) سورة المسد: ١.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٥٤، بتصرف.

علي بن محمد (عليه السلام) أنه قال ما يلي:

مولى أبي الحسن - وهو حاضر عند الإمام الهادي (عليه السلام) يقول: سأل بعض موالي الإمام أبي الحسن وأنا حاضر، منه (عليه السلام) السؤال التالي: هل الصلاة يقطعها شيء؟ - وهو يعني مرور الآخرين أمام المصلي -.

الإمام الهادي (عليه السلام) - يجيب قائلاً: «لا، ليست الصلاة تذهب هكذا بحيال صاحبها، إنما تذهب مساوية لوجه صاحبها»، مما يعني أن الصلاة صحيحة ولا تبطل بمرور أحد قدّام المصلي.

وهذا نوع تعليل لصحة الصلاة، إذ صعود الصلاة إلى القبول - بحسب التعليل - يكون رأساً من وجه المصلي ورأسه، وليس من حيال المصلي وأمامه.

ومن هذا التعليل يظهر أيضاً: شدة ظروف التقية التي كان يعيشها الإمام الهادي (عليه السلام) حيث إنه لم يصرّح بعدم قاطعية مرور الآخرين أمام المصلي للصلاة، وذلك لأن الهيئة الحاكمة إذ ذاك بمن فيهم المتوكل ووزراؤه، وعلماء البلاط وندماؤه، كانوا من العامة الذين يرون مرور الآخرين أمام المصلي قاطعاً للصلاة، فاتّقاهم الإمام (عليه السلام)، وذلك عملاً بقول الله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[1].

(١) سورة آل عمران: ٢٨.

صلاة الليل تذهب بذنوب النهار

الصلاة عمود الدين وسبب قبول الأعمال الصالحة وظهور الآثار الطيبة، هذا في الصلوات الواجبة واليومية المفروضة، وهي في نفس الوقت خير موضوع، وتشمل الصلوات المستحبة كنافلة الليل، وصلاة الليل سبب حطّ الذنوب وغفران السيئات.

يحدثنا بذلك كتاب "تاريخ سامراء"[١] عن بحار العلامة المجلسي، نقلاً عن مجالس ابن الشيخ، بإسناده عن الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) أنه حدّث عن آبائه (عليهم السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٢]، قال:

«صلاة الليل تُذهب بذنوب النهار»، أي: تكون كفارةً لذنوب النهار، كما أنها تكون نوع مناعة مقتضية لحفظ الإنسان من الوقوع في الذنوب في صبيحتها، كيف لا وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٣].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٥٣ و٢٥٤، بتصرف.

(٢) سورة هود: ١١٤.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٥.

صلاة المغمى عليه وصيامه

وجاء في كتاب "وسائل الشيعة" حديث حول قضاء المغمى عليه صلاته وصومه، رواه علي بن مهزيار قائلاً ما خلاصته:

إنه سأل من الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) عن المغمى عليه، بأنه هل يقضي ما فاته من صلاته وصومه طيلة إغمائه يوماً أو أكثر؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على سؤاله: «لا يقضي الصوم ولا الصلاة، وكلما غلب الله عليه فالله أولى بالعذر»[1].

ومن هذا الحديث الشريف وغيره أفتى الفقهاء والمراجع في رسائلهم العملية بأن الإنسان إذا فقد وعيه بإغماء ونحوه، واستغرق ذلك كل وقت الصلاة، كما لو أغمي عليه قبل أذان الظهر وأفاق بعد إذان المغرب، فلا يجب عليه قضاء صلاتي الظهر والعصر، وأما لو أدرك من الوقت بمقدار أدائهما واعياً وجبتا عليه.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٠ ص٢٢٧ ح٦، بتصرف.

السجود على الزجاج

السجود في الصلاة إنما يتم ويقع صحيحاً، إذا كان على وجه الأرض أو على شيء مما ينبت من الأرض، غير المأكول والملبوس ولو بالقوة، فهل الزجاج مما يصح السجود عليه؟

هذا ما يحدثنا به كتاب "بحار الأنوار"، نقلاً عن كتاب "كشف الغمة"، قال: كتب محمد بن الحسين بن مصعب المدائني رسالة إلى الإمام الهادي (عليه السلام) يسأله فيها عن السجود على الزجاج، هل هو جائز أو غير جائز؟

المدائني - يبعث الرسالة ويقول في نفسه: إن الزجاج هو من الأرض ومصنوع منه، وإن الرسول الكريم وأهل بيته المعصومين (عليه وعليهم السلام) قالوا بجواز السجود على الأرض وما صُنع من الأرض أو نبت منها.

الإمام الهادي (عليه السلام) - يجيب على الرسالة قائلاً: لا تسجد على الزجاج وإن حدّثتك نفسك بأن الزجاج هو من الأرض، فإنه من الرمل والملح، والملح سبخ[1]، ولذلك لا تجوز الصلاة عليه.

ومن هنا أفتى الفقهاء في رسائلهم العملية بأنه لا يجوز السجود على الزجاج والبلّور وماخرج عن اسم الأرض، وكذا ما خرج عن اسم النبات،

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٦، بتصرف.

كالرماد والفحم، طبعاً يشترط في السجود على النبات أن لا يكون مأكولاً أو ملبوساً ولو بالقوة كالقطن والكتان.

سجدة الشكر وهيئتها

للسجود أمام عظمة الله وشكراً لأنعمه التي لا تُعدّ ولا تحصى ثواب كثير وأجر كبير، وخاصة إذا كانت السجدة بالهيئة التي كان أهل البيت (عليهم السلام) يأتون بها.

وهذا كتاب وسائل الشيعة يحدثنا مسنداً عن يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان، أنه كان قد تشرف بخدمة الإمام الهادي (عليه السلام) ورآه يسجد سجدة الشكر، فيصف لنا هيئته (عليه السلام) في أدائها ويقول:

رأيت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) وهو يسجد سجدة الشكر، أنه (عليه السلام) افترش ذراعيه، وألصق جؤجؤه وصدره وبطنه بالأرض.

فسألته عن ذلك؟ فقال (عليه السلام): «كذا يجب»[1]. أي ثبت استحبابه، فإن الوجوب بمعنى الثبوت، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾[2] يعني ثبتت. وهكذا استفاد الفقهاء من هذا الحديث وغيره في هذا المجال، فأفتوا باستحباب هذه الهيئة في سجدة الشكر.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٧ ص١٣ ح٢، بتصرف.

(٢) سورة الحج: ٣٦.

بين نافلة الليل وصلاة الفجر

أفضل أوقات نافلة الليل هو السُدس الأخير من الليل، وكلما كان أقرب إلى الفجر كان أفضل، ولعله لأجل أن يتصل أداء النافلة بصلاة الفجر، ولا ينام المصلي بينهما، كما يستفاد ذلك من الحديث التالي:

يروي لنا "وسائل الشيعة"، مسنداً عن المروزي أنه قال: سمعت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) يقول محذراً:

«إياك والنوم بين صلاة الليل والفجر، ولكن ضجعة بلا نوم، فإن صاحبه لا يُحمد على ما قدّم من صلاته»[1].

ومن أجل هذا وغيره أفتى الفقهاء والمراجع في رسائلهم العملية: بأن وقت نافلة الليل ما بين نصفه والفجر الثاني، والأفضل إتيانها في وقت السحر، وأفضله القريب من الفجر، وأنه يجوز دسّ نافلة الصبح في صلاة الليل قبل الفجر، وأنه إذا صلى نافلة الصبح في وقتها أو قبله ونام بعدها، فإنه تستحب له إعادتها.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص٤٩٥ ح١، بتصرف.

ما لم يكن بسبب الإمامة فهو ميراث

الإرث والتوارث بين الأرحام بطبقاتها الثلاث من الأحكام الشرعية التي نطق بها القرآن صريحاً ومن دون شبهة ولا إبهام، وهو عام يشمل جميع المسلمين، بلا فرق بين الراعي والرعية، والرجل والمرأة، والصغير والكبير.

وبهذا يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره[١]، عن "الكافي" مسنداً عن أبي علي بن راشد، أنه قال للإمام الهادي (عليه السلام) ما يلي:

جُعلتُ فداك، نُؤتى بالشيء فيقال: هذا كان لأبي جعفر الجواد (عليه السلام) عندنا، فكيف نصنع بها؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه على سؤاله ويقول: ما كان لأبي جعفر الجواد (عليه السلام) بسبب الإمامة فهو لي، وما كان غير ذلك فهو ميراث ويقسّم بين الورثة على ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه.

علماً بأن ما هو بسبب الإمامة هي أمور خاصة يرثها إمام بعد إمام، ويقال لها: مواريث الإمامة الإلهية، التي قال الله تعالى عنها بأنها منصب سماوي يمنحها من يشاء من أنبيائه وأوصياء أنبيائه، كما منحها بصراحة لإبراهيم الخليل (عليه السلام) مخاطباً إياه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[٢] ومنحها بكناية أبلغ من

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٤ ح٦٠، بتصرف.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

التصريح لنبيه الخاتم وأهل بيته المعصومين (عليه وعليهم السلام) في آيات عديدة من كتابه العزيز، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

بيع وشراء

جاء في كتاب "تاريخ بغداد"[2]، بأن المتوكل عند ما فرض الإقامة الجبرية على الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) في سامراء وبين العسكر، بادر إلى اشتراء دار واسعة من صاحبها: دليل بن يعقوب النصراني، وسكنها (عليه السلام) هو وأفراد عائلته، وأقام فيها حتى استشهد ودُفن فيها.

مما يعني أن روضة العسكريين (عليهما السلام) هو نفس دار الإمام الهادي (عليه السلام) ومسكنه أيام حياته.

مضافاً إلى دلالته على استحباب سعة الدار ورحب ساحتها.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) تاريخ بغداد: ج١٢ ص٥٧.

ثواب زيارة الإمام الرضا عليه السلام

الرسول الكريم وأهل بيته المعصومون (عليه وعليهم السلام) هم سادة الشهداء والصديقين، وهم أحياء عند ربهم يُرزقون، ولزيارتهم في روضاتهم المطهرة ثواب كثير وأجر جزيل، مضافاً إلى أن زيارتهم (عليهم السلام) هي نوع صلة للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، ووفاء من الزائر لأجر الرسالة، وأداء للمودة التي فرضها الله لهم على المسلمين جميعاً بقوله عزوجل، مخاطباً رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله): ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

وإلى بعض الأجر والثواب لزيارة الإمام الرضا (عليه السلام) يشير الحديث الشريف المذكور في كتاب تاريخ سامراء، عن السيد عبد العظيم الحسني (عليه السلام) قائلاً:

سمعت الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) يقول: «أهل قم وأهل آبة، مغفور لهم لزيارتهم لجدي علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بطوس، ألا ومن زاره فأصابه في طريقه قطرة من السماء، حرّم الله على النار جسده»[2].

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٨.

الزيارة بالنيابة

النيابة في الواجبات عن الأحياء غير جائز إلا في الحج، ولكن في المستحبات تجوز النيابة عن الأحياء في جميعها، وفيها أجر كبير للنائب مضافاً إلى المنوب عنه.

وعن هذا المعنى وفي خصوص الزيارة، يحدثنا كتاب "تاريخ سامراء"[1]، نقلاً عن التهذيب، بالإسناد عن داود الصرمي أنه قال: قلت لأبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أني زرتُ أباك، وجعلت ذلك لك ـ يعني أنه ناب عنه (عليه السلام) زيارة أبيه الإمام الجواد (عليه السلام) ـ.

الإمام الهادي (عليه السلام) يحبذه على ذلك ويشكر سعيه بقوله: «لك من الله أجر وثواب عظيم، ومنا المحمدة».

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٥٤.

ثواب زيارة السيد عبد العظيم

روى الشيخ الصدوق في كتاب "ثواب الأعمال"، مسنداً عمن دخل على الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) من أهل الري أنه قال:

دخلتُ على الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) بعد انقطاع طويل، وسلّمت عليه، فأجابني بأحسن منه ثم قال لي متفقّداً: أين كنت؟

قلت: كنت في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) بكربلاء.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه بالتحسين، وفي نفس الوقت يرغبه هو ومن كان من أهالي الري، بأن لا يدع زيارة السيد عبد العظيم الحسني، ويحثّه على ذلك بقوله: «أما أنك لو زرتَ قبر عبد العظيم عندكم، لكنت كمن زار الحسين بن علي عليه السلام»[1].

(١) ثواب الأعمال: ص٩٩، بتصرف.

أجر الصلاة على محمد وآل محمد

إن الله وملائكته يصلّون على النبي الكريم (صلى الله عليه وآله)، كما في الكتاب العزيز[١]، ـ وصلاة الله: رحمته، وصلاة الملائكة: طلب الرحمة له ـ ويصلون على آله وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) لأنهم ـ وبحسب الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ـ امتداد النبي الكريم وخاصته وحامته، وأصياؤه وخلفاؤه الشرعيون من بعده، وفي الصلاة عليهم أجر كبير، وقد قال النبي الكريم (صلى الله عليه وآله): «لا تصلوا علي الصلاة البتراء ولكن قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد»[٢]، وقال: «من صلّى عليّ ولم يصلّ على آلي، لم يجد ريح الجنة»[٣].

وهذا ما دأب عليه الأنبياء السابقون (عليهم السلام) أيضاً، وكان سبب رفعتهم وعلو مقامهم عند الله تعالى.

---

(١) انظر: سورة الأحزاب: ٥٦.

(٢) القول البديع، للسخاوي: ص٤٥، وجواهر العقدين، للسمهودي الشافعي: ص٢١٧، وكشف الغمة عن جميع الأمة، لعبد الوهاب الشعراني الشافعي: ج١ ص٣٢٥، وزاد فيه: «فقيل له: مَن أهلك يا رسول الله؟ قال: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام»، ومثله في الكافي: ج٢ ص٤٩٥ ح٢١.

(٣) وسائل الشيعة: ج٧ ص٢٠٣ ح٧.

وإلى نموذج واحد من تلك النماذج، يشير إليه كتاب "تاريخ سامراء"[١] برواية الشيخ الصدوق في كتابه "علل الشرايع"، بإسناده عن السيد عبد العظيم الحسني (عليه السلام) أنه قال ما يلي:

سمعت الإمام الهادي أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) يقول: «إنما اتخذ الله عز وجل إبراهيم خليلاً، لكثرة الصلاة على محمد وآل محمد».

قراءة سورة القدر

آيات الكتاب الحكيم كلام الله، وكلامه تعالى نور في الحياة، وشفاء لما في الصدور، وأمان من كل سوء وبلاء، والعمل به وتطبيقه موجب لسعادة الدارين.

وإلى بعض ما ذكرناه يشير كتاب "تاريخ سامراء"[٢]، نقلاً عما رواه الكليني، بإسناده في "الكافي"، عن أبي عمر الحذّاء، بأنه كان قد اشتكى سوء حاله وفقره إلى والد الإمام الهادي (عليه السلام) في رسالة كتبها إليه.

وكان (عليه السلام) قد كتب إليه يوصيه بقراءة سورة نوح: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾[٣]، وبعد قراءته لها سنةً كاملة يكتب (عليه السلام) إليه يوصيه بقراءة

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٥٤، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٨، بتصرف.

(٣) سورة النوح: ١.

سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1]، فيكشف الله عنه ضره ويجبر فقره، ويتّجه إلى البصرة في وكالة من ابن أبي داود، وفي البصرة يطلب من الوجيه: علي بن مهزيار، أن يكتب له رسالة إلى الإمام الهادي (عليه السلام) يذكر فيها ما يلي:

أبو عمر الحذّاء: إني كنت قد سألت والدك الإمام الجواد (عليه السلام) عن أمور وشكوت إليه سوء حالي وفقري، فأرشدني إلى قراءة سورة نوح حولاً كاملاً، ثم سورة القدر، وقد نلت الذي أحببت والحمد لله رب العالمين، وسؤالي الآن هو: أن تخبرني يا مولاي يا ابن رسول الله كيف أصنع في قراءة سورة القدر، هل أقتصر عليها وحدها في فرائضي وغير الفرائض، أم أقرأ معها غيرها؟ وهل لها حدّ أعمل به أم لا؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكتب في جوابه على الرسالة التوقيع التالي:

«لا تدع من القرآن قصيرة ولا طويلة، ويجزيك من قراءة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يومك وليلتك مائة مرة».

---

(١) سورة القدر: ١.

لو جعل شيئاً للإمام ثم احتاج إليه

من كمال الإيمان أن يجعل الإنسان شيئاً من ماله، هديةً للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أو لأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) أو لأحدٍ من ذويهم، فيرسله إليهم في حضورهم، أو يصرفه في حبهم وما يرتبط بذكراهم في غيابهم.

وكان هذا من دأب المؤمنين منذ حضورهم (عليهم السلام) وإلى يومنا هذا.

وفي هذا المجال يذكر لنا كتاب "تاريخ سامراء"[1] عن "كمال الدين"، ورواية الشيخ الصدوق فيه بإسناده إلى اليقطيني.

اليقطيني يقول: كتبت إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة أسأله فيها عن مسألة شرعية كالتالي:

جعلني الله فداك يا بن رسول الله، أسألك عن رجل جعل لك شيئاً من ماله، ثم احتاج إليه، أيأخذه لنفسه، أو يبعثه إليك؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب إليه الجواب التالي:

«هو بالخيار في ذلك ما لم يُخرجه عن يده ويصرفه في مورده».

ثم يواصل الإمام (عليه السلام) الكتابة ويوقع: «ولو أخرجه إلينا ووصل بأيدينا لرأينا أن نواسيه وقد احتاج إليه».

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٨ ح٤٤، بتصرف.

من مسائل الصوم

الصوم من الواجبات الشرعية، وقد نطق به القرآن الكريم وأوجبه على المؤمنين، وأجره كبير وثوابه جزيل، مضافاً إلى ما فيه من فوائد صحية ودنيوية.

وللصوم أحكام كثيرة، وإلى واحد منها يشير كتاب "تاريخ سامراء"[1]، نقلاً عما رواه العلامة المجلسي في البحار، بالإسناد عن الفتح بن يزيد الجُرجاني، أنه كتب إلى الإمام الهادي (عليه السلام) الرسالة التالية:

الجرجاني يقول: كتبت إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة أسأله فيها عن رجل واقع امرأته وهو صائم في نهار شهر رمضان، من حلّ أو حرام، وتكرر منه ذلك عشر مرات في يوم واحد؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه: بأن عليه عشر كفارات لكل مرة كفارة، فإن أكل أو شرب فكفارة يوم واحد.

من أجل هذا وغيره أفتى بعض الفقهاء والمراجع قائلاً: بأن كفارة الجماع تتكرر بتكرره في يوم واحد، واحتاط بعضهم وجوباً وبعضهم استحباباً، بينما غير الجماع من المفطرات، كما لو أكل الطعام مرات أو شرب الماء مرات عديدة، فإن كفارته واحدة لا تتكرر بتكرره.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٨ ح٤٦، بتصرف.

صوم الحامل و المرضع

ويحدثنا كتاب "تاريخ سامراء"[١] أيضاً، عما رواه العلامة المجلسي في بحاره، عن علي بن مهزيار، أنه قال: كتبتُ إلى الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) الرسالة التالية:

امرأة ترضع ولدها أو ترضع غير ولدها، في شهر رمضان، ويشتد عليها الصوم وهي ترضع حتى يُغشى عليها، ولا تقدر على الصيام، أترضع وتفطر ثم تقضي صيامها إذا أمكنها القضاء، أو تدع الرضاع وتتركه لمن تُرضعه، فإن كانت ممن لا يمكنها اتخاذ من ترضعه فكيف تصنع؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في الجواب على هذه المسألة بالجواب التالي:

«المرضع إن كان يمكنها اتخاذ ظئر، استرضعت بولدها وصامت هي، وإن كان لا يمكنها ذلك أفطرت وأرضعت ولدها، وقضت صيامها متى أمكنها».

ولأجل هذا الحديث الشريف وغيره أفتى الفقهاء والمراجع بجواز إفطار المرضعة القليلة اللبن إذا أضر بها الصوم أو أضر بالولد، بلا فرق بين أن يكون الولد لها أو كانت متبرعة أو مستأجرة، واشترط البعض الاقتصار على صورة

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٨ ح٤٧، بتصرف.

عدم وجود من يقوم مقامها في الإرضاع فتوى، وبعضهم احتاط وجوباً وبعضهم استحباباً، وأفتوا بوجوب الفدية لكل يوم بمُدّ من الطعام من مالها للفقير، وبالقضاء إلاّ إذا اتصل عذرها بشهر رمضان القابل، فيسقط وتُفدي على الأحوط وجوباً بمُدٍّ آخر من الطعام مكان القضاء.

التوبة النصوح

التوبة من الواجبات الشرعية، ويجب فيها الفورية وعدم التراخي فيها، ويجب أن تكون بنية صادقة، مع عزم على عدم العَود إلى ما تاب منه، وتدارك لما فاته بسببه، وتسمى بالتوبة النصوح التي دعانا القرآن الكريم إليها وأمرنا بها وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾[1].

إلى التوبة النصوح والمراد منها يرشدنا كتاب "تاريخ سامراء"[2]، نقلاً عما رواه الشيخ الصدوق في "معاني الأخبار"، بسنده عن أحمد بن هلال قائلاً ما يلي: سألت الإمام الهادي أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) عبر رسالة كتبتها إليه عن التوبة النصوح ما هي؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكتب في رسالة يبعثها إليه الجواب التالي:

«التوبة النصوح أن يكون الباطن كالظاهر، وأفضل من ذلك».

---

(١) سورة التحريم: ٨.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٨٥، بتصرف.

دعاء نوح وبعض آثاره

يروي لنا كتاب "تاريخ سامراء"[١]، ما رواه الراوندي في كتابه "قصص الأنبياء"، بالإسناد عن السيد عبد العظيم الحسني (عليه السلام)، عن الإمام الهادي علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«بعد انتهاء طوفان نوح (على نبينا وآله وعليه السلام) وعَودته ومن معه من المؤمنين إلى الحياة الطبيعية، جاء إبليس إلى نوح وقال له: إن لك عندي يداً عظيمةً، فانتصحني فإني لا أخونك.

فتأثّم نوح بكلامه ومسائلته وأعرض عنه.

فأوحى الله تعالى إلى نوح: أن كلّمه و سَلْه، فإني سأنطقه بما هو حجة عليه.

فأقبل نوح عليه وقال له: تكلّم.

فقال: إنا إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً بخيلاً، أو حريصاً طماعاً، أو حسوداً حقوداً، أو جباراً متكبراً، أو عجولاً خذولاً، تلقفناه تلقف الكرة، فإن اجتمعت هذه الأخلاق فيه، سميناه شيطاناً مريداً.

فقال له عندها نوح متسائلاً: وما اليد العظيمة التي صنعتُ وبدرَتْ مني

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٦، بتصرف.

إليك؟

فأجاب على سؤاله قائلاً: إنك دعوتَ الله تعالى على أهل الأرض، فألحقتهم بالنار، فصرت أنا فارغاً منهم، ولولا دعوتك عليهم لشغلتُ أنا بهم دهراً طويلاً.

القصة برواية أخرى

وفي رواية أخرى: إن إبليس قال لنوح (عليه السلام): إن لك عندي يداً سأعلمك بإزائها خصالاً، قال نوح (عليه السلام) مستنكراً: وما يدي عندك؟

قال: دعاؤك على قومك حتى أهلكهم الله جميعاً، فإياك والكبر، وإياك والحرص، وإياك والحسد.

إياك والكبر: فإن الكبر هو الذي حملني على أن تركتُ السجود لآدم، فأكفرني وجعلني شيطاناً رجيماً.

وإياك والحرص: فإن آدم أبيح له الجنة، ونهي عن شجرة واحدة، فحمله الحرص على أن أكل منها.

وإياك والحسد: فإن ابن آدم حسد أخاه فقتله.

فقال نوح: أخبرني متى تكون أقدر على إغواء ابن آدم واهلاكه؟

قال: عند الغضب[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٦، بتصرف.

بيض الطائر المسوخ لا تأكله

جاء في كتاب "إثبات الوصية"، بإسناده عن الحسين بن إسماعيل شيخ من أهل النهرين، أنه قال:

خرجت وأهل قريتي إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) بشيء كان معنا، وكان بعض أهل القرية قد حمّلنا رسالة ودفع إلينا ما أوصلناه، وأوصانا بأن نقرأ الإمام الهادي (عليه السلام) منه التحية والسلام، ونسأله عن بيض الطائر الفلاني من طيور الآجام هل يجوز أكله أم لا؟

الحسين بن إسماعيل يقول: دخلنا على سيدنا ومولانا الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وسلمنا الذي كان معنا إلى خازنه، وفي هذا الوقت أتاه رسول السلطان.

الإمام الهادي (عليه السلام) ينهض ليركب ويخرج عنا مغادراً، ولم نسأله عن شيء، فلما صرنا في الشارع أدركنا الإمام (عليه السلام) وقال لواحد ممن معي بالنبطية: «اقرأ فلاناً السلام، وقل له: بيض الطائر الفلاني لا تأكله، فإنه من المسوخ»[1].

ومن هذا الحديث الشريف وغيره استفاد الفقهاء قاعدة كلية في البيض تقول: ما اختلف طرفاه فهو حلال أكله، وإلا فحرام.

---

(١) إثبات الوصية: ص٢٣٠، بتصرف.

الميسر و معناه

جاء في تفسير العياشي بإسناده عن إبراهيم بن عنبسة، أنه قال:

كتبت إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة أسأله فيها عن قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾[1]، فما (الميسر) جُعلتُ فداك، فلو شئتَ أخبرتني عنه؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه:

«كل ما قومر به فهو الميسر، وكل مسكر حرام»[2].

شجرة الحسد

وجاء في "تفسير العياشي" أيضاً مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال، في تأويل نهي الله آدم عن الأكل من الشجرة المنهية ما يلي:

«الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها: شجرة الحسد، فقد عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضّله الله عليه وعلى خلائقه بعين الحسد،

---

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) تفسير العياشي: ج١ ص١٠٦، بتصرف.

ولم يجد الله له عزماً»[١].

ولعله لهذا ونحوه لم يُعدّ آدم (عليه السلام) من أولي العزم.

من مسائل الحج والعمرة

الحج هو أحد الواجبات التي أوجبها الله تعالى على الناس، وهو من أهم شعائر الدين الإسلامي الحكيم، إذ فيه بيان عظمة هذا الدين السماوي، الذي يُظهره الاجتماع المليوني من أتباعه في موسم الحج، ومشاركتهم الجماهيرية لأداء المناسك، وتلبيتهم دعوة ربهم ورسله وأوصيائهم بتحشّدهم هناك، وتعبّدهم بما أوجب الله تعالى عليهم عنده، فإنه مضافاً إلى بيان عظمة الإسلام اجتماعياً، هو بيان لتواضع الإنسان لربه وإخلاصه له في عبادته وإطاعته فردياً أيضاً.

وللحج مسائل كثيرة، ومنها هذه المسألة التي رواها محمد بن مسرور قائلاً: كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة أسأله فيها عن رجل متمتع بالعمرة إلى الحج وقد وافى مكة غداة يوم عرفة، وكان الناس قد خرجوا من منى إلى عرفات، فهل عمرته قائمة وصحيحة أو قد ذهبت منه وبطلت، وبالتالي إلى أي وقت عمرته قائمة إذا كان متمتعاً بالعمرة إلى الحج فلم يواف يوم التروية، ولا ليلة التروية، فكيف يصنع؟

---

(١) تفسير العياشي: ج٢ ص٩، بتصرف.

الإمام الهادي (عليه السلام) يوقع في جوابه:

«ساعة يدخل مكة، إن شاء الله يطوف، ويصلّي ركعتين، ويسعى ويقصر، ويُحرم بحجته، ويمضي إلى الموقف ويفيض مع الإمام»[١].

ومن هذا وغيره أفتى الفقهاء بسعة الوقت لأداء عمرة التمتع إلى وقت يدرك معه الوقوف الاختياري أو الركن منه ليوم عرفة، وهو المسمى منه.

لا تصلِّ خلفه

ويحدثنا الشيخ الصدوق في "الفقيه" مسنداً عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«من قال بالجسم» ـ أي قال بأن الله جسم والعياذ بالله ـ «فلا تعطوه شيئاً من الزكاة، ولا تصلوا خلفه»[٢].

ولأجل هذا وغيره اشترط الفقهاء الإيمان وعدم القول بالتجسيم في مستحقي الزكاة وإمام الجماعة.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٠ ص٢٩٥ ح١٦، بتصرف.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٢٦١، بتصرف.

لا بأس بالصلاة معه

وأخبرنا الإمام علي الهادي (عليه السلام) عن جوابه على من سأله عن رجل يأخذ من شعره وأظفاره، ثم يقوم إلى الصلاة من غير أن ينفض ثوبه قائلاً:

«لا بأس بذلك»[١]. ومن هذا وغيره أفتى الفقهاء بعدم مانعية قصاصات شعر الإنسان وظفره في الصلاة مع أنه من أجزاء غير المأكول ولا تجوز الصلاة في غير المأكول.

السجود على القرطاس

وكتب الإمام علي الهادي (عليه السلام) في الجواب على من سأله عن السجود على القراطيس والكواغذ المكتوبة عليها، قائلاً: «يجوز»[٢].

ومنه ومن غيره أفتى الفقهاء بجواز السجود على القرطاس وإن كانت عليه كتابة، لكن بشرط أن لا يكون مغلّفاً بالنايلون.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٢٦٥، بتصرف.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٢٧٠، بتصرف.

فضل الصلاة فيهما

ويحدثنا الشيخ الكليني في "الكافي"، مسنداً عن أبي علي بن راشد، أنه قال:

قلت للإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام): جُعلت فداك يا ابن رسول الله، إنك كتبت إلى محمد بن الرفج تُعلمه بأن أفضل ما يقرأ في الفرائض بـ (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) بعد الحمد في الركعة الأولى، و(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) بعد الحمد في الركعة الثانية، وإن صدري ليضيق بقراءتهما في الفجر فما تأمرني؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابه: «لا يضيقنّ صدرك بهما، فإن الفضل والله فيهما»[1].

ولهذا الحديث وغيره أفتى الفقهاء باستحباب سورة القدر بعد الحمد في الركعة الأولى، والتوحيد في الثانية، في كل الفرائض اليومية.

---

(١) الكافي: ج٣ ص٣١٥، بتصرف.

الصلاة واستجابة الدعاء

ويحدثنا الشيخ الطوسي في أماليه، بإسناده عن أبي محمد الفحام، أنه قال: حدثني أبو الحسن المنصوري وقال: حدثني عمّ أبي وقال: حدثني الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) واحداً واحداً حتى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يقول: «من أدّى لله مكتوبةً، فله في أثرها دعوة مستجابة»[1].

من تعقيبات الصلاة

ويحدثنا الشيخ الكليني في "الكافي"، مسنداً عن محمد بن إبراهيم، أنه قال:

كتبت إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) رسالةً أسأله فيها أن يعلّمني دعاءً أدعو به عقيب صلواتي يجمع الله تعالى لي به خير الدنيا والآخرة؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه ما يلي:

«قُل عقيب كل فريضة: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَعِزَّتِكَ الّتي لا تُرامُ،

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ج١ ص٣٠٤، بتصرف.

وَقُدْرَتِكَ الّتي لا يَمْتَنِعُ مِنها شَيْءٌ، مِنْ شَرِّ الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ شَرِّ الأوْجاعِ كُلِّها»[١].

ومن هذا الحديث الشريف ونحوه قال الفقهاء بأن الاشتغال عقيب الصلاة بالدعاء والقرآن من المستحبات الأكيدة وأن منافعه في الدين والدنيا كثيرة.

الوصية في الثلث

ويحدثنا الشيخ الطوسي في التهذيب، بإسناده عن الحسين بن محمد الرازي، بأنه كتب إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) رسالةً يسأله فيها عن الرجل يموت وقد وصى بماله كله في أبواب البر بأكثر من الثلث، هل يجوز ذلك له، وكيف يصنع الوصي؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه: «تجاز وصيته ما لم يتعد الثلث»[٢].

ومنه ومن غيره من الأحاديث الشريفة، أفتى الفقهاء بعدم نفاذ الوصية في الزائد على الثلث، إلا إذا رضي الورثة بذلك وأجازوه.

---

(١) الكافي: ج٣ ص٣٤٦، بتصرف.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٩ ص١٩٥، بتصرف.

الجريدة المفيدة لدفع العذاب

ويحدثنا الشيخ الصدوق في "الفقيه"، عن علي بن بلال، بأنه كتب إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) في الرجل يموت في بلاد ليس فيها نخل، فهل يجوز مكان الجريدة شيء من الشجر غير النخل، فإنه قد روي عن آبائكم (عليهم السلام) أنه يتجافى عنه العذاب ما دامت الجريدتان رطبتين، وأنها تنفع المؤمن والكافر؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه:

«يجوز من شجر آخر رطب»[١].

تقريب المسك و البخور

وعن الفقيه أيضاً، بأنه سُئل من الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) عن تقريب المسك والبخور إلى الميت؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في الجواب: «نعم»[٢].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص١٤٤، بتصرف.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص١٥٣، بتصرف.

العائد من السفر يصوم

ويحدثنا الشيخ الطوسي في التهذيب، مسنداً عن أحمد بن محمد، أنه قال:

سألت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن رجل قدم من سفر في شهر رمضان قبل الزوال ولم يطعم شيئاً، فهل يصوم أو لا صوم عليه؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه قائلاً: «يصوم»[١].

ولهذا ونحوه أفتى الفقهاء بوجوب الصوم على المسافر الذي يرجع إلى بلده قبل الزوال ولم يكن قد ارتكب مفطراً في السفر في ذلك اليوم.

طواف النساء

ويحدثنا الشيخ الكليني، مسنداً عن أحمد بن محمد، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٢]، هو «طواف الفريضة: طواف النساء»[٣].

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٤ ص٢٥٥، بتصرف.

(٢) سورة الحج ٢٩.

(٣) الكافي: ج٤ ص٥١٢، بتصرف.

ولهذه الآيات الكريمة والحديث الشريف في تفسيرها وسائر الأحاديث الأخرى في هذا المجال، أفتى الفقهاء بوجوب طواف النساء في العمرة المفردة وفي حج التمتع على الرجال والنساء للخروج من كامل محرّمات الإحرام.

صلة الرحم وقطعه

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار، بأنه قد روي عن الحسن بن علي الوشّاء، بأنه روى عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«إن الرجل ليكون قد بقي من أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً لقرابته، وصولاً لرَحِمِه، فيجعلها الله ثلاثاً وثلاثين سنة، وأنه ليكون قد بقي من أجله ثلاث وثلاثون سنة، فيكون عاقاً لقرابته، قاطعاً لرحمه، فيجعلها الله ثلاث سنين». (١)

ماء الشعير: الفقاع والبيرة

ويحدثنا الشيخ الكليني في الكافي، مسنداً عن الوشاء، بأنه كتب إلى الإمام الرضا (عليه السلام) فيما يخص الفقاع (ماء الشعير) ويسأله عن حكمه؟

فكتب (عليه السلام) في جوابه: «الفقاع حرام وهو خمر، ومن شربه كان

(١) بحار الأنوار: ج٧٤ ص١٠٣، بتصرف.

بمنزلة شارب الخمر».

ثم يواصل الوشاء كلامه، وينقل عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في الفقاع ما يوافق حديث الإمام الرضا (عليه السلام) وما يظهر منه شدة حرمته وكبير ضرره، أنه قال:

«لو أن الدار داري، لقتلتُ بايعه، ولجلدتُ شاربه»، ثم يضيف قائلاً: «هي خمرة استصغرها الناس، وحدّها حدّ شارب الخمر»[1].

ولهذين الحديثين الشريفين ونحوهما من الأحاديث الأخرى أفتى الفقهاء والمراجع بحرمة ماء الشعير: الفقاع في لسان الشرع، والذي يسمى بالبيرة في لسان العرف.

(١) الكافي: ج٦ ص٤٢٣، بتصرف.

إرضاع الحيوان

ويحدثنا الشيخ الصدوق في الفقيه، عن أحمد بن محمد بن عيسى، أنه كتب إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) رسالةً يسأله فيها عن امرأة أرضعت عناقاً بلبنها حتى فطمتها؟ والعَناق: هي الأنثى من صغار المعز ما لم يتم لها سنة.

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه: «فعل مكروه، ولا بأس به»[1].

جلود الميتة

ويحدثنا الشيخ الطوسي في التهذيب، مسنداً عن الفتح بن يزيد الجرجاني، بأنه كتب إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالةً يسأله فيها عن جلود الميتة من الحيوان المأكول اللحم ـ كالشاة إذا ماتت ـ فهل جلدها كصوفها ذكي وطاهر أم لا؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه: «لا ينتفع من الميتة بإهاب ولا عصب، وكلما كان من السخال من الصوف إن جزّوا الشعر، والوبر،

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٣٣٤، بتصرف.

والأنفحة، والقرن، ينتفع بها ولا يتعدى إلى غيرها إن شاء الله تعالى»[١].

ولهذا وغيره أفتى الفقهاء المراجع بنجاسة جلد الميتة وأنه لا يطهر بالدباغ.

تبديل النذر وتغييره

ويحدثنا الشيخ الطوسي في تهذيبه، مسنداً عن علي بن مهزيار، أنه قال:

قلت للإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام): بأن رجلاً جعل على نفسه نذراً، إن قضى الله عز وجل حاجته أن يتصدق في مسجده بألف درهم نذراً، فقضى الله عز وجل حاجته، فصيّر الدراهم ذهباً ووجهها إليك، أيجوز ذلك أم يعيد؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه قائلاً: «يعيد»[٢].

مما يعني أنه لا يجوز تبديل النذر وتغيير الشيء المنذور.

ويواصل ابن مهزيار كلامه ويقول: بأنه كتب إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) رسالةً يسأله فيها عن رجل نذر أن يصوم يوماً من الجمعة دائماً ما بقي، فوافق ذلك اليوم يوم عيد فطر أو أضحى أو جمعة أو أيام التشريق أو سفراً أو مرضاً، فهل عليه صوم ذلك اليوم، أو قضاؤه أو كيف يصنع يا سيدي

(١) تهذيب الأحكام: ج٩ ص٧٦، بتصرف.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٨ ص٣٠٥، بتصرف.

يا ابن رسول الله؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه: «قد وضع الله الصيام في هذه الأيام كلها، ويصوم يوماً بدل يوم، إن شاء الله تعالى»[١].

ومن هذا ونحوه احتاط الفقهاء في هذا المورد باستحباب القضاء.

ابن مهزيار ـ يواصل حديثه ويقول: بأنه كتب إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) كتاباً يسأله فيه عن رجل نذر أن يصوم يوماً معيناً، فوقع ذلك اليوم على أهله، فما عليه من الكفارة؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه: «يصوم يوماً بدل يوم، وتحرير رقبة»[٢].

ولأجل هذا الحديث وأمثاله احتاط الفقهاء المراجع وجوباً بإعادة الصوم يوماً بدل هذا اليوم، والكفارة مخيراً بين أمور ثلاثة: عتق رقبة، أو صيام ستين يوماً، أو إطعام ستين مسكيناً كل مسكين بمُدّ من الطعام.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٨ ص٣٠٥، بتصرف.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٨ ص٣٠٥، بتصرف.

المجال الثالث

من سيرته (عليه السلام) العلمية :

الحِكَم والآداب الاجتماعية

الحِكَم والآداب

الحكمة والقول الصائب والآداب الإنسانية والاجتماعية هي مما حبّذها الإسلام وأمر المؤمنين بامتثالها، والاعتبار بها، والاستفادة منها، وهي تفيد كرامة الإنسان وتقدم المجتمع ورقيّه.

والإمام الهادي (عليه السلام) هو كبقية المعصومين (عليهم السلام) قدّم الحِكَم الكثيرة في أقواله، وكذا قدّم الآداب الاجتماعية في أفعاله أيضاً، وهي مع كثرتها جاءت منه (عليه السلام) متينة وثمينة، لأنها من مصدر الوحي وأهل بيت النبوة، ونحن نشير إلى ما تيسر لنا منها بتوفيق من الله تعالى.

المقام المحمود

روى الشيخ الطوسي ـ كما في تاريخ سامراء ـ في أماليه، بسنده عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: «إذا حُشر الناس يوم القيامة ناداني منادٍ: يا رسول الله، إن الله قد أمكنك من مجازاة محبيك ومحبي أهل بيتك، الموالين لهم فيك، والمعادين لأعدائهم فيك، فكافهم بما شئت.

فأقول: يا رب الجنة، فأُبوّأهم منها حيث شئت، فذلك المقام المحمود الذي

وُعدت به»[١]

غفران الله لعلي عليه السلام وشيعته

قال في كتاب تاريخ سامراء، وهو ينقل عن كتاب الأمالي للشيخ الطوسي، بأنه روى مسنداً عن الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) عن آبائه الطاهرين (عليهم السلام) أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يخاطب علياً (عليه السلام) بما يلي:

«يا علي، إن الله عز وجل قد غفر لك، ولشيعتك، ولمحبي شيعتك، ومحبي محبي شيعتك»[٢].

المغفرة لما تقدم وما تأخر

وقال في كتاب تاريخ سامراء أيضاً، نقلاً عن كنز الفوائد للكراجكي، بأنه سُئل من الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣].

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على السؤال قائلاً: «وأي ذنب كان لرسول

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٠.

(٢) تاريخ سامراء ج٣ ص٢١٣، بتصرف.

(٣) سورة الفتح: ٢.

الله (صلى الله عليه وآله) متقدماً أو متأخراً، وإنما حمّله الله ذنوب شيعة علي (عليه السلام) ممن مضى منهم وبقي، ثم غفرها له»[١].

الوصف السماوي الخاص بعلي عليه السلام

وجاء في كتاب تاريخ سامراء، عن أمالي الشيخ الطوسي، مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«لما أُسري بي إلى السماء وكنتُ من مقام ربي قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليّ ربي ما أوحى، ثم قال:

يا محمد اقرأ علي بن أبي طالب أمير المؤمنين السلام، فما سميت به أحداً قبله ولا أسمي بهذا أحداً بعده»[٢].

وهذا الحديث الشريف لمن يحسن العربية نص في أن لقب (أمير المؤمنين) قد اختصه الله بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) دون أحد سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، كما أن المستفاد من الأحاديث الشريفة المتقدمة أنه لا نجاة ولا سعادة دنياً وآخرةً إلا باتباع الرسول الكريم وأهل بيته الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين) دون غيرهم مهما كان شأنهم وطول صحبتهم لرسول الله (صلى الله

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢١٣، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٣، بتصرف.

عليه وآله).

من ثمار التواضع

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن تاريخ قم، عن أبي مقاتل الديلمي نقيب الريّ، أنه قال: سمعت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) يقول:

«إنما سميت بلدة قم بهذا الإسم، لأنه لما وصلت السفينة إليه في طوفان نوح (عليه السلام) قامت، وهي قطعة من بيت المقدس»[١].

الناس اثنان

جاء في كتاب تاريخ سامراء، عن أمالي الشيخ الطوسي، بسنده عن أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام)، أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«الناس اثنان: رجل أراح، ورجل استراح، فالمؤمن استراح من الدنيا ونصبها، وأفضى إلى رحمة الله وكريم ثوابه، وأما الذي أراح فالفاجر أراح منه الناس والشجر والدواب وأفضى إلى ما قدّم»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٠ ص٢١٣، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢١١، بتصرف.

كراهة الموت لماذا؟

وجاء في كتاب تاريخ سامراء، عن معاني الأخبار للشيخ الصدوق، بالإسناد عن الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) أنه قال: قيل للإمام الجواد محمد بن علي بن موسى (عليه السلام) ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت، فأجابهم (عليه السلام) بما يلي:

«إنهم جهلوا الموت فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عز وجل لأحبّوه، ولعلموا أنّ الآخرة خير لهم من الدنيا».

ثم قال (عليه السلام): «ما بال الصبي والمجنون يمتنع عن الدواء المنقّي لبدنه، والنافي للألم عنه، إنما هو لجهله بنفع الدواء».

ثم أضاف (عليه السلام) قائلاً: «والذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق نبياً، من استعد للموت حق الاستعداد، فهو أنفع له من هذا الدواء المعالج، أما أنهم لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم، لاستدعوه وأحبوه أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات وجلب السلامة»[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢١١، عن معاني الأخبار: ص٢٩٠ ح٨، بتصرف.

لا خوف من الموت

ومما جاء في كتاب "تاريخ سامراء"، نقلاً عن الشيخ الصدوق في "معاني الأخبار"، الخبر التالي:

دخل الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت.

فقال (عليه السلام) له: «يا عبد الله، تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أرأيت إذا اتسختَ وتقذّرت وتأذّيت من كثرة القذر والوسخ عليك، وأصابك قروح وجرب، وعلمتَ أن الغسل في الحمام يزيل ذلك كله، أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك، أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك»؟

المريض يجيب قائلاً: بلى يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) يعود فيقول: «فذلك الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك، وتنقيتك من سيئاتك، فإذا أنت وردت عليه وجاورته، فقد نجوتَ من كل همّ وغمّ وأذى، ووصلت إلى كل سرور وفرح ونشاط».

المريض وهو يستمع إلى كلام الإمام (عليه السلام) يسكن ويهدأ، وينشط ويستسلم للموت، ثم يغمض عينيه ويمضي لسبيله[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢١١، بتصرف.

مَن صفت له الدنيا

يروي لنا الشيخ الطوسي في أماليه، مسنداً عن الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «من صفت له دنياه، فاتهمه في دينه»[١].

يشير هذا الحديث الشريف إلى إقبال الدنيا بزخارفها على المتهمين في دينهم، وهو الاستدراج الذي توعّد الله تعالى به المكذّبين بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٢]، وقوله عزوجل: ﴿فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

لا تأسوا على ما فاتكم

جاء في كتاب الحسين بن سعيد، بسنده عن الإمام الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«قال عيسى (عليه السلام) للحواريين: يا بني اسرائيل، لا تأسوا على ما فاتكم من دنياكم، كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من آخرتهم إذا

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٦، بتصرف.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٢.

(٣) سورة القلم: ٤٤.

أصابوا دنياهم»[١].

تتجافى جنوبهم

ويحدثنا الشيخ الطوسي في أماليه، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[٢]:

«كانوا لا ينامون حتى يصلّوا العتمة ـ صلاة العشاء ـ »[٣].

الجمع بين الصلاتين كما ورد عن الرسول الكريم وأهل بيته الكرام (عليه وعليهم السلام) في أول الوقت هو أفضل وأجلب للرزق، ولكن حين كان التفريق بين الصلاتين ولظروف خاصة متعارفاً، كان البعض ينعس فينام عن صلاة العشاء، فنبه الله تعالى بحسب تفسير الإمام (عليه السلام) على ذلك.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٦، بتصرف.

(٢) سورة السجدة: ١٦.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص٢٩٤.

الحياة الطيبة

ويحدثنا الشيخ الطوسي في أماليه أيضاً، عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[١]:

«المراد بها القنوع»[٢].

والقناعة كما في الحديث الشريف: «كنز لا ينفد»[٣]، وهو يطيّب النفس فتطيب الحياة.

الصبر الجميل

ويحدثنا كتاب تاريخ سامراء، عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه في تفسير قوله تعالى حكاية عن قول يعقوب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[٤] قال: «صبر بلا شكوى»[٥].

---

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص٢٧٥.

(٣) مجمع البحرين: ج٤ ص٣٨٤ مادة قنع.

(٤) سورة يوسف: ١٨.

(٥) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٨، بتصرف.

عاتب فلاناً

وروى ابن شعبة الحرّاني في تحف العقول، بسنده عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال لبعض مواليه:

«عاتب فلاناً وقل له: إن الله إذا أراد بعبد خيراً إذا عوتب قبل»[١].

لا تطلب الصفا ممن كدرت عليه

وروى العلامة المجلسي في البحار عما في كتاب الدرة الباهرة، عن الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) أنه قال للمتوكل في جواب كلام دار بينهما:

«لا تطلب الصفا ممن كدرت عليه» ـ وفي نسخة: ولا الوفاء ممن غدرت به[٢] ـ «ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه، فإنما قلب غيرك لك كقلبك له»[٣].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٠.

(٢) نزهة الناظر: ص١٤٢.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٤.

مع شعر ابن أبي حفصة

يحدثنا كتاب "تاريخ سامراء"، عن العلامة المجلسي في البحار، عن المصدر الذي روى هو عنه، مسنداً عن سليمان بن جعفر، أنه قال:

قال لي الإمام الهادي أبو الحسن علي بن محمد (عليه السلام) بالنسبة إلى ما جاء في بيت شعر لابن أبي حفصة الذي يستنكر فيه وراثة ابن العم مع وجود العم، كما في وراثة علي (عليه السلام) تراث رسول الله (صلى الله عليه وآله) مما يخص الإمامة والوصاية ـ من درع وراية وقميص وذي الفقار ونحو ذلك، حيث سلّمها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في حياته لأمير المؤمنين (عليه السلام) ـ دون عمه العباس بن عبد المطلب، وذلك للنص الخاص[1]، حيث يقول ابن أبي حفصة مستنكراً ذلك:

أنّى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام؟

يقول الإمام الهادي (عليه السلام) في الردّ عليه: «نمت البارحة وأنا أفكر في هذا البيت، فإذا شخص يقول لي في جوابه ما يلي:

قد كان إذ نزل الكتاب بفضله ومضى القضاء به من الحكام

إن ابن فاطمة المنوّه باسمه حاز الوراثة من بني الأعمام

---

(١) يراجع: الكافي ج١ ص٢٣٦ باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومتاعه، ح٩.

وبقى ابن نثلة واقفاً متحيراً يبكي ويسعده ذووا الأرحام[١]

نثلة، وقيل: نثيلة، أم العباس بن عبد المطلب، وربما يكون جواب الإمام (عليه السلام) عن بيت ابن أبي حفصة عبر النوم هو للظروف القاسية التي كان يعيشها (عليه السلام) مع حكام بني العباس، وضررهم الكبير عليه وعلى مواليه وشيعته.

الزرع والعمل بالمسحاة

الإسلام وقادته يؤكدون على العمل باليد، وعلى الزرع والحرث بما لا مزيد عليه، وكان الإمام الهادي (عليه السلام) كبقية المعصومين (عليهم السلام) القدوة فيه وفي كل خير.

وفي هذا المجال يروي لنا كتاب "تاريخ سامراء"، ما رواه الشيخ الصدوق في كتابه: "من لا يحضره الفقيه"، باسناده عن علي بن حمزة، أنه قال:

رأيت الإمام الهادي أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) يعمل في أرض وقد استنقعت قدماه في العرق.

فقلت له: جُعلت فداك يا ابن رسول الله أين الرجال؟ أي: حتى يعملون ويغنوك عن مباشرة العمل بنفسك، وعن تصبب العرق وتحمل التعب والنصب.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٩٦، بتصرف.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إلى ابن حمزة ويقول له في الجواب على اعتراضه:

«يا علي بن حمزة، قد عمل بالمسحاة في أرضه من هو خير مني ومن أبي».

ابن حمزة ـ يسأل قائلاً: ومن هو ذاك يا بن رسول الله؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابه: «هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وآبائي (عليهم أفضل الصلاة والسلام) كلهم عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين»[1].

خير من الخير

يروي لنا كتاب تاريخ سامراء، ما رواه تلميذ الشيخ المفيد في كتابه نزهة الناظر، عن الإمام الهادي (عليه السلام) أنه قال الحكمة التالية:

«خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم عامله»[2].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢١٣، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٠، بتصرف.

اتقوا فراسة المؤمن

يحدثنا كتاب "تاريخ سامراء"، عما أورده الشيخ الطبرسي في الاحتجاج، عن الإمام الهادي (عليه السلام) عن آبائه، عن الإمام الباقر (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) أنه قال:

«اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، ثم تلا (عليه السلام) هذه الآية الكريمة مستدلاً بها عليه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[١]»[٢].

عليكم بالورع

ويحدثنا الشيخ الطوسي في الأمالي، عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«عليكم بالورع، فإنه الدين الذي نلازمه، وندين الله به، ونريده ممن يوالينا»[٣].

والورع هو الخوف القلبي من الله تعالى خوفاً يمنع صاحبه من المعاصي واقتحام الشبهات.

---

(١) سورة الحجر: ٧٥.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٠، بتصرف.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص٢٨١ ح٥٤٤.

شأن مَن عَبَد الله بإخلاص

الإخلاص في العبادة من العوامل المهمة في قبول العمل العبادي، ورفعة مقام العبد عند الله تعالى، وفي هذا المعنى يروي لنا كتاب "تاريخ سامراء"، ما رواه العلامة المجلسي في البحار، عن الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) من أنه قال:

«لو سلَكَ الناس وادياً وسيعاً، لسلكت وادي رجل عَبَدَ الله وحده خالصاً»[1].

مقام المخلصين في العبادة

ويروي لنا كتاب "تاريخ سامراء"، ما رواه العلامة المجلسي في بحاره، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«لو جُعلت الدنيا كلها لقمةً واحدةً، ولَقَمْتُها من يعبد الله خالصاً، لرأيتُ أني مقصر في حقه...».

ثم أضاف (عليه السلام) قائلاً: «وكان عيسى (عليه السلام) يقول للحواريين: إذا كان يصوم أحدكم فليُدهن رأسه ولحيته، ويمسح شفتيه بالزيت، لئلا يرى الناس أنه صائم، وإذا أعطى بيمينه، فليخفِ عن شماله، وإذا صلى

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٢و٢٤٣، بتصرف.

فليخفِ»[١].

ولهذا وغيره أفتى الفقهاء بأفضلية إتيان النوافل والصلوات المستحبة في البيت، يعني: إخفاءها، دون الصلوات اليومية والواجبة فالأفضل إتيانها في المسجد وعلانية.

لعن الرسول الكريم ثلاثة

ويروي لنا كتاب "تاريخ سامراء"، ما رواه الشيخ الصدوق في العيون، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثلاثة: الآكل زاده وحده، والراكب في الفلاة وحده، والنائم في البيت وحده»[٢].

لو خالف المؤمن ما أمر به

جاء في كتاب "تاريخ سامراء"، نقلاً عن "تحف العقول"، عن الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«إذا خالف المؤمن ما أمر به ممن آمنه، لم يأمن أن يصبه عقوبة الخلاف»[٣].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٣، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٣، بتصرف.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢١، بتصرف.

مما يعني: أن مخالفة الأحكام الشرعية هي كمخالفة القوانين الطبيعية، فكما لو خالف الإنسان قانون الجوع والعطش فلم يأكل الطعام ولم يشرب الماء يذبل ويموت، فكذلك لو خالف الأحكام الشرعية فإنه يُبتلى بعواقبها من العقاب والعذاب ـ والعياذ بالله ـ.

الشاكر سعيد

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر، لأن: النعم متاع، والشكر: نِعَم وعقبى»[١].

الدنيا دار بلاء

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «إن الله جعل الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عُقبى، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً»[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢١، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢١، بتصرف.

الدنيا سوق

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الدنيا سوق، ربح فيها قوم، وخسر فيها آخرون»[١].

الظالم الحليم والمحق السفيه

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «إن الظالم الحليم يكاد أن يُعفى على ظلمه بحلمه، وأن المحق السفيه يكاد أن يُطفء نور حقه بسفهه»[٢].

أجمع له طاعتك

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «من جمع لك ودّه ورأيه، فأجمع له طاعتك واسمع له»[٣].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢١، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢١، بتصرف.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص ٢٢١، بتصرف.

لا تأمن شرّه

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «من هانت عليه نفسه، فلا تأمن شرّه»[١].

الراضي عن نفسه

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «من رضي عن نفسه، كثر الساخطون عليه»[٢].

الحلم ومعناه

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الحلم هو أن تملك نفسك، وتكظم غيظك، ولا يكون ذلك إلا مع القدرة»[٣].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢١، بتصرف.

(٢) نزهة الناظر: ص١٣٨، بتصرف.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢١، بتصرف.

الناس في الدنيا

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الناس في الدنيا بالأموال، وفي الآخرة بالأعمال»[١].

مَن أطاع الله يُطاع

وجاء في كتاب تحف العقول، فيما روي عن الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) من قصار كلماته أنه قال:

«مَن اتقى الله يُتّقَى، ومن أطاع الله يُطاع، ومن أطاع الخالق لم يُبال سخط المخلوقين، ومن أسخط الخالق فليتيقن أن يحلّ به سخط المخلوقين»[٢].

من عوامل التكبر

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في التكبر وبيان بعض عوامله:

«من أمن مكر الله وأليم أخذه، تكبر حتى يحلّ به قضاؤه ونافذ أمره»[٣].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢١، بتصرف.

(٢) تحف العقول: ص٣٨٦.

(٣) تحف العقول: ص٣٨٦.

مَن كان على بيّنة

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «من كان على بينة من ربه، هانت عليه مصائب الدنيا، ولو قُرض (أي: بالمقاريض) ونُشر (أي: بالمناشير)»[١].

أمكنة يستجاب فيها الدعاء

وقال الإمام الهادي (عليه السلام): «إن لله بقاعاً يحب أن يُدعى فيها، فيستجيب لمن دعاه، والحير (أي الحائر الحسيني) منها»[٢].

العدول عن الملق

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام) لشخص من الثقاة عنده، وقد أكثر من تقريظه وأفرط في الثناء عليه:

«أقبل على شأنك» ـ وفي نسخة: أوكِ، "وهو الربط، من الوكاء: ما يشد به الكيس وغيره"، على ما في شفتيك ـ فإن كثرة الملق تهجم على الظنة، وإذا حللت من أخيك محل الثقة، فأعدل عن الملق إلى حسن النية»[٣].

---

(١) تحف العقول: ص٣٨٦.

(٢) تحف العقول: ص٣٨٥.

(٣) نزهة الناظر: ص١٣٩.

بين الإيمان والإسلام

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام) في حديث له مع أبي دعامة:

أكتب يا أبا دعامة ما يلي:

«الإيمان ما وقّرته القلوب، وصدّقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناكحة»[١].

وهذا الحديث الشريف يشير إلى الفرق بين الإسلام والإيمان الذي أشار إليه القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٢].

الزمان إذا غلب فيه الجور

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «إذا كان زمانٌ العدل فيه أغلب من الجور، فحرام أن يظن بأحد سوءاً حتى يعلم ذلك منه، وإذا كان زمانٌ الجور فيه أغلب من العدل، فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يبدو ذلك منه»[٣].

---

(١) مروج الذهب: ج٤ ص١١٤.

(٢) سورة الحجرات: ١٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٨٨ ص٩٢ ح٥٦.

الجهل و البخل

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الجهل والبخل، أذمّ الأخلاق»[١].

الحسد و الزهو

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الحسد ماحي الحسنات، والزهو (أي: الكبر والفخر) جالب للمقت»[٢].

العُجب مهلك

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من دخله العُجب هلك»[٣].

التمني بلا عمل

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «قال أمير المؤمنين (عليه السلام) إياكم والمُنى، فإنها من بضائع النوكى»[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ج١ ص٩٤ ح٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج١ ص١٠٤ ح١٨.

(٤) كنز الفوائد: ص١٦٣.

نُوك: جمع أنوك، وهو الأحمق، فإن العاقل يعمل لتحقيق أُمنيته، بينما الأحمق لا يعمل ويكتفي بأُمنيّته وأمله.

العُجب وآثاره الوخيمة

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «العُجب صارف عن طلب العلم، داع إلى الغمط (أي: احتقار الآخرين) والجهل»[١] ـ وفي نسخة: داعٍ إلى التخبط في الجهل[٢] ـ.

الجود والكرم

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من أيقن بالخلف جاد بالعطية»[٣].

البخل والطمع

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «البخل أذّم الأخلاق، والطمع سجية سيئة»[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

(٢) نزهة الناظر: ص١٤٠ ح١٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٨٨ ح١١.

(٤) نزهة الناظر: ص١٤٠.

مخالطة الأشرار

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «مخالطة الأشرار تدل على شرار من يخالطهم، والكفر للنِعَم أمارة البطر وسبب للغِيَر، واللجاجة مسلبة للسلامة ومؤدية للندامة، والهزوؤة فكاهة السفهاء وصناعة الجهال، والتسوف (وهو التأخير والمطل) مَغضبة للإخوان ومورث الشنئان، والعَقِب (أي أخذ البدل عن الفائت) يُعقب القلة ويؤدي إلى الذلة»[١].

حُسن العطاء وحُسن المنع

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «من لم يُحسن أن يمنع، لم يُحسن أن يعطي»[٢].

شكر النعمة

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «ألقوا النِعَم بحسن مجاورتها، والتمسوا الزيادة منها بالشكر عليها، وأعلموا أن النفس أقبل شيء لما أُعطيتْ، وأمنع شيء لما سُلبتْ، فاحملوها على مطيّة لا تبطئ إذا ركبَتْ، ولا تسبق إذا

(١) نزهة الناظر: ص١٤٠.

(٢) نزهة الناظر: ص١٤٢.

تقدمَتْ»[١].

تذكر حسرات التفريط

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «أذكر حسرات التفريط، تلذّ بقديم الحزم»[٢].

وفي نسخة: (تأخذ بقديم الحزم).

وفي أخرى: (بأخذ تقديم الحزم).

والكل بمعنى متقارب واحد وهو: أن التفريط في عمل الخير يستتبع الحسرة، وتذكّر الحسرة يدعو العاقل للتدراك بالجدّ في الخير.

الغضب عجز ولؤم

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الغضب على من لم تملك عجز، والغضب على من تملك لؤم»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٧٠.

(٢) نزهة الناظر: ص١٤١.

(٣) نزهة الناظر: ص١٤١.

الحكمة في الطبع الفاسد

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة»[١].

الحرص والحريص

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «ما استراح ذو الحرص، وطالب الحكمة»[٢].

من أضرار الجهل

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الجاهل أسير لسانه»[٣].

شرّ من الشرّ

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «خير من الخير فاعلُه، وأجمل من الجميل قائلُه، وأرجح من العلم حاملُه، وشر من الشر جالبُه، وأهول من

---

(١) نزهة الناظر: ص١٤١.

(٢) نزهة الناظر: ص١٤١، بتصرف.

(٣) إعلام الدين: ص٣١١.

الهول راكبُه»[١].

إياك و الحسد

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «إياك والحسد، فإنه يبين فيك، ولا يعمل» ـ وفي نسخة: ولا يبين [٢] ـ «في عدوك»[٣].

العقوق وعواقبه

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «العقوق يعقّب القلة، ويؤدي إلى الذلة»[٤].

اترك الهزل

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الهزل فكاهة السفهاء، وصناعة الجهّال»[٥].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٧٠.

(٢) نزهة الناظر: ص١٤٢.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٧٠.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

(٥) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

والهزل هو: المزح واللعب وعدم الجد، يقال: هزل الرجل في الأمر: إذا لم يجدّ فيه، وهذا الحديث الشريف يدل على مذمة هذه الصفة، وأنها علامة على سفه الإنسان وجهله.

المقادير ومخبئاتها

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «المقادير تريك ما لم يخطر ببالك»[١].

الغنى والفقر

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الغنى قلة تمنّيك والرضا بما يكفيك، والفقر شرّة النفس وشدة القنوط، والمذلة - وفي نسخة: والدقة (أي: الخساسة)[٢] - اتباع اليسير والنظر في الحقير»[٣].

اذكر مصرعك

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «اذكر مصرعك بين يدي أهلك،

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

(٢) نزهة الناظر: ص١٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٨.

فلا طبيب يُنعمك ـ وفي نسخة: يمنعك [١] ـ ولا حبيب ينفعك»[٢].

من كواشف الأخلاق

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الأخلاق تتصفحها المجالسة»[٣]، وفي نسخة: المجانسة[٤].

صناعة الأيام

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «صناعة الأيام السلب، وشرط الزمان الافاتة»[٥].

فكل يوم يمضي على الإنسان يسلبه يوماً من عمره، وكل لحظة من الزمان تمرّ على الإنسان تفوّت عليه فرصة تلك اللحظة التي مرّت.

---

(١) نزهة الناظر: ص١٤١.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٧٠

(٣) نزهة الناظر: ص١٤١.

(٤) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٣٥٦ ح٦.

(٥) نزهة الناظر: ص١٤١.

الثناء والسناء

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «الثناء ـ وفي نسخة: السناء[١] ـ الغلبة على الأدب ورعاية الحسب»[٢].

شرّ من الرزية

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «شر من المرء رزية: سوء الخلف»[٣]، وفي نسخة: «شر من الرزية: سوء الخلف»[٤].

وفيه إشارة إلى أن سوء الخلف بأن يخلف الإنسان ذرية غير صالحة، هو شر من رزيّة الموت ومصيبته.

الحزم ومعناه

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام) في جواب من سأله عن الحزم: «الحزم هو أن تنتظر ـ وفي نسخة: تنهز[٥] ـ فرصتك وتعاجل ما أمكنك»[٦].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

(٢) نزهة الناظر: ص١٣٨.

(٣) نزهة الناظر: ص١٣٨.

(٤) مقصد الراغب: ص١٧٤.

(٥) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٣٥٦.

(٦) نزهة الناظر: ص١٣٨.

من أقبل مع أمر

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «من أقبل مع أمر، ولّى مع انقضائه»[١].

السابق الهارب

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «أدركَ من سبق إلى الجنة، ونجا من هرب من النار»[٢].

فالذي يجتنب السيئات هرباً من النار ينجو منها، والذي يرتكب الصالحات سبقاً إلى الجنة يدركها.

جهل الكرامة

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «صلاح من جهل الكرامة هوانه»[٣].

فالذي يجهل إكرام الآخرين له ولا يشكرهم عليها فقد أهان نفسه.

---

(١) نزهة الناظر: ص١٣٩.

(٢) نزهة الناظر: ص١٤٣.

(٣) الدر النظيم: ص٧٢٩.

الآداب حُلل حسان

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن أمالي الشيخ الطوسي، مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

«العلم وراثة كريمة، والآداب حُلل حسان، والفكر مرآة صافية، والاعتبار منذر ناصح، وكفى بك أدباً لنفسك تركك ما كرهته لغيرك»[١].

أين الصابرون؟

يروى لنا كتاب "تاريخ سامراء"، عن بحار العلامة المجلسي، نقلاً عن كتاب الحسين بن سعيد، عن الحسن بن علي الوشاء، أنه قال:

سمعت الإمام أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) يقول: قال محمد بن علي (عليه السلام): «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الصابرون؟ فيقوم عُنُق من الناس، فينادي منادٍ: أين المتصبرون؟ فيقوم عُنُق من الناس.

فقلت: جعلت فداك، ومن الصابرون والمتصبرون؟

قال (عليه السلام): «الصابرون على أداء الفرائض، والمتصبرون على ترك المعاصي»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج١ ص١٦٩ ح٢٠.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٢٠.

الأشد حباً لدينه

يروي العلامة المجلسي في البحار، عن الخرائج عن علي بن جعفر، أنه قال: قلت للإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام): أُينا أشدّ حُباً لدينه؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه قائلاً: «أشدكم حباً لصاحبه»[١].

راكب الحرون

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «راكب الحرون - (أي: المركب الذي لا ينقاد) - أسير نفسه، والجاهل أسير لسانه»[٢].

المراء والجدل

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «المراء (أي الجدل) يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن يكون فيه المغالبة، والمغالبة أُسّ - وفي نسخة: أمتن[٣] - أسباب القطيعة»[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٨.

(٣) نزهة الناظر: ص١٣٩.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

دع العتاب

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «العتاب مفتاح الثقال ـ وفي نسخة: مفتاح التقالي وهو البغض والتباغض [١] ـ والعتاب خير من الحقد»[٢].

المصيبة عند الصابر

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان»[٣].

العقوق ثكل

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «العقوق ثُكْلُ من لم يَثْكَل»[٤].

قال (عليه السلام) ذلك لرجل ذمّ إليه ولداً له ـ وثكل ابنه: فقده ـ أي: إن من عَقَّه وُلْدُه فكأنه ثكلهم وإن كانوا أحياءً.

---

(١) نزهة الناظر: ص١٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

السهر والجوع

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام) في بعض مواعظه لبعض أصحابه: «السهر ألذّ للمنام، والجوع يزيد في طيب الطعام»[١].

ما أعزّ الدرهم الحلال

ويحدثنا السيد بن طاووس في كتابه "أمان الأخطار"، كما في كتاب "تاريخ سامراء"[٢]، بسنده عن محمد بن هارون الجلّاب، أنه قال:

قلت لسيدي الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام): إنا روينا من آبائك (عليهم السلام) أنه يأتي على الناس زمان لا يكون شيء أعز من أخ أنيس، أو كسب درهم من حلال؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابه: «يا محمد، إن الأخ الأنيس موجود، ولكنك في زمان ليس شيء أعز من درهم حلال، وأخ في الله عزوجل».

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٦٩.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٠، بتصرف.

أحبوا أهل بيتي لحبي

وروى الشيخ الطوسي في أماليه، على ما ذكره كتاب تاريخ سامراء، بسنده عن عيسى بن أحمد، عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«أحبوا الله لما يغذوكم به من نِعَمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[١].

أربعة أنا لهم شفيع

وروى الشيخ الطوسي في أماليه أيضاً، كما في كتاب "تاريخ سامراء"، بإسناده عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة، المحب لأهل بيتي، والموالي لهم والمعادي فيهم، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم فيما ينوبهم من أمورهم»[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٠.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٠.

من أصبح والآخرة همّه

وروى الشيخ الطوسي في أماليه أيضاً، على ما جاء في كتاب "تاريخ سامراء"، مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

«من أصبح والآخرة همّه استغنى بغير مال، واستأنس بغير أهل، وعزّ بغير عشيرة»[١].

تَمَنّ الحياة لتطيع

وروى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، كما في كتاب "تاريخ سامراء"، بالإسناد عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام)، عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

جاء رجل إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وقال: قد سئمتُ من الدنيا فأتمنى من الله الموت؟

الإمام (عليه السلام) يقول في جوابه: (تمنَّ الحياة لتطيع لا لتعصي، فلئن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت فلا تعصي ولا تطيع»[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠١ بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٦٨و٢٦٩ بتصرف.

من عصى هواه

وكان نقش خاتم الإمام علي الهادي (عليه السلام): «من عصى هواه بلغ مناه»[١].

وقيل: كان نقش خاتمه (عليه السلام): «الله ربي وهو عصمتي من خلقه»[٢].

وقيل: كان نقش خاتمه (عليه السلام): «حفظ العهود من أخلاق المعبود»[٣].

وقيل: كان نقش خاتمه (عليه السلام): «أفلح من تمسك بالحق»[٤].

القرآن المعجزة الخالدة

جاء في كتاب أعلام الدين عن ابن السكيت أنه قال:

سألت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) قائلاً: ما بال القرآن لا يزداد على الدرس والنشر إلا غضاضة؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على سؤاله بقوله:

---

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج٢ ص١٠٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١١٦و١١٧ ح٨.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١١٧ ح٩.

(٤) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٩.

«لأن الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غضّ إلى يوم القيامة»[١].

الخير وأكمل الناس فيه

جاء في تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) فيما يخص خصال الخير وأكمل الناس فيه، ما يلي:

قيل للإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام): من أكمل الناس في خصال الخير؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب قائلاً: «أعملهم بالتقية، وأقضاهم لحقوق إخوانه»[٢].

والعمل بالتقية - بحسب الروايات الشريفة - خاص بالمكان أو الزمان المقتضي للتقية.

شر الرزية

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «شر الرزية: سوء الخلق»[٣]

---

(١) أعلام الدين: ص٢١١.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٢٤ ح١٧٢.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٩٢.

الأولى بالحرمان

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «من سأل فوق قدر حقه، فهو أولى بالحرمان»[١].

الجمال الباطن

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن»[٢].

الغفلة والغافل

وجاء في كتاب "تاريخ سامراء"، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

«كم من غافل ينسج ثوباً ليلبسه وإنما هو كفنه، ويبني بيتاً ليسكنه وإنما هو موضع قبره»[٣].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٩٢.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٩٥.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٧٩.

المؤمن والإيمان

وفي كتاب "تاريخ سامراء" عن البحار، مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

«سألت النبي (صلى الله عليه وآله) عن الإيمان؟

فقال (صلى الله عليه وآله): «الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان»[١].

أمران متضادان

وفي بحار الأنوار للعلامة المجلسي، عن أمالي الشيخ الطوسي، مسنداً عن الإمام الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «إن من الغرّة بالله أن يُصر العبد على المعصية، ويتمنى على الله المغفرة»[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٨ ص١٨٨ ب٦٤ ح٥٢.

لو سمعتَ وصفك من غيرك

وفي كتاب تاريخ سامراء، عن أمالي الشيخ الطوسي بالإسناد عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«يقول الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم ما تنصفني، أتحبَّبُ إليك بالنِعَم، وتتمَقَّتَ إليّ بالمعاصي، خيري إليك نازل، وشرّك إليّ صاعد، ولا يزال مَلَك كريم يأتيني عنك في كل يوم وليلة بعمل قبيح. يا ابن آدم، لو سمعتَ وصفَكَ من غيرك وأنتَ لا تعلم من الموصوف، لسارعتَ إلى مقته»[1].

ثلاث دعوات مستجابات

ويحدثنا كتاب تاريخ سامراء، عن الأمالي للشيخ الطوسي، مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«ثلاث دعوات لا يحجبن عن الله:

١: دعاء الوالد لولده إذا برّه، ودعوته عليه إذا عقّه.

٢: ودعاء المظلوم على ظالمه، ودعاؤه لمن انتصر له عنه.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٢.

٣: ورجل مؤمن دعا لأخ له مؤمن واساه فينا، ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه واضطرار أخيه إليه»[١].

أوقات ثلاثة للدعاء

وفي أمالي الشيخ الطوسي مسنداً عن الإمام الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«ثلاثة أوقات لا يُحجب فيها الدعاء عن الله تعالى:

١: في أثر المكتوبة.

٢: وعند نزول القطر.

٣: وظهور آية معجزة لله في أرضه»[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٢.

(٢) الأمالي، للطوسي: ص٢٨٠ المجلس العاشر ح٨٠.

المجال الرابع

من سيرته (عليه السلام) العلمية:

الطب والمسائل الوقائية

الطب وقاية وعلاجاً

الإسلام يهتم بالطب اهتماماً بالغاً، و يعتني بالصحة عنايةً كبيرةً، حتى أنه صنّف العلم إلى علمين:

علم الأديان لسلامة الفكر وصحة المعتقد، وعلم الأبدان لسلامة البدن وصحة الجسد.

واعتنى بالنظافة أشدّ عناية حتى قال فيها: «النظافة من الإيمان»، وذلك لما للنظافة من دور كبير في الوقاية من الأمراض والعاهات البدنية، وحتى النفيسة أيضاً.

والإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) هو كسائر أئمة اهل البيت (عليهم السلام) الرائد في جميع العلوم ومنها علم الطب والوقاية، وفي تطبيق المسائل الطبية والوقائيّة، والاهتمام بها، والمرشد إلى عواملها، والمؤكّد على أسبابها التي من أهمها: النظافة، ونحن نشير هنا إلى ما تيسّر لنا منها إن شاء الله تعالى.

علماً بأن المسائل المرتبطة بالطب والطبابة، هي كالمسائل المرتبطة بالفقه والفقاهة في كونها بحاجة في تطبيقها عملياً إلى متخصّص في علم الطب، متضلّع في فن المعالجات، وليست من شأن كل أحد، ولا من حق غير المتخصص ممارستها وإبداء النظر فيها.

الله تعالى جميل ويحب الجمال

روى الشيخ الطوسي في أماليه ـ كما في تاريخ سامراء[١] ـ مسنداً عن الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«إن الله تعالى يحّب الجمال والتجمل، ويكره البؤس والبائس، فإن الله عزوجل إذا أنعم على عبده نعمة، أحبّ أن يرى عليه أثرها».

قيل له: يا ابن رسول الله وكيف ذلك؟

قال (عليه السلام) في جوابهم: «ينظّف ثوبه، ويطيّب ريحه، ويحسّن داره، ويكنس أفنيته، حتى أن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر، ويزيد في الرزق».

الاستحمام وتقليم الأظفار

وروى الشيخ الصدوق في العيون ـ كما في تاريخ سامراء[٢] ـ عن الجعفري، قال: سمعت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) يقول، بالنسبة إلى تقليم الأظفار، والاستحمام، والاحتجام، و التطيّب ما يلي:

«قَلّموا أظفاركم يوم الثلاثاء، واستحموا يوم الأربعاء، وأصيبوا من

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٣، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٣، بتصرف

الحجّام حاجتكم يوم الخميس، وتطيّبوا بأطيب طيبكم يوم الجمعة».

ولعله يشير إلى خصوصية هذه الأمور في هذه الأيام، مضافاً إلى ما فيه من النظم وتنسيق الأمور، وإلا فيجوز بحسب أحاديث أخرى جمعها كلها في يوم، أو تفريقها في أيام غيرها.

التسريح بمشط العاج

جاء في فائدة التسريح ـ وخاصة بالمشط المصنوع من عظم العاج ـ عن طب الأئمة (عليهم السلام)، على ما جاء في كتاب: تاريخ سامراء[1]، من أنه روي عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«التسريح بمشط العاج ينبت الشعر في الرأس، ويطرد الدود من الدماغ، ويطفئ المرارة، وينقّي اللثة والعمور»[2].

الاحتجام يوم الاربعاء

روى الشيخ الصدوق في الخصال ـ كما في تاريخ سامراء ـ عن بعض أصحابنا، أنه قال:

دخلت على الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) يوم

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٣، بتصرف

(٢) العمور: جمع عَمَر، وهو لحم بين الأسنان.

الأربعاء وهو يحتجم، فقلت له: إن أهل الحرمين يروون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: من احتجم يوم الأربعاء فأصابه بياض فلا يلومنّ إلا نفسه.

فقال (عليه السلام) مستنكراً ذلك: «كذبوا، إنما يصيب ذلك من حملته أمّه في طمث»[١].

الاحتجام وأكل الرمان

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «كُل الرّمان بعد الحجامة: رماناً حلواً، فإنه يسكن الدم، ويصفّي الدم في الجوف»[٢].

اللحم اليابس: القديد

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام): «القديد: لحم سوء، لأنه يسترخي في المعدة، ويهيّج كل داء، ولا ينفع من شيء بل يضرّه»[٣].

وقال (عليه السلام) أيضاً: «ما أكلت طعاماً أبقى ولا أهيج للداء من اللحم اليابس، يعني: القديد»[٤].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٢، بتصرف.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٢ ص١٠٠ ح٥٢.

(٣) الكافي: ج٦ ص٣١٤.

(٤) الكافي: ج٦ ص٣١٤.

الهليلج و فوائده

روى العلامة المجلسي في البحار ـ على ما في كتاب تاريخ سامراء ـ عن الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

«لو علم الناس ما في الهليلج الأخضر، لاشتروها بوزنها ذهباً».

وقال (عليه السلام) لرجل من أصحابه: «خذ هليلجةً صفراء وسبع حبّات فلفل واسحقها واكتحل بها»[١].

البقر والجاموس

وجاء في البحار ـ كما في كتاب تاريخ سامراء ـ عن أيوب بن درّاج، أنه قال: سألت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن الجاموس، وقلت له: إن أهل العراق يقولون عنه: إنه مسخ؟

فقال (عليه السلام) في جوابه مستنكراً ذلك: «أوما سمعتَ قول الله عزوجل يقول: ﴿وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾[٢]»[٣].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٨، بتصرف.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٤.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٩، بتصرف.

خطر البطيخ على الريق

البطيخ ـ كما في الأحاديث الشريفة ـ له فوائد جمّة وخواصّ كثيرة، إلا إذا كان الإنسان على الريق، فإن عليه الحذر من أكل البطيخ إلا بعد أن يأكل شيئاً من الحلوى أو التمر ونحو ذلك.

وإلى هذا المعنى يشير ما رواه العلامة المجلسي في بحاره، نقلاً عن تحف العقول ـ على ما جاء في كتاب تاريخ سامراء ـ عن الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) أنه قال يوماً بالنسبة لأكل البطّيخ على الريق: «إن أكل البطيخ يورث الجذام».

فقيل: أليس قد أمن المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة من الجنون والجذام والبرص؟

فقال (عليه السلام) في الجواب عليه: «نعم، ولكن إذا خالف المؤمن ما أُمر به ممن آمنه، لم يأمن أن تصيبه عقوبة الخلاف»[1].

الباذنجان جيّد

ويحدثنا كتاب تاريخ سامراء، عن العلامة المجلسي في بحاره، عن المحاسن، عن بعض البغداديين، أنه قال:

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٥٠، بتصرف.

إن الإمام الهادي أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) قال لبعض قهارمته : ـ وهو جمع قهرمان، أي الوكيل الخاص بتدبير الدخل والخرج ـ «استكثر لنا من الباذنجان، فإنه حار في وقت الحرارة، وبارد في وقت البرودة، ومعتدل في الأوقات كلها، جيّد على كل حال»[١].

العسل يفيد الحكمة

وفي البحار روى العلامة المجلسي بالإسناد عن أبي علي بن راشد ـ كما جاء في كتاب "تاريخ سامراء" ـ أنه قال مايلي :

سمعت الإمام الهادي أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) يقول : «أكل العسل حكمة»[٢].

أي : أن أكل العسل يكون سبباً للحصول على الحكمة، فإن في العسل شفاءً وعافيةً، والعقل السليم يكون ـ كما هو معروف ـ في الجسم السليم.

أو أن أكل العسل مما يقتضيه الحكمة، لما فيه من الشفاء والعافية.

---

(١) تاريخ سامراء : ج٣ ص٢٥٣، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء : ج٣ ص٢٥٣، بتصرف.

لدفع عقر الخف والنعل

وفي مكارم الأخلاق يروي مؤلفه: الشيخ الطبرسي، مرسلاً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) فيمن أصابه عقر الخف والنعل، أنه قال:

«تأخذ طيناً من حائط بلبن، ثم تحكّه بريقك على صخرة أو على حجر، ثم تضعه على العقر، فيذهب إن شاء الله تعالى»[1].

اصفرار نبتة الآس

عن ثاقب المناقب ـ كما في "تاريخ سامراء" ـ بإسناده عن المنتصر ابن المتوكل، وكان يُعرف بولائه للإمام الهادي (عليه السلام) على عكس أبيه المتوكل، أنه قال ما يلي:

أمر والدي المتوكل بزرع الآس في ساحة قصره والإكثار منه، فلما استوى الآس كله وحسن منظره، أمر الفرّاشين أن يفرشوا له المكان المعّد في الساحة وسط البستان المتوسط داخل القصر.

جلس المتوكل في المكان الذي أُعدّ له وألقى بنظره إلى الآس الكثير المحدق

---

(١) مكارم الأخلاق: ص١٤٢.

بالحديقة، فلفت نظره أصفرار نبتة منها، فالتفت إليّ ـ وكنت معه ـ وقال وهو يخاطبني: يا رافضي، سل مولاك المدني: أبا الحسن الهادي عن هذا الآس المصفرّ بأنه ما باله قد اصفرّ من بين ما بقي في هذا البستان من الآس؟

المنتصر ـ يسعي في تنفيذ ما قال له أبوه المتوكل ويقول:

غدوت إلى الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) من الغد، وأخبرته بالأمر وسألته عن سبب الاصفرار وعن كيفيّة معالجته؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على سؤالي قائلاً: لقد اعترضت جذور هذه النبتة جمجمة نخرة، حالت بينها وبين تغذيتها من التراب فتسبّبت اصفراره، فاذهب أنت واحفر أصل الآس الأصفر، فترى تحته جمجمة نخرة مانعة لبخارها ونتنها من طراوة الآس، فنحّها عن جذور الآس، فيرجع إلى الطراوة والنضارة.

المنتصر يقول: ففعلت ذلك وحفرت أصل الآس فوجدته كما قال (عليه السلام)، فنحيّتها فعاد الآس طرياً نضراً.

المتوكل ـ عند ما يرى ذلك يقول لابنه: بأن لا يخبرنّ أحداً بهذا الأمر، ويحذره من مغبّة إفشاء ذلك[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١١٨ ح٢٥، بتصرف.

عذوبة الماء وطيب الهواء

جاء في البحار عن أمالي الشيخ الطوسي، مسنداً عن المنصوري، عن عم أبيه، أنه قال:

التفت إليّ الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في يوم من الأيام وقال لي ما يلي:

«يا أبا موسى، أُخرجت إلى سرّ من رأى كُرهاً، ولو أُخرجت عنها أُخرجت كُرهاً».

أبو موسى يتعجب من ذلك ويقول متسائلاً: ولم يا سيدي يا ابن رسول الله؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على سؤاله وهو يعلّل كراهة خروجه منها، قائلاً: «لطيب هوائها، وعذوبة مائها، وقلّة دائها».

ثم قال (عليه السلام): «تخرب سرّ من رأى حتى يكون فيها خان، وبقّال للمارّة، وعلامة تدارك خرابها: تدارك العمارة في مشهدي من بعدي»[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص ١٢٩و١٣٠ ح٨، بتصرف.

دواء القروح والدماميل

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن كتاب الإرشاد وكتاب إعلام الورى مسنداً عن إبراهيم بن محمد الطاهري أنه قال:

مرض المتوكل من خُراج - وهو: القرح والدمّل العظيم - خرج به، فأشرف منه على الموت والهلاك، ولم يجسر أحد أن يمسّه بحديدة يعالج بها خُراجه.

الفتح بن خاقان - وهو مولى المتوكل وكان أغلب الناس على المتوكل وأكثرهم تقدماً عنده وقبولاً لديه - يقول للمتوكل: لو بعثت إلى هذا الرجل ويعني به: الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) من يسأله عن علاج دائك، فإنه ربما كان عنده صفة شيء يفرّج الله به عنك.

المتوكل - يستجيب للفتح ويأمر بأن يبعثوا إلى الإمام (عليه السلام) من يسأله عن دوائه النافع، وعلاجه المفيد له.

مبعوث المتوكل - يذهب إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويخبره عما ظهر بالمتوكل من خُراج ويسأله عن وصفة مفيدة لعلاجه، فيأخذ الجواب ويرجع إلى المتوكل ويقول: إنه قال:

«خذوا كُسب الغنم، فديّفوه (أي: اخلطوه) بماء ورد، وضعوه على الخُراج، فإنه نافع بإذن الله تعالى».

المتواجدون عند المتوكل - يستصغرون ما جاء به مبعوث المتوكل من وصفة

الدواء، ويهزؤون بها.

الفتح بن خاقان ـ يلتفت إلى المتوكل والمتواجدين عنده ويقول: وما يضّر من تجربة ما قال، والعمل على تطبيق الوصفة، فوالله إني لأرجو الصلاح به.

عندها أحضروا كُسب الغنم، وخلطوه بماء الورد، ووضعوه على الخراج، وإذا بالخُراج ـ بعد المدّة المطلوبة ـ ينفتح ويخرج ما فيه، ويستفيق المتوكل من علّته، ويحسن حاله، ويقوى بعد الهزال والضعف[١].

الفالوذج بالعسل

يروي لنا العلامة المجلسي في البحار عن كتاب طب الأئمة، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمّد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«خير الأشياء لحمّى الربع[٢]: أن يؤكل في يومها الفالوذج[٣] المعمول بالعسل، ويُكثر زعفرانه، ولا يؤكل في يومها غيره»[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٩٨ ح١٠، بتصرف.

(٢) حمّى الربع: هي التي تعرض للمريض يوماً، وتدعه يومين، ثم تعود اليه في اليوم الرابع، وهكذا.

(٣) الفالوذج: حلواء تُعمل من الدقيق والماء والعسل.

(٤) بحار الأنوار: ج٦٢ ص١٠٠ ح٢٤.

الاستشفاء بالقرآن

القرآن الكريم كلام الله تعالى، وللكلام تأثير بالغ على النفس، وعلى الجسم أيضاً بالتبع، وقد يسبب تغييراً كبيراً للقلب، وتحويلاً عظيماً للإنسان من حال إلى حال، فكيف لو كان ذلك الكلام هو كلام الله عزوجل؟

قيل إن طبيباً أكاديمياً درس الطب الجديد وفتح عيادة لمزاولة طبّه، وكان ذلك في زمن ساد فيه الطب القديم وكان الناس يرجعون في علاج مرضاهم إلى الحكيم، وهو الطبيب الذي يعالج الناس بالطب القديم، لذلك بقي الطبيب الجديد بلا مراجع.

الطبيب الجديد يدخل ذات يوم مطب الحكيم الطبيب القديم، ليرى كيف يعالج مرضاه، وإذا به يرى مريضاً محموماً في درجة عالية من الحمّى، يعطيه الحكيم ثلاث قطع صغيرة من القرطاس مكتوب عليها شيء من كلام الله، وآية من كتاب الله القرآن الكريم، ويوصيه بأن يبتلع كل يوم واحدة منها ولثلاثة أيام، ووعده بالشفاء.

وهنا يثور الطبيب الجديد ولا يستطيع أن يتمالك نفسه ويلتفت إلى الحكيم معترضاً وهو يقول: أيها الحكيم إن هذا المريض المحموم في خطر لارتفاع درجة حرارته، فما تأثير هذه القطع الصغيرة من القرطاس عليه؟

الحكيم: يحاول الإجابة العملية وليست اللفظية فحسب، لذلك يعارض

اعتراض الطبيب الجديد بشدة وعنف ويقول له: اجلس واسكت يا قليل العلم.

الطبيب الجديد: الذي كان لا يتوقع هذا الرد العنيف والكلام الخشن من الحكيم يصفر ويحمر، وينهار نفسياً وجسدياً، ويضطر إلى الجلوس والسكون.

الحكيم: يترك الطبيب الجديد منهاراً مدة دقائق ثم يلتفت إليه قائلاً: أراك منهاراً نفساً وجسماً؟

الطبيب الجديد يجيب: وكيف لا أنهار وقد قابلتني بهذه الكلمات اللاذعة، والألفاظ الخشنة؟

الحكيم: يردّ عليه بما يلفته إلى ما للكلام من تأثير كبير على الإنسان وتحويله من حال إلى حال، قائلاً: وهل قلتُ لك إلا كلمات؟ ثم يعقب ذلك بقوله: فإذا كان لكلامي هذا التأثير فكيف بك بكلام الله تعالى، والقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل؟

الطبيب الجديد: يدرك عبر هذه التجربة العملية حقيقة الأمر، ويتيقن صحة الاستشفاء بالقرآن الكريم، ثم يشكر الحكيم ويرفع يديه مشيراً له بالتوديع، ويودع الحكيم ويخرج.

وهكذا يكون تأثير الأدعية الواردة عن الرسول الكريم وأهل بيته الكرام (عليه وعليهم السلام) لأنها مستمدة من كلام الله تعالة وكلماته.

لوجع البطن

لقد اتضح بأن من سبل العلاج وطُرقه الاستشفاء بالقرآن، فإن القرآن الكريم مضافاً إلى أنه شفاء لما في الصدور وأنه شفاء ورحمة للمؤمنين، هو شفاء للجسم ودواء لداء الأبدان أيضاً بالملازمة والتبع.

وإلى هذا المعنى يشير ما جاء في كتاب طب الأئمة ـ بحسب ما جاء في كتاب تاريخ سامراء ـ عن الحسن بن خالد أنه قال:

كتبت إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة أشكو إليه فيها علة في بطني، وأسأله الدعاء لي.

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جواب رسالته ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اكتب أم القرآن (أي: الفاتحة) والمعوذتين (أي: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس) وقل هو الله أحد (أي سورة الإخلاص) ثم تكتب أسفل من ذلك: "أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الْعَظِيمِ، وَعِزَّتِهِ الّتي لا تُرامُ، وَقُدْرَتِهِ الّتي لا يَمْتَنِعُ منها شَيءٌ مِنْ شَرِّ هَذَا الْوَجَعِ، وَشَرِّ مَا فِيهِ، وَما أَحْذَرُ"، قال: تكتب ذلك في لوح أو كتف وتكتب أسفل من ذلك: "اجْعَلْهُ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ"، ثم تغسله بماء السماء، ثم تشربه على الريق، وعند منامك، فإنك تبرأ من ذلك إن شاء الله تعالى»[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٧ ح٤٢، بتصرف.

وكان كذلك كما قال (عليه السلام).

لحصر البول

روى الشيخ الطبرسي في كتابه مكارم الأخلاق ـ على ما جاء في كتاب تاريخ سامراء ـ عن حمران أنه قال: كتبتُ إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة أوردت فيها ما يلي:

جُعلت فداك يا ابن رسول الله، إن رجلاً من مواليك ابتلي بحصر البول، وهو يسألك الدعاء بأن يلبسه الله العافية، واسمه نفيس الخادم.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب: «كشف الله ضُرّك، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة، وألحّ عليه بالقرآن، فإنه يُشفى إن شاء الله تعالى»[1].

لدفع الشدائد

روى العلامة المجلسي في بحاره ـ كما في كتاب تاريخ سامراء ـ عن محمد بن ريان، أنه قال:

كتبتُ إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة سألته فيها أن يعلمني دعاءً للشدائد والنوازل والمهمات، وأن يخصني بذلك، كما خص آباؤه الطاهرون مواليهم بأمثالها.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٩٤، بتصرف.

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه: «ألزم الاستغفار»[١].

نعم، إن للاستغفار آثاراً طيبةً، وفوائدَ جمةً، وعوائدَ كبيرةً، أشار إليها القرآن الكريم.

قال الله تعالى: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون»[٢].

وقال سبحانه وهو يحكي ما قاله نوح شيخ المرسلين (عليه السلام): «**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**»[٣].

لدفع الفقر

روى الشيخ الطوسي في أماليه ـ على ما جاء في كتاب "تاريخ سامراء" ـ مسنداً عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«من قال في كل يوم مائة مرة الذكر التالي: "لا إِلَهَ إلاّ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ"، استجلب الغناء، واستدفع الفقر، وسدّ عنه باب النار، واستفتح له

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٧ ح٤٠، بتصرف.

(٢) سورة الأنفال: ٣٣.

(٣) سورة نوح: ١٠ ـ ١٢.

باب الجنة»[١].

للنجاح في العمل والاستغناء

وروى الشيخ الكليني في الكافي ـ بحسب ما جاء في كتاب تاريخ سامراء ـ بالإسناد عن رجل من الجعفريين أنه قال:

كان في المدينة عندنا رجل يكنى: أبا القمقام، وكان محارفاً (صاحب حرفة)، فأتى الإمام الهادي (عليه السلام) وشكا إليه حرفته، وأخبره بأنه لا يتوجه في حاجة فتقضى له؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه على شكاته بقوله: «قُل في آخر دعائك من صلاة الفجر الذكر التالي عشر مرات: "سُبْحانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، وَأَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ».

أبو قمقام: يستمر على ذلك ويقول: فلزمت ذلك، فوالله ما لبثت إلا قليلاً حتى ورد عليّ قوم من البادية فأخبروني أن رجلاً من قومي مات ولم يعرف له وارث غيري، فانطلقت فقبضت ميراثه وأنا مستغن والحمد لله»[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٩٤، بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٩٤، بتصرف.

لدفع أخطار السفر

روى السيد علي بن طاووس في أمان الأخطار ـ كما في كتاب تاريخ سامراء ـ مسنداً عن المدائني، قال: حدثنا صافي خادم الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) قائلاً ما يلي:

استأذنتُ الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في زيارة جده الإمام الرضا (عليه السلام) في طوس.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يأذن له ويوصيه بوصايا ويقول له: فليكن معك خاتم فضة بعقيق أصفر، مكتوب على جانب منه: "مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إلاّ بِاللهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ" وعلى الجانب الآخر: "مُحَمَّدٌ وعَلِيٌّ".

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه قائلاً: فإن ذلك أمان من القطع، وأتم للسلامة، وأصوَن لدينك.

صافي يقول: خرجت من عند الإمام (عليه السلام) وأخذت خاتماً على الصفة التي أمرني بها، ثم رجعت إليه لوداعه، فودعته وانصرفت، فلما بعدت عنه قليلاً أمر بردّي، فرجعت إليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إليّ ويقول: يا صافي.

صافي يجب قائلاً: لبيك يا سيدي ويا مولاي.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول: وليكن معك خاتم آخر فيروزج أيضاً.

ثم يواصل الإمام (عليه السلام) حديثه ويقول: فإنه سوف يلقاك في طريقك بين طوس ونيشابور أسد، فيمنع القافلة من المسير، فتقدم أنت إليه وأرِه الخاتم وقل له: مولاي يقول لك: تَنَحَّ عن الطريق.

ثم قال (عليه السلام): وليكن نقشه من جانب: "اللهُ المَلِكُ"، ومن الجانب الآخر: "المُلْكُ للهِ الْوَاحِدِ القَهَّارِ"، فإن خاتم أمير المؤمنين (عليه السلام) كان قد نقش عليه: "اللهُ المَلِكُ"، فلما ولي الخلافة ـ أي الظاهرية، وإلا فهو الخليفة للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وبأمر من الله تعالى خليفةً بلا فصل بأحد، حقيقةً وواقعاً ـ نقش على خاتمه: "المُلْكُ للهِ الْوَاحِدِ القَهَّارِ"، وكان فُصُّه فيروزجاً، وهو أمان من السبع خاصة، وظفر في الحروب.

صافي ـ يودّع الإمام الهادي (عليه السلام) وينصرف قائلاً: فخرجتُ في سفري فلقيني والله السَبُع، في المكان الذي وصفه لي الإمام الهادي (عليه السلام) فتقدمت إليه وأريتُه الخاتم وأبلغته رسالة الإمام (عليه السلام) فتنحى عن الطريق واستمرت القافلة في رحلتها[1].

كان هذا بعض ما وصلنا في هذا المجال، نسأل الله سبحانه انتهاجه والانتفاع به إن شاء الله تعالى.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٦٨ ـ ١٦٩، بتصرف.

المجال الخامس والأخير

من سيرته (عليه السلام) العلمية :

الأدعية والزيارات

الأدعية والزيارات

الأدعية والزيارات الواردة عن الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) هي كالأدعية والزيارات الواردة عن جده الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) والمأثورة عن آبائه الطاهرين (عليهم السلام) والمروية عن سائر المعصومين الأربعة عشر (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كمالاً وجمالاً، وفصاحةً وبلاغةً.

وهي جميعاً في نفس الوقت: روضات تربوية، ومدارس توعوية، وجوامع معرفية، وذلك في أسمى معانيها، وأرفع مراتبها، ترفع الداعي بها والزائر عبرها إلى قمم الكمال المطلوب، وقلل الإنسانية المنشودة.

مطالب هامة

وهي مضافاً إلى ذلك، تدلل على أمور عَقَدية أساسية، ومطالب حيوية مهمة، نشير إلى بعض منها، في ضمن مطالب بإذن الله تعالى وتوفيق منه.

المطلب الأول

إن للأدعية والزيارات دلالةً واضحةً على أن المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) بمن فيهم الإمام علي الهادي (سلام الله عليه)، كانوا يرون أنفسهم عباداً لله

مخلصين، قبل أن يكونوا خلفاء الله المصطفين في أرضه، وحججه المعصومين على بريته، وأئمته المنتجبين بين خلقه أجمعين.

نعم، إنهم بأدعيتهم المأثورة عنهم، والزيارات الواردة من جنابهم (عليهم السلام)، دلّلوا على عبوديتهم لله تعالى، وبرهنوا بل نصّوا على أنهم عباده المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وقد أثبتوا ذلك عملاً، وطبقوه على أرض الواقع، ولم يكتفوا بالقول فقط، ولا بالكلام فحسب، وإنما أثبتوه قولاً وعملاً، وظاهراً وباطناً.

الغلو ومعناه

هذا من جهة، ومن جهة أخرى حذّروا (عليهم السلام) من الغلوّ فيهم، وحاربوا الغالين وقالوا بكفرهم، وأجروا حدّ الله تعالى عليهم، علماً بأن الغلوّ فيهم ليس معناه: القول بإمامتهم وقدرتهم بإذن الله تعالى على المعجزة وعلم الغيب، وأن لهم الولاية التكوينية والتشريعية، بل الغلوّ فيهم يعني: القول بألوهيتهم ـ والعياذ بالله ـ فإنهم (عليهم السلام) نهوا عن ذلك نهياً شديداً، ونفوه نفياً أكيداً. نعم إنهم (عليهم السلام) قالوا القولة المشهورة ـ المروية عنهم والتي خلاصتها ـ:

«نزّلونا من مقام الربوبية ونزهونا عنها وقولوا فينا ما شئتم»[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٦٥ وص٢٧٠ وص٢٨٣ وص٢٩٦ وص٣٠٣، وج٢٦ ص٢.

فعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «إياكم والغُلُوّ فينا، قولوا: إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم»[١].

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال لإسماعيل: «يا إسماعيل، لا ترفع البناء فوق طاقتنا فينهدم، اجعلونا عبيداً مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم»[٢].

وهذا حتى على فرض أنه لم يكن حديثاً بهذا النص ـ رغم كونه موجوداً ومستفيضاً عنهم (عليهم السلام) ـ فإنه الملاك الصحيح في الاعتقاد بهم، يعني: الاعتقاد بأنهم عباد الله، لكن عباد مكرمون، قد فرض الله على خلقه ولايتهم بعد ولايته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣].

وقَرَن طاعتهم بطاعته فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٤].

وجعلهم الوسيلة إليه، فقال عز وجل: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٥].

ومنحهم العصمة، وطهّرهم من كل نقص وعيب، ليكونوا خلفاءه في

---

(١) الخصال: ص٦١٤.

(٢) بصائر الدرجات: ص٢١٦.

(٣) سورة المائدة: ٥٥.

(٤) سورة النساء: ٥٩.

(٥) سورة المائدة: ٣٥.

أرضه، وحججه على خلقه، فقال تبارك اسمه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١].

نماذج من نهيهم عليهم السلام عن الغلو

أجل إنهم (عليهم السلام) نهوا عن الغُلُو فيهم نهياً شديداً، وحذروا منه تحذيراً أكيداً.

ففي الحديث الشريف عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً»[٢].

وفي الحديث الشريف عنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً أنه قال لرجل دخل عليه فسلّم وقال: السلام عليك يا ربي!، فقال (صلى الله عليه وآله): «ما لك لعنك الله، إن ربي وربك الله»[٣].

وعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «أنا عبد الله، وخليفته على عباده، لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغوا كُنه ما فينا ولا نهايته»[٤].

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٩٧.

(٤) بحار الأنوار: ج٢٦ ص٢.

وعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً أنه دعا على القائلين بالغلو فيهم وأعلن برائته منهم بقوله: «اللهم إني بريء من الغُلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذُلهُم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً»(١).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال يوماً لكامل التمار: «يا كامل، اجعل لنا رباً نؤوب إليه، وقولوا فينا ما شئتم»(٢).

وعن صالح بن سهل، أنه قال: كنت أقول في أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) بالربوبية، فدخلتُ عليه يوماً، فلما نظر إليّ قال لي مستنكراً ذلك عليّ ما يلي:

«يا صالح، إنا والله عبيد مخلوقون، لنا رب نعبده، وإن لم نعبده عذّبنا»(٣).

وعن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«من قال بأننا أنبياء، فعليه لعنة الله، ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله»(٤).

فكيف بمن قال بألوهيتهم ـ والعياذ بالله ـ؟ أو قال بتفويض الله سبحانه، الخلق والرزق إليهم، وهو نوع من الغلو؟ مع أنه يتنافى مع قوله تعالى:

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٨٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٠٣، بتصرف.

(٤) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٩٦.

﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾[١] وقوله عزوجل: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾[٢] أنهم (عليهم السلام) قد نهوا عنه بحديث متواتر: مثل قول الإمام الرضا (عليه السلام): «إن الله تعالى فوّض إلى نبيّه أمر دينه فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٣] فأما الخلق والرزق فلا، إن الله خالق كل شيء»[٤].

ومثل التوقيع الشريف: «إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسّم الأرزاق، فأما الأئمة (عليهم السلام) فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقهم»[٥].

---

(١) سورة البقرة: ٢١. سورة النساء: ١.

(٢) سورة الروم: ٤٠.

(٣) سورة الحشر: ٧.

(٤) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٢٨ ح١.

(٥) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٢٨ ح٢.

الإمام الهادي عليه السلام يحذر من الغلو

يحدثنا الشيخ الصدوق في الفقيه[١] والعيون[٢]، عن موسى بن عبد الله النخعي أنه قال ما يلي:

وفقني الله تعالى للتشرف بخدمة الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) وبعد التحية والسلام طلبت منه (صلوات الله عليه) أن يعلّمني زيارةً بليغةً أزورهم بها قائلاً:

يا ابن رسول الله، جُعلت فداك، عَلّمني يا سيدي قولاً بليغاً كاملاً، أقوله إذا زرتُ واحداً منكم، ونِلتُ شرف الحضور في المزار من روضاتكم المباركة، ومراقدكم المطهرة.

النخعي يُردف قائلاً: يتفضل الإمام الهادي (عليه السلام) عليّ بإجابة ما طلبته منه، ويعلّمني الزيارة وآدابها ويقول:

«إذا صرتَ إلى باب المزار، فقِفْ عليه وتشهد الشهادتين وقل وأنت على غُسل: "أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاّ اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ".

فإذا دخلتَ ورأيتَ القبر فَقِف وقُل: "اللهُ أَكْبَرُ"، ثلاثين مرة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦٠٩ باب زيارة جامعة لجميع الأئمة (عليهم السلام)ح١، بتصرف.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج١ ص٣٠٥ ح١، بتصرف.

ثم امش قليلاً وعليك السكينة والوقار، وقارب بين خُطاك، ثم قِف وكبّر الله عز وجل ثلاثين مرة.

ثم ادنُ من القبر وكبّر الله تعالى أربعين مرة تمام مائة تكبيرة.

ثم قل: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَةِ ...» إلى آخر ما جاء في الزيارة المعروفة بزيارة الجامعة الكبيرة.

والمستفاد من أمر الإمام الهادي (عليه السلام) بأن يتشهد الزائر بالشهادتين، وبأن يكبّر الله تعالى مائة مرة، هو: مضافاً إلى الأجر والثواب، تثبيت عقيدة توحيد الله تعالى، وتحذيره (عليه السلام) كل زائر يزور أحد الأئمة المعصومين (عليهم السلام) بهذه الزيارة البليغة والجامعة، من القول بالغُلُو فيهم، بل وتحذير حتى مِن فِكر الغُلُو بالنسبة إليهم، مخافة استشعار مثل ذلك، لما جاء في الزيارة من بيان مواهب الله تعالى لهم، وما منحهم سبحانه من مقام رفيع، وجاهٍ عظيم.

المطلب الثاني

إن للأدعية والزيارات دلالةً ظاهرة على مدى علم المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) بمن فيهم الإمام الهُمام علي بن محمد الهادي (صلوات الله وسلامه عليه) بالمستور عنا علمه.

وعلى مدى إطلاعهم (عليهم السلام) على الماورائيات وعالَم الغيب وعلى ما فيه من الغوامض والأسرار، وما يحويه من الحقائق والدقائق.

وعلى مدى قدرتهم (عليهم السلام) على تصوير ذلك العالَم المستور، وكشف غوامضه وأسراره، وتقريب حقائقه ودقائقه، وكلياته وجزئياته إلى أذهان الناس وأفكارهم، ورسمه برسم واضح يُجسمه لدى أسماعهم وعند أبصارهم.

وعلى مدى معرفتهم (عليهم السلام) بطريقة تعليم الناس على الاتصال بالماورائيات، وتثقيفهم بثقافة الارتباط بذلك العالَم الكبير، وكيفية التعامل معه.

المطلب الثالث

إن للأدعية الواردة منهم (عليهم السلام) والزيارات المأثورة عنهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، بمن فيهم الإمام الهادي (عليه السلام) دلالةً بالغةً على مدى المعنوية الكبيرة والروحية الصلبة التي يحصل عليها الداعي بتلك الأدعية، ويحظى به الزائر بشيء من تلك الزيارات، وذلك لأن الداعي يرتبط روحياً بخالقه تعالى، عبر دعائه ومناجاته إياه، والزائر يرتبط معنوياً بحجة خالقه على خلقه عند زيارته له والتشرف بمخاطبته إياه، وكفى في ذلك تقوية للروح وتنشيطاً لمعنويات الداعي والزائر.

علماً بأن الإنسان هو بروحه ومعنويته، أكثر مما هو بجسمه وبدنه، فإذا قوي الروح وصلب، ونشطت المعنويات وتثبتت في الإنسان، استطاع ذلك الإنسان من التغلب على ضعف الجسم ووهنه، وتمكن من السيطرة ـ ولو بنسبة ـ على آلام بدنه وأسقامه، بل وعلى بعض المعالجة لما في الجسم من علل وأمراض، وبعض ما يعانيه البدن من آلام وأسقام.

وهذا هو ما أثبته العلم الحديث، وأقره علماء النفس والاجتماع أيضاً.

المطلب الرابع

إذن: فكما أن الأدعية والزيارات ضمان لسلامة الروح والنفس، فكذلك هي ضمان لسلامة الجسم والبدن.

وكما أنها وسيلة للأجر والثواب، فكذلك هي وسيلة للشفاء والتعافي.

وكما أنها هي أداة لتوثيق الارتباط بعالَم الغيب والماورائيات، فكذلك هي أداة لتقليص العلاقة بزخارف الدنيا ومادياتها، والتخلص من حبّ الدنيا الذي هو كما في الحديث الشريف: «رأس كل خطيئة»[1].

ومن المعلوم: أن الخطيئة تحرم الانسان من السعادة وخيراتها في الدنيا، ومن الجنة ونعيمها في الآخرة، لا سمح الله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٤ ص٣٢٧ ح٤٩.

نماذج من أدعيته (عليه السلام)

هناك أدعية كثيرة وردت عن الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ونحن نذكر نماذج منها بإذن الله تعالى وتوفيقه، ومن أراد تفصيلها فينبغي له مراجعة الكتب الخاصة بأدعيته (عليه السلام).

دعاؤه عليه السلام في توحيد الله تعالى

روى الشيخ الصدوق في كتابه: التوحيد، مسنداً عن الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه كان يوحّد الله تعالى ويدعوه بهذا الدعاء قائلاً:

«إِلَهِي تَاهَتْ أَوْهَامُ الْمُتَوَهِّمِينَ * وَقَصُرَتْ طَرْفُ الطَّارِفِينَ * وَتَلَاشَتْ أَوْصَافُ الْوَاصِفِينَ * وَاضْمَحَلَّتْ أَقَاوِيلُ الْمُبْطِلِينَ عَنِ الدَّرْكِ لِعَجِيبِ شَأْنِكَ * أَوِ الْوُقُوعِ بِالْبُلُوغِ إِلَى عُلُوِّكَ * فَأَنْتَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَا تَتَنَاهَى * وَ لَمْ تَقَعْ عَلَيْكَ عُيُونٌ بِإِشَارَةٍ وَلا عِبَارَةٍ * هَيْهَاتَ ثُمَّ هَيْهَاتَ يَا أَوَّلِيُّ يَا وَحْدَانِيُّ يَا فَرْدَانِيُّ * شَمَخْتَ فِي الْعُلُوِّ بِعِزِّ الْكِبْرِ * وَارْتَفَعْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَوْرَةٍ وَنِهَايَةٍ بِجَبَرُوتِ الْفَخْرِ»[1].

(١) التوحيد: ج١ ص٦٦، بتصرف.

دعاؤه عليه السلام في تمجيد الله سبحانه

وروى العلامة المجلسي في البحار، نقلاً عن فلاح السائل، مسنداً عن صاحب العسكر الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام)، دعاءً في تمجيد الله، والاستمرار عليه لاستجابة الدعاء، وقال: بأنه من قدّم هذا الدعاء أمام دعائه استُجيب له وقُضيت حاجته إن شاء الله تعالى، وهو كالتالي:

«مَا شَاءَ اللَّهُ تَوَجُّهاً إِلَى اللَّهِ * مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَبُّداً لِلَّهِ * مَا شَاءَ اللَّهُ تَلَطُّفاً لِلَّهِ * مَا شَاءَ اللَّهُ تَذَلُّلًا لِلَّهِ * مَا شَاءَ اللَّهُ اسْتِنْصَاراً بِاللَّهِ * مَا شَاءَ اللَّهُ اسْتِكَانَةً لِلَّهِ * مَا شَاءَ اللَّهُ تَضَرُّعاً إِلَى اللَّهِ * مَا شَاءَ اللَّهُ اسْتِغَاثَةً بِاللَّهِ * مَا شَاءَ اللَّهُ اسْتِعَانَةً بِاللَّهِ * مَا شَاءَ اللَّهُ لَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»[1].

دعاؤه عليه السلام في تسبيح الله عزوجل

وروى العلامة المجلسي في بحاره[2] حديثاً طويلاً عن النبي (صلى الله عليه وآله) جاء فيه: بأن الله تعالى يُخرج من صلب الإمام الجواد (عليه السلام) نطفةً بارّة مباركة، طيبةً طاهرة سمّاه: علي بن محمد الهادي، وألبسها السكينة والوقار، وأودعها العلوم، وكل سر مكتوم، من لقيه وفي صدره شيء أنبأه، وحذّره من عدوه، ويقول في دعائه:

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٢ ص١٦٢ ح١٤، بتصرف.

(٢) بحار الأنوار: ج٩١ ص١٨٤، بتصرف.

«يَا نُورُ يَا بُرْهَانُ * يَا مُنِيرُ يَا مُبِينُ * يَا رَبِّ اكْفِنِي شَرَّ الشُّرُورِ * وَآفَاتِ الدُّهُورِ * وَأَسْأَلُكَ النَّجَاةَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ».

ثم قال: من دعا بهذا الدعاء كان علي بن محمد (عليه السلام) شفيعه وقائده إلى الجنة.

دعاؤه عليه السلام في التسبيح

وروى الشيخ الراوندي في كتاب الدعوات:

تسبيح علي بن محمد النقي الهادي (عليه السلام) في اليوم الرابع عشر و الخامس عشر من الشهر:

«سُبْحَانَ مَنْ هُوَ دَائِمٌ لَا يَسْهُو * سُبْحَانَ مَنْ هُوَ قَائِمٌ لا يَلْهُو * سُبْحَانَ مَنْ هُوَ غَنِيٌّ لا يَفْتَقِرُ * سُبْحَانَ اللَّهِ وَ بِحَمْدِهِ»[1].

ومما ورد عنه (عليه السلام) في التسبيح أيضاً:

«سُبْحَانَ مَنْ لَا يُحَدُّ وَ لَا يُوصَفُ * لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ *وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»[2].

---

(١) دعوات الراوندي ـ سلوة الحزين: ص٩٤.

(٢) الكافي: ج١ ص١٠٣ ح٩.

دعاؤه عليه السلام في مناجاة الله

وكان الإمام علي الهادي (عليه السلام) يقول في مناجاته في الليل: «إلهي مُسِيءٌ ـ مُشَتَّتٌ خ ل ـ قَدْ وَرَدَ * وَفَقِيرٌ قَدْ قَصَدَ * لا تُخَيِّبْ مَسْعاهُ * وَارْحَمْهُ وَاغْفِرْ لَهُ خَطَأَهُ»[1].

دعاؤه عليه السلام في الصلاة على النبي وآله

وروى الشيخ الصدوق في كتابه "ثواب الأعمال" بسنده عن الإمام الهادي (عليه السلام) صلاةً على النبي وآله (عليه وعليهم السلام) عرّفها بأنها من سرّ آل محمد في الصلاة عليهم، وهي بالنحو التالي:

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ فِي الأَوَّلِينَ ۞ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي الآخِرِينَ ۞ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي الْمَلَإِ الأَعْلَى ۞ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ فِي الْمُرْسَلِينَ ۞ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَ الشَّرَفَ وَ الْفَضِيلَةَ وَ الدَّرَجَةَ الْكَبِيرَةَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي آمَنْتُ بِمُحَمَّدٍ وَ لَمْ أَرَهُ ۞ فَلَا تَحْرِمْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رُؤْيَتَهُ ۞ وَارْزُقْنِي صُحْبَتَهُ ۞ وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِهِ ۞ وَاسْقِنِي مِنْ حَوْضِهِ مَشْرَباً رَوِيّاً سَابِغاً هَنِيئاً لَا أَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَداً إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَ لَمْ أَرَهُ فَعَرِّفْنِي فِي الْجِنَانِ وَجْهَهُ.

اللَّهُمَّ بَلِّغْ رُوحَ مُحَمَّدٍ عَنِّي تَحِيَّةً كَثِيرَةً وَ سَلَاماً".

ثم قال (عليه السلام) في بيان ثواب هذه الصلاة: بأن من صلّى على النبي وآله

---

(١) الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم: ص٧٢٩.

(عليه وعليهم السلام) بهذه الصلاة: هُدِمَتْ ذُنُوبُهُ، وَمُحِيَتْ خَطَايَاهُ، وَدَامَ سُرُورُهُ، وَاسْتُجِيبَ دُعَاؤُهُ، وَأُعْطِيَ أَمَلَهُ، وَبُسِطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأُعِينَ عَلَى عَدُوِّهِ، وَ هِيَ لَهُ سَبَبُ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ، وَ يُجْعَلُ مِنْ رُفَقَاءِ نَبِيِّهِ فِي الْجِنَانِ الأَعْلَى، يقولهن ثلاث مرات غُدْوَةً وثلاث مرات عَشِيَّةً»[1].

دعاؤه عليه السلام في التوسل بالعترة الطاهرة

روى الشيخ الطوسي في أماليه مسنداً عن سهل بن يعقوب بن إسحاق أنه قال:

قلت ذات يوم للإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام): يا سيدي قد وقع لي اختيارات الأيام عن سيدنا الإمام الصادق (عليه السلام) فهل تأذن لي أن أعرضه عليك؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يوافق على ذلك ويقول له: نعم هاته، فيأخذه ويصححه.

سهل يقول: فلما عرضته عليه وصحّحه، قلت له: يا سيدي في أكثر هذه الأيام قواطع عن المقاصد لما ذكر فيها من التحيّر (وفي نسخة: من التحذير) والمخاوف، فدلّني على الاحتراز من المخاوف فيها، فقد تدعوني الضرورة إلى التوجه في الحوائج فيها.

---

(١) ثواب الأعمال: ص١٥٦، بتصرف.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه على سؤاله قائلاً:

«يا سهل إن لشيعتنا بولايتنا العصمة، لو سلكوا بها في لجة البحار الغامرة، وسباب البيداء الغائرة بين السباع والذئاب، وأعادي الجن والإنس، لأمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا، فَثِق بالله عز وجل، وأخلِص في الولاء لأئمتك الطاهرين، وتوجّه حيث شئت، واقصد ما شئت إذا أصبحت وقلت ثلاث مرات الدعاء التالي:

أَصْبَحْتُ اللَّهُمَّ مُعْتَصِماً بِذِمَامِكَ الْمَنِيعِ ۞ الَّذِى لَا يُطَاوَلُ وَ لَا يُحَاوَلُ ۞ مِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ وَغَاشِمٍ ۞ مِنْ سَايِرِ مَا خَلَقْتَ وَ مَنْ خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِكَ ۞ الصَّامِتِ وَ النَّاطِقِ۞ فِي جُنَّةٍ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ بِلِبَاسٍ سَابِغَةٍ۞ وَلَاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ۞ مُحْتَجِزاً مِنْ كُلِّ قَاصِدٍ لِي إِلَى أَذِيَّةٍ بِجِدَارٍ حَصِينٍ۞ الْإِخْلَاصِ فِي الِاعْتِرَافِ بِحَقِّهِمْ۞ وَالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِهِمْ جَمِيعاً۞ مُوقِناً بِأَنَّ الْحَقَّ لَهُمْ وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ وَبِهِمْ۞ أُوَالِي مَنْ وَالَوا۞ وَأُجَانِبُ مَنْ جَانَبُوا۞ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ۞ فَأَعِذْنِي اللَّهُمَّ بِهِمْ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا أَتَّقِيهِ۞ يَا عَظِيمُ۞ حَجَزْتُ الْأَعَادِيَ عَنِّي بِبَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ۞ إِنَّا «جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ»".

ثم قال (عليه السلام): «وإذا أمسيت وقلت ذلك ثلاث مرات، صرت في حِصن من مخاوفك، وأمن من محذورك»(٢).

دعاؤه عليه السلام لدفع المحاذير

ثم إن الإمام الهادي (عليه السلام) يواصل كلامه ويقول:

إذا أردت التوجه في يوم قد حُذّرت فيه، فقدّم أمام توجهك:

١: فاتحة الكتاب: (الحمد لله رب العالمين).

٢: والمعوذتين: (قُل أعوذُ برب الفَلَق)، و(قُل أعوذُ برب الناس).

٣: وآية الكرسي.

٤: وسورة القدر: (إنا أنزلناه في ليلة القدر).

٥: وآخر آية من سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ثم اقرأ الدعاء التالي:

"اللَّهُمَّ بِكَ يَصُولُ الصَّائِلُ۞ وَ بِقُدْرَتِكَ يَطُولُ الطَّائِلُ۞ وَ لَا حَوْلَ لِكُلِّ ذِي حَوْلٍ إِلَّا بِكَ ۞ وَ لَا قُوَّةَ يَمْتَازُهَا ذُو قُوَّةٍ إِلَّا مِنْكَ۞ بِصَفْوَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ۞ وَ خِيَرَتِكَ مِنْ بَرِيَّتِكَ۞ مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ۞ وَعِتْرَتِهِ وَسُلَالَتِهِ (عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ) صَلِّ عَلَيْهِمْ۞ وَاكْفِنِي شَرَّ هَذَا الْيَوْمِ وَضَرَرَهُ۞ وَارْزُقْنِي خَيْرَهُ وَيُمْنَهُ۞ وَاقْضِ لِي فِي مُتَصَرَّفَاتِي بِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَبُلُوغِ الْمَحَبَّةِ۞ وَالظَّفَرِ بِالْأُمْنِيَّةِ۞ وَكِفَايَةِ الطَّاغِيَةِ الْغَوِيَّةِ۞ وَكُلِّ ذِي قُدْرَةٍ لِي عَلَى أَذِيَّةٍ۞ حَتَّى أَكُونَ فِي جُنَّةٍ وَ عِصْمَةٍ مِنْ كُلِّ بَلَاءٍ وَ نِقْمَةٍ۞ وَأَبْدِلْنِي مِنَ الْمَخَاوِفِ فِيهِ أَمْناً۞ وَمِنَ الْعَوَائِقِ فِيهِ يُسْراً۞ حَتَّى لَا يَصُدَّنِي صَادٌّ عَنِ الْمُرَادِ۞ وَلَا يَحُلَّ بِي طَارِقٌ مِنْ أَذَى الْعِبَادِ۞ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۞ وَالْأُمُورُ إِلَيْكَ تَصِيرُ۞ يَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

دعاؤه (عليه السلام) عقيب صلاتي الصبح والمغرب

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ج١ ص٢٧٨، المجلس العاشر، بتصرف.

وروى الشيخ الصدوق أيضاً في كتابه "ثواب الأعمال" بسنده عن أبي المغيرة أنه قال:

سمعت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) وهو يبيّن دعاءً يُقرأ عقيب صلاتي الصبح والمغرب، قائلاً:

مَنْ قَالَ عَقيبَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ، قَبْلَ أَنْ يَثْنِيَ رِجْلَيْهِ أَوْ يُكَلِّمَ أَحَداً: «**إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ۞ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ ذُرِّيَّتِهِ**»

قَضَى اللَّهُ لَهُ مِائَةَ حَاجَةٍ، سَبْعِينَ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثِينَ فِي الْآخِرَةِ.

وهنا ينبري ابن المغيرة قائلاً: عندها سألت الإمام الهادي (عليه السلام) وقلت: يا ابن رسول الله، مَا مَعْنَى صَلَاةِ اللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ صَلَاةِ الْمُؤْمِنِينَ؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على سؤاله ويقول:

«صَلَاةُ اللَّهِ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَصَلَاةُ مَلَائِكَتِهِ تَزْكِيَةٌ مِنْهُمْ لَهُ، وَصَلَاةُ الْمُؤْمِنِينَ دُعَاءٌ مِنْهُمْ لَهُ صلى الله عليه وآله»[1].

دعاؤه عليه السلام عند الانتباه من النوم

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره ـ على ما جاء في كتاب تاريخ سامراء ـ عن أحمد بن خانبه، أنه عرض كتابه يوم وليلة على صاحب العسكر الإمام أبي

(١) ثواب الأعمال: ج١ ص١٥٦، بتصرف.

الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ليبدي نظره فيه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يأخذ الكتاب ويتصفحه ويقف عليه، ويطلع على ما جاء فيه فيؤيده بقوله: «إنه صحيح، فاعملوا به».

ثم إنه (عليه السلام) يلتفت إلى أحمد ويقول له: «إذا انتبهتَ من منامك وتقلّبتَ على الفراش، فقُل مُرداداً الدعاء التالي:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَ مَا فِيهِنَّ ۞ وَ رَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَ مَا فِيهِنَّ ۞ وَ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ»[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٨٠، بتصرف.

دعاؤه عليه السلام في التقرب إلى الله تعالى

ويحدثنا الشيخ الطوسي في أماليه، مسنداً عن المنصوري، عن عمّ أبيه، أنه قال:

قلت للإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام): علّمني يا سيدي يا ابن رسول الله دعاءً أتقرب إلى الله عز وجل به؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على طلبه ويقول له: هذا دعاء كثيراً ما أدعو به، وقد سألتُ الله عز وجل أن لا يخيّب من دعا به في مشهدي بعدي، وهذا هو الدعاء:

«يَا عُدَّتِي دُونَ الْعُدَدِ وَ يَا رَجَائِي وَ الْمُعْتَمَدَ وَ يَا كَهْفِي وَ السَّنَدَ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يَا مَنْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ وَ لَمْ تَجْعَلْ فِي خَلْقِكَ مِنْهُمْ أَحَداً أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ وَ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَ كَذَا» وتذكر حاجتك[1].

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ص٢٧١، بتصرف.

دعاؤه عليه السلام في القنوت

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار، عن دعاء للإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ويقول: بأنه كان يدعو به في قنوته، وهو كالتالي:

«مَنَاهِلُ كَرَامَاتِكَ بِجَزِيلِ عَطِيَّاتِكَ مُتْرَعَةٌ وَ أَبْوَابُ مُنَاجَاتِكَ لِمَنْ أَمَّكَ مُشْرَعَةٌ وَ عَطُوفُ لَحَظَاتِكَ لِمَنْ ضَرَعَ إِلَيْكَ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ وَ قَدْ أُلْجِمَ الْحِذَارُ وَ اشْتَدَّ الِاضْطِرَارُ وَ عَجَزَ عَنِ الِاصْطِبَارِ أَهْلُ الِانْتِظَارِ وَ أَنْتَ اللَّهُمَّ بِالْمَرْصَدِ مِنَ الْمَكَّارِ اللَّهُمَّ وَ غَيْرُ مُهْمِلٍ مَعَ الْإِمْهَالِ وَ اللَّاذُ بِكَ آمِنٌ وَ الرَّاغِبُ إِلَيْكَ غَانِمٌ وَ الْقَاصِدُ اللَّهُمَّ لِبَابِكَ سَالِمٌ اللَّهُمَّ فَعَاجِلْ مَنْ قَدِ اسْتَنَّ فِي طُغْيَانِهِ وَ اسْتَمَرَّ عَلَى جَهَالَتِهِ لِعُقْبَاهُ فِي كُفْرَانِهِ وَ أَطْمَعَهُ حِلْمُكَ عَنْهُ فِي نَيْلِ إِرَادَتِهِ فَهُوَ يَتَسَرَّعُ إِلَى اللَّهُمَّ اكْشِفِ الْعَذَابَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَ ابْعَثْهُ جَهْرَةً عَلَى الظَّالِمِينَ اللَّهُمَّ أَوْلِيَاءَكَ بِمَكَارِهِهِ وَ يُوَاصِلُهُمْ بِقَبَائِحِ مَرَاصِدِهِ وَ يَقْصِدُهُمْ فِي مَظَانِّهِمْ اكْفِفِ الْعَذَابَ عَنِ الْمُسْتَجِيرِينَ وَ اصْبُبْهُ عَلَى الْمُغْتَرِّينَ اللَّهُمَّ بَادِرْ عَصَبَةَ الْحَقِّ بِأَذِيَّتِهِ بِالْعَوْنِ وَ بَادِرْ أَعْوَانَ الظُّلْمِ بِالْقَصْمِ اللَّهُمَّ أَسْعِدْنَا بِالشُّكْرِ وَ امْنَحْنَا النَّصْرَ وَأَعِذْنَا مِنْ سُوءِ الْبَدَاءِ وَالْعَاقِبَةِ وَالْخَتْرِ»[1].

(١) بحار الأنوار: ج٨٢ ص٢٢٦ ـ ٢٢٧، بتصرف.

ومن قنوته عليه السلام أيضاً

«يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَ تَوَحَّدَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ يَا مَنْ أَضَاءَ بِاسْمِهِ النَّهَارُ وَأَشْرَقَتْ بِهِ الْأَنْوَارُ وَ أَظْلَمَ بِأَمْرِهِ حِنْدِسُ اللَّيْلِ وَ هَطَلَ بِغَيْثِهِ وَابِلُ السَّيْلِ يَا مَنْ دَعَاهُ الْمُضْطَرُّونَ فَأَجَابَهُمْ وَ لَجَأَ إِلَيْهِ الْخَائِفُونَ فَآمَنَهُمْ وَ عَبَدَهُ الطَّائِعُونَ فَشَكَرَهُمْ وَ حَمِدَهُ الشَّاكِرُونَ فَأَثَابَهُمْ مَا أَجَلَّ شَأْنَكَ وَ أَعْلَى سُلْطَانَكَ وَ أَنْفَذَ أَحْكَامَكَ أَنْتَ الْخَالِقُ بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ وَ الْقَاضِي بِغَيْرِ تَحَيُّفٍ حُجَّتُكَ الْبَالِغَةُ وَكَلِمَتُكَ الدَّامِغَةُ بِكَ اعْتَصَمْتُ وَ تَعَوَّذْتُ مِنْ نَفَثَاتِ الْعَنَدَةِ وَ رَصَدَاتِ الْمُلْحِدَةِ الَّذِينَ أَلْحَدُوا فِي أَسْمَائِكَ وَ رَصَدُوا بِالْمَكَارِهِ لِأَوْلِيَائِكَ وَ أَعَانُوا عَلَى قَتْلِ أَنْبِيَائِكَ وَأَصْفِيَائِكَ وَ قَصَدُوا لِإِطْفَاءِ نُورِكَ بِإِذَاعَةِ سِرِّكَ وَ كَذَّبُوا رُسُلَكَ وَ صَدُّوا عَنْ آيَاتِكَ وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِكَ وَ دُونِ رَسُولِكَ وَ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً رَغْبَةً عَنْكَ أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ الَّذِي خَشَعَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ أَحْيَيْتَ بِهِ مَوَاتَ الْأَشْيَاءِ وَ أَمَتَّ بِهِ جَمِيعَ الْأَحْيَاءِ وَ جَمَعْتَ بِهِ كُلَّ مُتَفَرِّقٍ وَ فَرَّقْتَ بِهِ كُلَّ مُجْتَمِعٍ وَ أَتْمَمْتَ بِهِ الْكَلِمَاتِ وَ رَأَبْتَ بِهِ كُبْرَى الْآفَاتِ وَ ثَبَّتَ بِهِ مِنْ مَعَانِدِهِ الرُّسُلَ وَ ضَلَالَ السُّبُلِ وَ وَصَلْتَ لَهُمْ بِالْعُهُودِ السَّنِيَّةِ الْإِجَابَةَ وَ خَشَعَتْ لَكَ بِالْعُقُودِ قُلُوبُ الْإِنَابَةِ وَ أَخْسَرْتَ بِهِ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ فَجَعَلْتَ عَمَلَهُمْ هَبَاءً مَنْثُوراً وَ تَبَّرْتَهُمْ تَتْبِيراً اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِهَذَا الْمَعْنَى وَ بِمَعَانِيهِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ أَنْ تَجْعَلَ أَهْلَ الْمَعَاصِي مِنْ أَمْرِنَا هَذَا فِي أَسْوَإِ حَالَاتِهِ وَ أَنْ تَسْتُرَ عَلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ لَكَ فِي أَمْرِنَا هَذَا بِأَحْسَنِ حَالَاتِهِ وَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَقِيسُ الْوَرَعَ وَ كِتْمَانَ الصِّدِّيقِينَ حَتَّى يَخَافُوكَ اللَّهُمَّ مَخَافَةً تَحْجِزُهُمْ عَنْ مَعَاصِيكَ وَ حَتَّى يَعْمَلُوا بِطَاعَتِكَ لِيَنَالُوا كَرَامَتَكَ وَ حَتَّى يُنَاصِحُوا لَكَ وَ فِيكَ خَوْفاً مِنْكَ وَ حَتَّى يُخْلِصُوا لَكَ النَّصِيحَةَ

فِي التَّوْبَةِ حُبّاً لَهُمْ۞ فَتُوجِبَ لَهُمْ مَحَبَّتَكَ الَّتِي أَوْجَبْتَهَا لِلتَّوَّابِينَ۞ وَ حَتَّى يَتَوَكَّلُوا عَلَيْكَ فِي أُمُورِهِمْ كُلِّهَا حُسْنَ ظَنٍّ بِكَ۞ وَ حَتَّى يُفَوِّضُوا إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثِقَةً بِكَ۞ اللَّهُمَّ لَا تُنَالُ طَاعَتُكَ إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ۞ وَ لَا تُنَالُ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجَاتِ الْخَيْرِ إِلَّا بِكَ۞ اللَّهُمَّ يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ۞ الْعَالِمَ بِخَفَايَا صُدُورِ الْعَالَمِينَ۞ طَهِّرِ الْأَرْضَ مِنْ نَجَسِ أَهْلِ الشِّرْكِ۞ وَ أَخْرِسِ الْخَرَّاصِينَ عَنْ تَقَوُّلِهِمْ عَلَى رَسُولِكَ الْإِفْكَ۞ اللَّهُمَّ اقْصِمِ الْجَبَّارِينَ۞ وَ أَبِرِ الْمُفْتَرِينَ۞ وَ أَبِدِ الْأَفَّاكِينَ۞ الَّذِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ۞ وَ أَنْجِزْ لِي وَعْدَكَ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ۞ وَ عَجِّلْ فَرَجَ كُلِّ طَالِبٍ مُرْتَادٍ۞ إِنَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ لِلْعِبَادِ۞ وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ لَبْسٍ مَلْبُوسٍ۞ وَ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ عَنْ مَعْرِفَتِكَ مَحْبُوسٍ۞ وَ مِنْ نَفْسٍ تَكْفُرُ إِذَا أَصَابَهَا بُؤْسٌ۞ وَ مِنْ وَاصِفٍ عَدْلٍ عَمَلُهُ عَنِ الْعَدْلِ مَعْكُوسٌ۞ وَ مِنْ طَالِبٍ لِلْحَقِّ وَ هُوَ عَنْ صِفَاتِ الْحَقِّ مَنْكُوسٌ۞ وَ مِنْ مُكْتَسِبِ إِثْمٍ بِإِثْمِهِ مَرْكُوسٌ۞ وَ مِنْ وَجْهٍ عِنْدَ تَتَابُعِ النِّعَمِ عَلَيْهِ عَبُوسٌ۞ أَعُوذُ بِكَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ۞ وَ مِنْ نَظِيرِهِ وَ أَشْكَالِهِ وَ أَمْثَالِهِ۞ إِنَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»[1].

دعاؤه عليه السلام قبل اصفرار الشمس

وروى لنا الشيخ الكفعمي في كتابه البلد الأمين، دعاءً خاصاً بالساعة العاشرة من كل يوم، وهي ساعة خاصة بالإمام العاشر الإمام الهادي (عليه السلام)، وتكون من ساعتين بعد صلاة العصر إلى قبل اصفرار الشمس، والدعاء

(١) بحار الأنوار: ج٨٢ ص٢٢٧ ـ ٢٢٨.

كالتالي:

«يَا مَنْ عَلَا فَعَظُمَ۞ يَا مَنْ تَسَلَّطَ فَتَجَبَّرَ۞ وَ تَجَبَّرَ فَتَسَلَّطَ۞ يَا مَنْ عَزَّ فَاسْتَكْبَرَ فِي عِزِّهِ۞ يَا مَنْ مَدَّ الظِّلَّ عَلَى خَلْقِهِ۞ يَا مَنِ امْتَنَّ بِالْمَعْرُوفِ عَلَى عِبَادِهِ۞ يَا عَزِيزاً ذُو انْتِقَامٍ۞ يَا مُنْتَقِماً بِعِزَّتِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ۞ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ وَلِيِّكَ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ (عليهما السلام) عَلَيْكَ۞ وَأُقَدِّمُهُ بَيْنَ يَدَيْ حَوَائِجِي وَ رَغْبَتِي إِلَيْكَ۞ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ۞ وَ أَنْ تُعِينَنِي بِهِ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِي وَ نَوَافِلِي وَ فَرَائِضِي وَ بِرِّ إِخْوَانِي وَ كَمَالِ طَاعَتِكَ۞ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ۞ وَأَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَ كَذَا»[1].

وتطلب حاجتك

(١) البلد الأمين: ص١٤٥.

دعاؤه عليه السلام قبل اصفرار الشمس أيضاً

وهناك دعاء آخر للإمام الهادي (عليه السلام) في هذه الساعة وهو كما يلي:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْغَفُورُ الْوَدُودُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ وَالْبَطْشِ الشَّدِيدِ فَعّالٌ لِما يُرِيدُ يَا مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ يَا مَنْ لَا يَتَعَاظَمُهُ غُفْرَانُ الذُّنُوبِ وَلَا يَكْبُرُ عَلَيْهِ الصَّفْحُ عَنِ الْعُيُوبِ أَسْأَلُكَ بِجَلَالِكَ وَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ وَ بِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ بِهَا عَلَى خَلْقِكَ وَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَ بِقُوَّتِكَ الَّتِي ضَعُفَ بِهَا كُلُّ قَوِيٍّ وَ بِعِزَّتِكَ الَّتِي ذَلَّ لَهَا كُلُّ عَزِيزٍ وَ بِمَشِيَّتِكَ الَّتِي صَغُرَ فِيهَا كُلُّ كَبِيرٍ وَ بِرَسُولِكَ الَّذِي رَحِمْتَ بِهِ الْعِبَادَ وَ هَدَيْتَ بِهِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ وَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِكَ وَ صَدَّقَ وَ الَّذِي وَفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ وَ تَصَدَّقَ وَ بِالْإِمَامِ الْبَرِّ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ (عليه السلام) الَّذِي كَفَيْتَهُ حِيلَةَ الْأَعْدَاءِ وَأَرَيْتَهُمْ عَجِيبَ الْآيَةِ إِذْ تَوَسَّلُوا بِهِ فِي الدُّعَاءِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ فَقَدِ اسْتَشْفَعْتُ بِهِمْ إِلَيْكَ وَ قَدَّمْتُهُمْ أَمَامِي وَ بَيْنَ يَدَيْ حَوَائِجِي وَ أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ كِفَايَتِكَ فِي حِرْزٍ حَرِيزٍ وَ مِنْ كِلَاءَتِكَ تَحْتَ عِزٍّ عَزِيزٍ وَ تُوزِعَنِي شُكْرَ آلَائِكَ وَ مِنَنِكَ وَ تُوَفِّقَنِي لِلِاعْتِرَافِ بِأَيَادِيكَ وَ نِعَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[1].

---

(١) المصباح، للكفعمي: ص١٤٤ ـ ١٤٥.

دعاؤه عليه السلام في الليلة الأولى من رجب

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن دعاء للإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) كان يدعو به في أول ليلة من شهر رجب الحرام، ويقول:

«يَا نُورَ النُّورِ۞ يَا مُدَبِّرَ الْأُمُورِ۞ يَا مُجْرِيَ الْبُحُورِ۞ يَا بَاعِثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ۞ يَا كَهْفِي حِينَ تُعْيِينِي الْمَذَاهِبُ۞ وَ كَنْزِي حِينَ تُعْجِزُنِي الْمَكَاسِبُ۞ وَ مُونِسِي حِينَ تَجْفُونِيَ الْأَبَاعِدُ۞ وَ تُمِلُّنِي الْأَقَارِبُ۞ وَ مُنَزِّهِي بِمُجَالَسَةِ أَوْلِيَائِهِ۞ وَ مُرَافَقَةِ أَحِبَّائِهِ فِي رِيَاضِهِ۞ وَ سَاقِيَّ بِمُؤَانَسَتِهِ مِنْ نَمِيرِ حِيَاضِهِ۞ وَ رَافِعِي بِمُجَاوَرَتِهِ مِنْ وَرْطَةِ الذُّنُوبِ إِلَى رَبْوَةِ التَّقْرِيبِ۞ وَ مُبَدِّلِي بِوَلَايَتِهِ عِزَّةَ الْعَطَايَا مِنْ ذِلَّةِ الْخَطَايَا۞ أَسْأَلُكَ يَا مَوْلَايَ بِالْفَجْرِ وَ اللَّيَالِي الْعَشْرِ۞ وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ۞ وَ اللَّيْلِ إِذا يَسْرِ۞ وَ بِمَا جَرَى بِهِ قَلَمُ الْأَقْلَامِ۞ بِغَيْرِ كَفٍّ وَ لَا إِبْهَامٍ۞ وَ بِأَسْمَائِكَ الْعِظَامِ۞ وَ بِحُجَجِكَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ۞ عَلَيْهِمْ مِنْكَ أَفْضَلُ السَّلَامِ۞ وَ بِمَا اسْتَحْفَظْتَهُمْ مِنْ أَسْمَائِكَ الْكِرَامِ۞ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ۞ وَ تَرْحَمَنَا فِي شَهْرِنَا هَذَا وَ مَا بَعْدَهُ مِنَ الشُّهُورِ وَ الْأَيَّامِ۞ وَأَنْ تُبَلِّغَنَا شَهْرَ الصِّيَامِ۞ فِي عَامِنَا هَذَا وَ فِي كُلِّ عَامٍ۞ يَا ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ۞ وَ الْمَنِّ الْجَسَامِ۞ وَعَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ مِنَّا أَفْضَلُ السَّلَامِ»[1].

(١) بحار الأنوار: ج٩٨ ص٣٨٢.

دعاؤه عليه السلام لأول ليلة من رجب أيضاً

ويروي العلامة المجلسي في البحار أيضاً، دعاءً آخر للإمام أبي الحسن الثالث محمد بن علي الهادي (عليه السلام) كان يدعو به في الليلة الأولى من شهر رجب الحرام، وهو كالتالي:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَا تَنْفَدُ خَزَايِنُهُ ۞ وَ لَا يُخَافُ آمِنُهُ ۞ رَبِّ إِنِ ارْتَكَبْتُ الْمَعَاصِىَ فَذَلِكَ ثِقَةً مِنِّى بِكَرَمِكَ ۞ إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ ۞ وَتَعْفُو عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ۞ وَتَغْفِرَ الزَّلَلَ ۞ وَإِنَّكَ مُجِيبٌ لِدَاعِيكَ وَمِنْهُ قَرِيبٌ ۞ وَأَنَا تَايِبٌ إِلَيْكَ مِنَ الْخَطَايَا ۞ وَرَاغِبٌ إِلَيْكَ فِى تَوْفِيرِ حَظِّى مِنَ الْعَطَايَا ۞ يَا خَالِقَ الْبَرَايَا ۞ يَا مُنْقِذى مِنْ كُلِّ شَدِيدَةٍ ۞ يَا مُجِيرى مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ ۞ وَقِرْ عَلَيَّ السُّرُورَ ۞ وَ اكْفِنِى شَرَّ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ ۞ فَأَنْتَ اللَّهُ عَلَى نَعْمَايِكَ وَجَزِيلِ عَطَايِكَ مَشْكُورٌ ۞ وَ لِكُلِّ خَيْرٍ مَذْخُورٌ»(١)

دعاؤه عليه السلام لكتابة رقاع الحاجة

روى الكفعمي في مصباحه والمجلسي في بحاره، عن بعض موالي الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

كنت في سجن المتوكل وضاقت بي الأمور، فأخبرت الإمام الهادي (عليه السلام) بما أنا فيه من البلاء، وشكوت إليه ما قد توعدني المتوكل جهراً من العقوبة ـ وأنا في سجنه ـ وقد افتدى بعض السجناء الآخرين من الأثرياء أنفسهم

(١) بحار الأنوار: ج٩٨ ص٣٨٢.

بأموالهم وتحفهم، ولم يكن عندي شيء من المال.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه على شكواه ويقول له: بأن يكتب الدعاء التالي في ثلاث رقاع ويخفيها في ثلاثة أماكن حتى يفرج الله عنه.

الموالي السجين يقول: فكتبتُ ذلك الدعاء ليلاً في رقاع ثلاث وأخفيتها في ثلاثة أماكن، فما كان إلا عند انبساط الشمس حتى فرّج الله عز وجل عني بمنه ولطفه، والدعاء هو كما يلي:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ۞ إِلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ۞ الرَّءُوفِ الْمَنَّانِ۞ الْأَحَدِ الصَّمَدِ۞ مِنْ عَبْدِهِ الذَّلِيلِ۞ الْبَائِسِ الْمُسْتَكِينِ۞ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ۞ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ۞ وَ مِنْكَ السَّلَامُ۞ وَ إِلَيْكَ يَعُودُ السَّلَامُ۞ تَبَارَكْتَ وَ تَعَالَيْتَ۞ يَا ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ۞ وَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَبَرَكَاتُهُ وَ سَلَامُهُ۞ أَمَّا بَعْدُ۞ فَإِنَّ مَنْ يَحْضُرُنَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْوَالِ وَالْجَاهِ قَدِ اسْتَعَدُّوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ۞ وَ تَقَدَّمُوا بِسَعَةِ جَاهِهِمْ فِي مَصَالِحِهِمْ۞ وَ لَمِّ شُئُونِهِمْ۞ وَ تَأَخَّرَ الْمُسْتَضْعَفُونَ الْمُقِلُّونَ۞ مِنْ تَنَجُّزِ حَوَائِجِهِمْ لِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ وَ مَطَالِبِهِمْ۞ فَيَا مَنْ بِيَدِهِ نَوَاصِي الْعِبَادِ أَجْمَعِينَ۞ وَ يَا مُقِرّاً بِوَلَايَتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ۞ وَ مُذِلَّ الْعُتَاةِ الْجَبَّارِينَ۞ أَنْتَ ثِقَتِي وَ رَجَائِي۞ وَ إِلَيْكَ مَهْرَبِي وَمَلْجَئِي۞ وَ عَلَيْكَ تَوَكُّلِي وَ بِكَ اعْتِصَامِي وَ عِيَاذِي۞ فَأَلِنْ يَا رَبِّ صَعْبَهُ۞ وَ سَخِّرْ لِي قَلْبَهُ۞ وَ رُدَّ عَنِّي نَافِرَهُ۞ وَ اكْفِنِي بَوَائِقَهُ۞ فَإِنَّ مَقَادِيرَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ۞ وَ أَنْتَ الْفَعَّالُ لِمَا تَشَاءُ۞ لَكَ الْحَمْدُ وَ إِلَيْكَ يَصْعَدُ الْحَمْدُ۞ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ۞ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ۞ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَ تُثْبِتُ۞ وَ عِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ۞ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ۞ وَ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ»[1]

دعاؤه عليه السلام للحرز

(١) بحار الأنوار: ج٩٩ ص٢٥٣ ح١١، بتصرف.

روى السيد الأجل علي بن طاووس في كتابه مهج الدعوات، حرزاً للإمام الهادي (عليه السلام) وهو كالتالي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ۞ يَا عَزِيزَ الْعِزِّ فِي عِزِّهِ۞ مَا أَعَزَّ عَزِيزَ الْعِزِّ فِي عِزِّهِ۞ يَا عَزِيزُ أَعِزَّنِي بِعِزِّكَ۞ وَأَيِّدْنِي بِنَصْرِكَ۞ وَادْفَعْ عَنِّي هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ۞ وَادْفَعْ عَنِّي بِدَفْعِكَ۞ وَامْنَعْ عَنِّي بِصُنْعِكَ۞ وَاجْعَلْنِي مِنْ خِيَارِ خَلْقِكَ۞ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ۞ يَا فَرْدُ يَا صَمَدُ»[1].

دعاؤه عليه السلام في الاحتجاب

وروى السيد الأجل علي بن طاووس في كتابه مهج الدعوات أيضاً، عن الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) حجاباً كان يحتجب به من الأعداء وهو على ما يلي:

«وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً. وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ۞ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً۞ وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ۞ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۞ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ تَوَكُّلِي۞ وَ أَنْتَ حَسْبِي وَ أَمَلِي۞ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ۞ تَبارَكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ۞ رَبُّ الْأَرْبَابِ۞ وَ مَالِكُ الْمُلُوكِ۞ وَ جَبَّارُ الْجَبَابِرَةِ۞ وَ مَلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ۞ رَبِّ أَرْسِلْ إِلَيَّ مِنْكَ رَحْمَةً يَا رَحِيمُ۞ أَلْبِسْنِي مِنْكَ عَافِيَةً۞ وَارْزَعْ فِي قَلْبِي مِنْ نُورِكَ۞ وَاخْبَأْنِي مِنْ عَدُوِّكَ۞

(١) من حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، للمرجع الشيرازي: ص٤٠، عن مهج الدعوات ص٤٤، بتصرف.

وَاحْفَظْنِي فِي لَيْلِي وَ نَهَارِي بِعَيْنِكَ۞ يَا أُنْسَ كُلِّ مُسْتَوْحِشٍ۞ وَ إِلَهَ الْعَالَمِينَ۞ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ۞ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ۞ حَسْبِيَ اللَّهُ كَافِياً وَ مُعِيناً وَ مُعَافِياً۞ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ۞ لا إِلهَ إِلّا هُوَ۞ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»[1].

(١) من حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، للمرجع الشيرازي: ص٤٢، عن بحار الأنوار: ج٩١ ص٣٧٧، عن مهج الدعوات ص٣٠٠، بتصرف.

مكتبة الإمام الهادي
التابعة لمؤسسة امير المؤمنين
العتبة [illegible] فرع [illegible] التحكم

نبذة من زياراته (عليه السلام)

كان ما مضى بعض ما ورد عن الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) من الأدعية والأوراد، وأما الزيارات فلقد ورد أيضاً عن الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) بعض الزيارات للمعصومين (عليهم السلام) وبأسانيد معتبرة، ومضامين عالية، نذكر شيئاً منها بتوفيق من الله تعالى.

الجامعة الكبيرة

زيارة الجامعة الكبيرة[1]، تلك الزيارة الجامعة التي هي اسم على مسمى، حيث إنها جاءت جامعة للمعتقد الصحيح فيما يخص الإمام المعصوم (عليه السلام) وبما يرتبط بالإمامة، وفي الزيارة بها مضافاً إلى الأجر الجزيل، والثواب الكبير: تصحيح المعتقد، وتيسير الأمور، ودفع الشرور، وقضاء الحوائج، وبلوغ الأماني والآمال بإذن الله تعالى.

---

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦٠٩ ح١، وبحار الأنوار: ج٩٩ ص١٤٤، ومفاتيح الجنان: ص٦٢٠، والدعاء والزيارة: ص٨٤٨.

وجاء في كتاب: حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، نقلاً عن العلامة المجلسي - وهو أستاذ فن الحديث وعلم الدراية - أنه قال في الزيارة الجامعة: بأنها هي من أفضل الزيارات الجامعة للأئمة الهداة (عليهم السلام) وهي من حيث المتن والسند والفصاحة والبلاغة لا نظير لها.

وقال العلامة المجلسي الأول في شرحه على الفقيه، بأن الزيارة الجامعة الكبيرة هي أفضل الزيارات وأحسنها وأكملها، وإني كلما كنت بجوار العتبات المقدسة لم أزر الأئمة (عليهم السلام) سوى بهذه الزيارة.

وقال العلامة النوري في النجم الثاقب، بأن الزيارة الجامعة الكبيرة لها مكانة مرموقة من بين الزيارات، ويوصي الجميع بقراءتها، ويؤكد على المداومة لها، والمواظبة عليها، وقد قصّ قصصاً كثيرة حول تأثيراتها الوضعية والعامة، إضافةً إلى ثوابها وأجرها، والتي من أشهرها قصة السيد الرشتي[1].

(١) حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، للمرجع الشيرازي: ص٢٩٩، وقد جاءت القصة مع نص الزيارة الجامعة في كتاب مفاتيح الجنان والدعاء والزيارة أيضاً.

زيارة يوم الغدير

ثم الزيارة الغديرية[١]، وهي الزيارة التي زار الإمام الهادي (عليه السلام) بها الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في يوم الغدير، وذلك في السنة التي أشخصه فيها الحاكم العباسي من المدينة المنورة إلى مقره من دار الخلافة، والإمام الهادي (عليه السلام) في طريقه إلى سامراء..

وهذه الزيارة هي أيضاً كالزيارة الجامعة الكبيرة من حيث المعاني الراقية، والمضامين العالية، ومن حيث تصحيح الاعتقاد وبيان شمّة من فضائل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) و نزر من مناقبه، وكذلك من حيث الثواب والأجر، وقضاء الحوائج وتيسير الأمور، ودفع البلايا والشرور بإذن الله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٣٥٩، ومفاتيح الجنان: ص٤٣٦، والدعاء والزيارة: ص٦٣١.

زيارة أول مظلوم

ثم الزيارة المعروفة بأول مظلوم، التي زار الإمام الهادي (عليه السلام) بها الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقال وهو عند ضريحه المبارك:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ۞ أَنْتَ أَوَّلُ مَظْلُومٍ۞ وَأَوَّلُ مَنْ غُصِبَ حَقَّهُ۞ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ۞ فَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَقِيتَ اللَّهَ وَأَنْتَ شَهِيدٌ۞ عَذَّبَ اللَّهُ قَاتِلَكَ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ۞ وَجَدَّدَ عَلَيْهِ الْعَذَابَ۞ جِئْتُكَ عَارِفاً بِحَقِّكَ۞ مُسْتَبْصِراً بِشَأْنِكَ۞ مُعَادِياً لِأَعْدَائِكَ وَمَنْ ظَلَمَكَ۞ أَلْقَى عَلَى ذَلِكَ رَبِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ۞ يَا وَلِيَّ اللَّهِ۞ إِنَّ لِي ذُنُوباً كَثِيرَةً۞ فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَبِّكَ۞ فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ مَقَاماً مَحْمُوداً مَعْلُوماً۞ وَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ جَاهاً وَشَفَاعَةً۞ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى»[1].

غيرها من الزيارات التي ذكرها المشايخ الكبار في كتبهم المعتبرة المختصة بالأدعية والزيارات، وأدرجها السادة الأجلاء في مجاميعهم الشاملة للدعوات والزيارات، والتي قد أوردها العلامة المجلسي في بحاره في قسم المزارات[2]، فعلى الراغبين الرجوع إليه والارتواء من معين ما ورد عنه (عليه السلام) من العلوم التي ضمنها في زيارة المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) إن شاء الله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٢٦٥، والدعاء والزيارة: ص٥٩٦، ومفاتيح الجنان: ص٤٢٦.

(٢) يراجع: بحار الأنوار: ج٩٧ ـ ٩٩.

القسم الثاني

من أقسام سيرته عليه السلام المباركة:

الظاهرة الاعجازية

الظاهرة الاعجازية

الظاهرة الإعجازية على ما سبق: هو القسم الثاني من أقسام سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) المباركة وهي: تختص بالسيرة الاستثنائية التي لا تكون من العادة لكل إنسان مزاولتها، ولا من طبيعة البشر ممارستها في حياته اليومية الدارجة، بل تختص بأولياء الله المقربين، وعباد الله الصالحين والأئمة المعصومين (عليهم السلام) وتكون في ظروف اضطرارية لإثبات حق وإبطال باطل.

إننا لو أمعنا النظر في تاريخ الإمام الهادي أبي الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) ودرسناه بدقة، لرأيناه كواحد من تاريخ بقية المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) متميزاً غاية التمييز، ومتفوقاً منتهى التفوق على تاريخ غيره من الناس، بل لرأيناه ظاهراً غاية الظهور وجلياً أقصى درجات الجلاء في أن تاريخه (عليه السلام) كبقية المعصومين (عليهم السلام) من يوم خلق الله تعالى أنوارهم وأرواحهم، إلى يوم تولدهم ونشأتهم، وحتى يوم شهادتهم وارتحالهم، وكذلك بعد شهادتهم من الرجعة ونحوها إلى يوم تقوم الساعة، معجزةٌ باهرة من معجزات الله تعالى، وآيةٌ عظيمة من آياته سبحانه.

وليس في هذا شيء من الغلو والمبالغة، وإنما هو ما نطق به القرآن الكريم، وصرحت به الروايات الشريفة، واعترف به التاريخ الإسلامي القويم، وأقره

الوجدان السليم.

كما أنه لا عجب من ذلك، فإنهم (عليهم السلام) من أهل البيت الذين قال الله تعالى في حقهم، وصَدَع كتابُه في شأنهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

وكيف لا يكونون كذلك، وقد اختارهم الله تعالى ـ لصبرهم ووفائهم ـ خلفاءَ في أرضه، وحججاً على بريته، وأئمة يهدون بأمره؟

ولذلك ميزهم عن سائر خلقه، بصفات كريمة وخصال حميدة، لم ير مثلها في أحد سواهم، ولا في نفر من البشر غيرهم.

العصمة: معجزة كبرى

وفي مقدمة تلك الصفات النبيلة التي توفرت فيهم، هي صفة العصمة والطهارة التي منحها الله تعالى إياهم، وخصهم بها دون سواهم، علماً بأن العصمة فيهم (عليهم السلام) ليست هي وحدها هي الظاهرة الإعجازية، التي تنير سيرتهم وتاريخهم، بل إن كل حركاتهم وسكناتهم، وأفعالهم وأقوالهم، وشؤونهم وتصرفاتهم، تطفح عليها ظاهرة الإعجاز، وتغطيها صورة المعجز.

أليست المعجزة هي العجز عن الإتيان بمثلها؟

فإذا كان هذا تعريف المعجزة، فليس لنا أن نقول: إن المعجزة في سيرتهم

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

وتاريخهم (عليهم السلام) هي ما كانت مختصة بالعصمة، أو ببعض أعمالهم الخارقة للعادة، والخارجة عن طوق القدرة، وإنما تاريخهم كله، وسيرتهم كلها، من بدء ولادتهم حتى شهادتهم وكذلك بعد شهادتهم، خارقة للعادة، وخارجة عن قدرة أي إنسان سواهم.

فأي إنسان غيرهم، أتى بمثل ما أتوا به، وقدم للبشرية مثل ما قدموه، وأتحف الإنسانية بمثل ما أتحفوه، وذلك كله في زمن كان حكام الجور فيه يطاردونهم، ويضيقون عليهم، ويتآمرون للقضاء على شخصهم بل وشخصيتهم أيضاً، ويجيشون الجيوش لإبادتهم عن آخرهم، كما صنع أبو سفيان مع الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وابنه معاوية مع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والآخر يزيد مع الإمام الحسين (عليه السلام)؟

القمة في المثاليات

ثم إنه هل هناك إنسان سواهم (عليهم السلام) يستطيع أن يهذب نفسه، ويرغم أهواءه، ويؤطرها بإطار الله تعالى، ويقيدها برضاه، ويعمل دائباً في سبيله، وابتغاء مرضاته، لا يفتر ولا يقصر، ولا يحيد عن ذلك قيد شعرة، مهما تعارضت مع ميوله وأهوائه، وتناقضت مع مآربه ومصالحه، وهو قد أحاط بجوانب الأمور، لا ينسى ولا يغفل، ولا يجهل ولا يعبث، بل يقول حقاً، وينطق صدقاً، ويفعل صواباً، ويأتي بكل شيء في وقته، وبكل أمر في محله،

كما يشهد به تاريخهم (عليهم السلام) المشرق الوضاء.

وهل في وسع أحد غيرهم (عليهم السلام)، أن يملك روحاً كبيرةً، وصدراً رحباً، وهمة عالية، تجعله يتعامل حتى مع من غصبه حقه وظلمه، وجفاه وكاده، وأضمر له العداوة والبغضاء، والغل والشحناء، وهو قادر على أخذه والانتقام منه، والمقابلة له بالمثل، ومع ذلك يعامله معاملة الأخ الشفيق لأخيه، والأب الحنون بولده، فيقابله بلطف وحنان، وعفو ورحمة، ورأفة وسماح، كما اتفق للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في فتح مكة والطائف، واتفق لأمير المؤمنين (عليه السلام) في فتح البصرة وغيرها، حتى كأنه يتعامل مع أعز أصدقائه وأقرب أرحامه، بلا حقد ولا حسد، ولا بغض ولا أنانية، يُسدي إليه النصح، ويقدم له الموعظة، ويتمنى له السعادة، لما يرى في تضحياته هذه من حفظ الإسلام وبقائه، واستمراره ودوامه؟

سؤال وجواب

ثم إنه هل سمعت بإنسان سواهم (عليهم السلام) طوى جائعاً ليأكل قوته الفقراء، وبات خائفاً ليأمن في ظله الخائفون، وضحى بنفسه ليحيى بتضحيته الآخرون، وكل ذلك لإعلاء كلمة الله في الأرض؟

وهل قرأت عن إنسان غيرهم (عليهم السلام)، آثر رضا الله تعالى، ومصلحة الأمة الإسلامية، وسعادة المجتمع الإنساني، على رضاه ومصلحته الشخصية،

وشؤونه الفردية، وتحمل من أجل ذلك العناء والبلاء، والسجن والتهجير، والقتل والتشريد، وهو مع ذلك يستطيع أن يساوم ويداهن، ويعيش عيشة الرغد، ويحيى حياة الرفاه؟

وهل طرق سمعك عن فرد غير المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) وقف نفسه في سبيل الله وخدمة الناس، وضحى من أجل ذلك بنفسه وأعز ما لديه، وأغلى ما يملكه، حتى أفاض على الدنيا دروس الخير والسعادة، وعرف الناس معنى الإنسانية والكرامة، وأذاقهم طعم السلم والأمن، وحلاوة الإخاء والمحبة، وأنقذهم من الاستعباد والاستغلال، ومن الجهل والفقر؟

الإحاطة بالعلوم

وهل عرفت في التاريخ أحداً سواهم (عليهم السلام) يجرأ على أن يقول: «علّمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»[١].

أو يقدر أن يصرح بقوله: «أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض»[٢].

أو يعلن بقوله: «والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٤.

وجميع شأنه لفعلت...»[١].

أو يقول: «سل عما بدا لك وسل عما شئت»[٢]، ثم يجيب عن كل سؤال يوجّه إليه، ويستدل على صحة جوابه بآي من الذكر الحكيم، ودليل من العقل السليم، ويثبت صحة ما ادعاه علمياً على مرأى من الناس، ومسمع من التاريخ؟

ثم أليس رد المعتاد عن عادته كالمعجز، والعالَم آنذاك قد اعتاد الظلم والفساد، والجهل والعناد، والسفاهة والتوحش، حتى أن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يصف حالة العرب الذين كانوا النموذج من ذلك العالم المظلم بقوله: «إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار، منيخون بين حجارة خُشن، وحياتٍ صُم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة»[٣].

فغيّرهم النبي (صلى الله عليه وآله) وكذلك أهل بيته المعصومون (عليهم السلام) عن بدويتهم، وردّهم عن عادتهم، وصنع منهم رجالاً كباراً، وأبطالاً عظاماً، رواداً للخير والفضيلة، وقادة للإنسانية والمكارم، كسلمان وأبي ذر والمقداد

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣١ ح٩٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٦.

وعمار وغيرهم من أمثالهم، والتاريخ يشهد بجرأة، ويعلن بصراحة: بأن المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) هم وحدهم الذين حازوا قصب السبق في هذا المجال، وفي كل مضامير الخير، دون أحد سواهم.

القدوة في الخير

إذن: فالمعصومون (عليهم السلام) هم كتلة من المعجزات، وقطعة من الآيات الظاهرات، في كل حركة من حركاتهم، وكل سكون من سكناتهم، وذلك لأنه ليس هناك أحد يقدر على أن يأتي بمثل سيرتهم، ولا أن يكون له تاريخ كتاريخهم، كما صرح بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قائلاً:

«ألا وإن لكل مأمومٍ إماماً يَقتدي به، ويَستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطِمْرَيه، ومن طُعمِهِ بقُرصَيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد»[1].

ولعل هنا من يسأل ويقول: إن هذا يتنافى مع كونهم (عليهم السلام) قدوة وأسوة، وذلك لأن معنى القدوة هو أن يقتدي بهم الناس، ويعملوا بمثل أعمالهم، ويتخلقوا بمثل أخلاقهم، فكيف والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يصرح: بأن الناس لا يقدرون على ذلك؟ أليس هذا متناف مع ما يراد به من القدوة والأسوة؟

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥، كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف، عامله على البصرة.

والجواب واضح جداً، وهو أن القدوة يجب أن يكون في أعماله وأقواله وأخلاقه وسيرته في أعلى درجات المثالية، وأقصى مراتب النموذجية، وأرفع مراقي الإنسانية، بحيث لا يكون فوقها درجة، ولا أعلى منها مرتبة، ولا أرفع منها مرقاة، حتى يستطيع أن يكون عَلماً ونبراساً، يدعو الآخرين إلى الاقتداء به، والتأسي بسيرته، حتى إذا ما حاول الآخرون الارتفاع إلى مصافهم ودرجاتهم، ربما تمكنوا من الوصول إلى مقربة منهم، والمحاذاة لما دونهم، فإنه كما ثبت في علم النفس وعلم الاجتماع أن الإنسان إذا حاول وعزم على أن يرتقي مائة مرقاة من السلّم مثلاً، استطاع أن يصل إلى ما دون المائة عادة، وإذا صمم على أن يضاهي إنساناً رفيعاً ويوازيه في مرتبته، تمكن أن يبلغ ما دونه من الرفعة والمرتبة، وهكذا.

فكلما كان القدوة نازلاً في درجات المثالية، وهابطاً في مراقي النموذجية، كان المقتدون به أنزل درجة منه وأهبط مرتبة، وكلما كان القدوة أرفع وأعلى، ارتفع المقتدون به وعَلَوا إلى ما دون رفعته وعلوّه.

وعليه: فلابد للقدوة أن يكون حائزاً على أقصى درجات المثالية وأرفعها، وأعلى مراتب الإنسانية وأقصاها، حتى يرتفع بمستوى الناس، ويحلّق بهم إلى أقصى ما يتصور، وأفضل ما يرام، وأجمل ما يليق بالإنسان وبكرامته، والمعصومون الأربعة عشر (عليهم السلام) كذلك، جعلهم الله خير قدوة، لخير أمة أخرجت للناس.

كما أن على الناس الاقتداء بهم إن أرادوا لأنفسهم الخير والفلاح، والسعادة والهناء، والرقي في مدارج الكمال ومراتب الإنسانية.

استدراك

هذا ولا يخفى أنه لا يمكن لأحد من الأولين والآخرين أن يصل إلى ما وصل إليه المعصومون الأربعة عشر (عليهم السلام) من العصمة الذاتية التي نالوها بكفاءتهم، والعصمة الكبرى التي حازوها بتأهلهم، نعم بالاقتداء بهم والمشايعة لهم يمكن الحصول على نوع من العصمة الاكتسابية، وبلوغ درجة من العصمة الصغرى، مثل سلمان وأبي ذر.

السيرة النيرة

إذن: فسيرتهم (عليهم السلام) كلها ـ من طفيفها إلى جسيمها، ومن كلّيها إلى جزئيها ـ طيبة نيرة، يعلوها هالة من النور، ويُطوّقها شملة من الكرامة، ويكسوها جلباب من المعجز.

غير أنه مع ذلك كله، يمكننا أن نتغاظى عن الوحدة الموجودة في سيرتهم (عليهم السلام) المكسوّة بظاهرة موحّدة من الإعجاز، وشمولية كاملة من الخوارق، ونتنازل إلى أن نقسم سيرتهم إلى ظاهرتين:

تقسيمات السيرة

١ : الظاهرة الطبيعية، الشاملة لحياتهم الطبيعية وكأي إنسان آخر، وقد مر الكلام عنه.

٢ : الظاهرة الإعجازية، الشاملة لمثل إخبارهم (عليهم السلام) وبإذن من الله تعالى، بما يأتي وما سيكون في المستقبل، المسمى بعلم الغيب. ومثل إخبارهم (عليهم السلام) وبإذن الله سبحانه، عما في ضمير الآخرين، ومثل معرفتهم بجميع اللغات والآجال، ومثل تصرفاتهم الخارقة للعادة في الكائنات، وغير ذلك.

أسئلة واستفهامات

نعم، إن هذا القسم الثاني أي الظاهرة الإعجازية، هو الذي نحاول البحث عنه هنا، ونروم التحدث حوله فيما يأتي إن شاء الله تعالى

لكن قبل الخوض فيه، لابد من غسل الغبار عنه، و ردّ ما يدور حوله من شبهات، وما يخطر في بعض الأذهان من شكوك، وما قد يجول في الأفكار من أسئلة واستفهامات، فإن هنالك العديد ممن قد يبدر إلى ذهنه ويرتسم في فكره هذا السؤال الملحاح، الذي كان و لا يزال يصاحب الأذهان ويزاحم الأفكار على مر العصور والأجيال، ومدى التاريخ والأزمنة، وهو:

أنه كيف يمكن لبشر مثلنا، أن يتسلح بسلاح المعجزة، ويأتي بما لا قدرة

لأحد من البشر على الإتيان بمثله، وقد جعل الله تعالى الدنيا دار أسباب وعلل ومقادير، ولم يجعلها دار صدفة وطفرة واعتباط، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١]، وقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾[٢].

ثم كيف يمكن لإنسان مثلنا، أن يعلم الغيب ويطّلع على الماورائيات، وقد خص الله تعالى علم ذلك بنفسه وقال: ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَ اللهُ﴾[٣].

أجل إنه سؤال جدير بالإثارة، واستفهام حقيق بالإجابة..

لكن بشرط أن تستجيب أيها القارئ الكريم لدعوة الله تعالى حيث يقول على لسان نبيه بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا...﴾[٤] وتأتي معي لنرحل سوية إلى رحاب القرآن الكريم وكتاب الله العزيز، فننظر هل أعد لهذا الاستفهام جواباً، أم لا؟ وإذا كان قد أعد له جواباً فما هو ذلك الجواب؟

ثم بعد ذلك نراجع الروايات الكريمة لنرى ما تقول في هذا المجال، وما أعدّت له من حلول وأجوبة؟

وبعدها نعاود العقل السليم الذي وصفته الرويات بأنه الحجة الباطنة،

---

(١) سورة القمر: ٤٩.

(٢) سورة الكهف: ٨٤ و٨٥.

(٣) سورة النمل: ٦٥.

(٤) سورة سبأ: ٤٦.

الذي يحتج به الله تعالى على عباده، ـ كما أن الأنبياء هم الحجة الظاهرة ـ لنرى هل هوا كالحجة الظاهرة من الكتاب والسنة، قد أعد لحل هذا المعضل طريقاً، ولكشفه جواباً، أم لا؟

نقطة خفاء يتم كشفها

وقبل استعراض المواقف الحازمة للقرآن الكريم، والروايات الشريفة، والعقل السليم من هذا الاستفهام، وجوابها الوافي عن هذا السؤال، نتوقف قليلاً لنلفت النظر إلى ان في هذا السؤال نفسه، نقطة خفاء، وفي أسلوب طرحه مجال إبهام، ولعله هو السبب في تغميض السؤال وتشديد إبهامه، وهو لفظ «مثلنا» في عبارة السؤال: «كيف يمكن لبشر مثلنا... ولإنسان مثلنا...»؟

نعم إنهم (عليهم السلام) بشر مثلنا ولكن كيفما بشر؟

إنهم مثلنا صورةً وتمثالاً، ويفترقون عنا طينةً وجِبلَّةً[1]، وجمالاً وكمالاً، وإنهم مثلنا في ظاهر الإنسانية والبشرية، وفوق الملائكة في واقع الروح والمعنى.

لقد ميزهم عنا ـ لما فيهم من مؤهلات ـ وحيُ السماء.

وفضّلهم علينا ـ لما يتصفون به من كفاءات ـ انتخاب الله واصطفاؤه لهم،

---

(١) راجع الكافي: ج١ ص٣٨٩، وفيه: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَأَسْكَنَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ فَكُنَّا نَحْنُ خَلْقاً وَبَشَراً نُورَانِيِّينَ، لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَنَا مِنْهُ نَصِيباً».

كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وكفى بذلك شرفاً وفضلاً وتميزاً وتفوقاً..

إنهم (عليهم السلام) بشر مثلنا، لكن كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[2].

والتشريف بالوحي والاتصال بالسماء، شرف ليس فوقه شرف، وكرامة ليست فوقها كرامة، لا ينالها إنسان عادي، ولا يلقاها كل ألمعي من البشر، وإنما يلقاها من هو ذو حظ عظيم، كآدم ونوح، وإبراهيم وإسماعيل، وموسى وعيسى، ونبينا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين) وكأهل بيته الطيبين الطاهرين، أولي الأيدي والأبصار، وأصحاب الأنوار الإلهية، وذوي الأرواح القدسية، والنفوس الملكوتية، والكفاءات الفائقة، والمؤهلات العالية.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٤، وجاء في تفسير السيد شبّر ص٨٩: أن الإمام الباقر (عليه السلام) تلا هذه الآية وقال: «نحن منهم، ونحن بقية تلك العترة..».

(٢) سورة الكهف: ١١٠.

أجوبة وحلول

والآن بعد بيان هذه النقطة، وانكشاف كثير مما في السؤال من غموض وإبهام، نأتي إلى رحاب القرآن الكريم لنكشف معاً ببركته ما تبقى من ملابسات، ونرى سويّة جوابه الشافي على هذا السؤال.

يقول تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]، ويقول أيضاً في آية أخرى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[2].

حيث إن الآية الكريمة الأولى تندد بالذين تعترضهم الشبهات فيستسلمون لها دون أن يتدبروا القرآن وما جاء فيه من حلول وأجوبة، وكشف لكل شبهة ومعضلة، ويصف تلك القلوب المعرضة بأن عليها أقفالها.

كما أن الآية المباركة الثانية تشير إلى أن القرآن الكريم كتاب مصون من الخطأ والاختلاف، ومحفوظ من التحريف والتشويه، وأنه وحدة واحدة من عند رب العالمين، بلا تناقض ولا تضاد، يفسر بعضه بعضاً، ويؤيد أوله آخره، ويعضد آخره أوله.

فالقرآن وحده هو الكتاب الذي ندبنا الله تعالى إلى أن نكتشف منه الجواب

---

(١) سورة محمد: ٢٤.

(٢) سورة النساء: ٨٢.

الصائب عن هذه الشبهة وكل شبهة، ونستنجد الحل الصحيح لهذه المعضلة ولكل معضلة مثلها، فإنه الكتاب العزيز الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١].

أليس القرآن هو الذي يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُونَ إِلاَ بِسُلْطَانٍ﴾[٢].

وأليس هو القائل: ﴿..فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾[٣].

وأليس هو القائل: ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَ اللهُ﴾[٤].

إذن: فالقرآن يخاطب الجن والإنس، وليس الإنس وحدهم، ويقول ما معناه: إن الدنيا دار أسباب وعلل، ولا يمكن الوصول فيها إلى المسبّبات والمعاليل إلا عن طريق أسبابها وعللها: ﴿لاَ تَنْفُذُونَ إِلاَ بِسُلْطَانٍ﴾[٥].

كما أنه يخاطبنا ويقول مؤكداً هذا المعنى بما مضمونه: لقد ذرأ الله الحياة الدنيا وجعلها وفق قوانين راسخة وموازين دقيقة، وسنن ثابتة لا تتغير

---

(١) سورة فصلت: ٤٢.

(٢) سورة الرحمن: ٣٣.

(٣) سورة فاطر: ٤٣.

(٤) سورة النمل: ٦٥.

(٥) سورة الرحمن: ٣٣.

ولاتتبدل، مثل قانون السبب والمسبب، والعلة والمعلول، ولا يمكن لأحد خرق هذا القانون، ولا أن يتجاوزه، فيأتي مثلاً بالمسبّب والمعلول بلا أن يأتي بسببه وعلته، كأن يأتي بالولد بلا أن يتزوج، ويحصل على ثمر بلا أن يزرع: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾[1].

وكذا يخاطب النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) ليقول لنا ما معناه: إن الغيب والعلم به مما لا طريق لأحد إليه فإنه خاص بالله تعالى لا يشركه فيه أحد ولا يناله بشر، فإنه كما قال سبحانه: ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ﴾[2].

كيفية التوفيق والجمع

وعليه: فكيف التوفيق بين هذه الآيات الكريمة المصرحة بعدم إمكان المعجز والاطلاع على الغيب، حيث إنه خرقٌ لقانون الطبيعة، وتبديل لسنة الكون، ونفوذ في أقطار السماوات والأرض بلا سلطان، وتسلل إلى الغيب الذي هو مختص بالله تعالى؟

وبين الآيات الكريمة الأخرى، التي تصرح بإمكان ذلك، وتقول في حق مريم العذراء (عليها السلام) حين اعترضت وهي متعجبة من أن يكون لها ولد

---

(١) سورة فاطر: ٤٣.

(٢) سورة النمل: ٦٥.

بلا زوج وقالت: ﴿... رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[١]. وقد رزقها الله عيسى المسيح (عليه السلام) بلا أن تتزوج.

وفي حق زكريا ومريم (عليهما السلام) بأنه ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً...﴾[٢] من فواكه الصيف في الشتاء، وفواكه الشتاء في الصيف دون أن يصل إليها أحد، أو يدنو منها بشر، حيث قد أودعها زكريا في غرفة مغلقة الأبواب في المسجد الأقصى.

وفي حق عيسى (عليه السلام): ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾[٣]، ثم يطير بمرأى من الناس ومنظر.

وفي حق موسى (عليه السلام): ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[٤].

وفي حق نبيه الكريم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) حين سأله قومه انشقاق القمر: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[٥]. حيث رأى الجميع كيف انشق القمر وصار نصفين، ثم عاد إلى ما كان عليه.

وحين أخبر (صلى الله عليه وآله) في سورة الروم عن الغيب وما يكون في المستقبل

---

(١) سورة آل عمران: ٤٧.

(٢) سورة آل عمران: ٣٧.

(٣) سورة آل عمران: ٤٩.

(٤) سورة الأعراف: ١٠٧ و١٠٨. وسورة الشعراء: ٣٢ و٣٣.

(٥) سورة القمر: ١.

من مصير الامبراطورية الفارسية والرومية المعاصرتين له، والمتطاحنتين في حروب مصيرية حاسمة، حيث قد انتصرت الامبراطورية الفارسية يومئذ، وزحفت على كثير من المناطق والبلاد الرومية في معركة دامية: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[1]، وكان كما أخبر، بحيث اندحرت الامبراطورية الفارسية إلى يومنا هذا، ولم يقم لها عمود، وإلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وحيث لا تضاد ولا تناقض في القرآن، فكيف يتم التوفيق بين هاتين المجموعتين من الآيات المباركة؟ أم كيف يمكن الجمع بين هذين الفريقين منها؟

جواب القرآن الكريم

القرآن الكريم يجمع بينهما بصورة جميلة، ويوفق بينهما بشكل أنيق، يرفع به ما قد يبدر إلى الأذهان من التناقض، ويحل به ما قد يخطر في الأفكار من التضاد.

إنه يصرح بكلمته القاطعة ويقول: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

ويخبر عن لسان النبي عزير (عليه السلام) حين أحياه الله تعالى بعد موته، وأراه

---

(١) سورة الروم: ٢ و٣ و٤.

(٢) سورة النور: ٤٥.

كيفية إحياء حماره له: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] بأنه يقدر على صنع المسببات والمعاليل بلا أسباب ولا علل معهودة، فيخلق آدم بلا أب ولا أم، وعيسى بلا أب، ويُحيي عزيراً وحماره بعد أن أماته مائة عام وقد صار تراباً، ويعلّم رسوله الغيب، ويطلعه على كل ما يكون في المستقبل، كيف لا؟ وهو على كل شيء قدير، وهذا هو ما يعتقده كل مسلم بلا ريب ولا شك، وإلا لم يكن مسلماً كاملاً، ولم يخامر قلبه من المعرفة اللازمة والإيمان الصحيح بالله شيئاً.

إذن فالله تعالى قادر عزيز، نافذ أمره وحكمه، وهو على كل شيء قدير.

السؤال المثير للجدل

لكن يبقى هنا سؤال هو مثار البحث ومدار الكلام، والنقطة المركزية للشبهة ومحور التشكيك، ويستطيع الجواب الصحيح المقنع عنه أن يكشف غموضه بالمرة، ويزيل كل ما يعتريه من ريب وشك، والسؤال هو:

بعد أن اتضح أن الله على كل شيء قدير، وأن قانون السببية لا تجري بالنسبة إليه تعالى، إذ وضعه الله سبحانه للبشر، هل الله قادر على أن يُجري قدرته على يد أحد من عباده، وأن يخرق له قانون السببية، وأن يطلعه على ما

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

عنده من الغيب وما يكون في المستقبل، وأن يُقدره على معرفة جميع اللغات والآجال، ومنطق الطير والوحش، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والخارجة عن طوق البشر، والمتجاوزة قانون السببية ومرسوم الطبيعة؟

القرآن الكريم يجيب، وذلك عند ما يستعرض في آياته، معاجز الأنبياء والرسل، ومعجزات أوصيائهم وسفرائهم، ويخبر عن اطلاعهم على الغيب، ومعرفتهم بالآجال واللغات، ومنطق الوحش والطير، فإنه يصرح من خلالها بالجواب، ويقول مؤكداً: نعم، إن الله على كل شيء قدير، وقدرته تستدعي الظهور في كل شيء يطابق الحكمة، وتتطلب التجلي حتى في بشر مثلنا، وإنسان كأحدنا، يصطفيه الله تعالى ويختاره من بيننا، ويفضله بالوحي والتكليم، ويميزه بالنبوة والرسالة، أو يفوّقه بالوصاية والإمامة، فيعلّمه ما لم نعلم، ويُطلعه على غيبه، ويُجري خوارق العادة له، ويخرم قانون السببية وحدود الطبيعة على يديه.

الممكنات عند قدرة الله سواء

وعليه: فكما أن الله تعالى قادر على أن يخلق آدم بلا أب ولا أم، ويخلق عيسى بلا أب، ويحيي الموتى، قادر على أن يمنح هذه القدرة لعبد من عباده.

سواء كان ذلك العبد يدعو إليه سبحانه بصفته نبياً ومرسلاً من عنده، كعيسى حيث كان يصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله،

ويبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله[١]، وكسليمان حيث سخر الله له الريح تجري بأمره، وعلّمه منطق الطير والوحش، وآتاه من كل شيء[٢].

أو يدعو إليه عزوجل بصفته وصياً وسفيراً لنبي، كرسل عيسى الثلاثة المبعوثين من قبله سفراء إلى بلدة أنطاكية، حيث أبرؤوا الأكمه والأبرص وأحيوا الموتى بإذن الله[٣]

وكوصي سليمان: آصف بن برخيا، حيث أحضر عرش الملكة بلقيس من مدينة سبأ إلى مقر سليمان في أقل من طرفة عين، وذلك حسب تعبير القرآن الكريم، حيث يقول: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾[٤].

وكأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والأئمة الأحد عشر من بنيه، أوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث يقول القرآن عنه مخاطباً رسوله (صلى الله عليه وآله) ليقول للمكذبين الذين يكذبون برسالته وينكرون نبوته:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٥].

---

(١) تفسير السيد شبّر: ٩١.

(٢) تفسير السيد شبّر: ٣٦٣.

(٣) تفسير الكشاف: ج٤ ص٧ و٨

(٤) سورة النمل: ٤٠.

(٥) سورة الرعد: ٤٣.

بأنه كيف تكذبون برسالتي وتنكرون نبوتي، ولي عليها شاهدان عدلان يشهدان لي؟ هما:

١: الله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[١] يسندني بالمعجزات الشاهدة على صدقي.

٢: علي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من بنيه (عليهم السلام): ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٢] والإحاطة بالقرآن وكتب السماء، يعضدني بامتداد رسالتي وإكمال سنتي بوصايتي[٣].

فآصف بن برخيا الذي قد عبر عنه القرآن بقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾[٤]، أي بعض علم الكتاب السماوي، يأتي بالمعجز ويحضر عرش الملكة بلقيس الذي وصفه الله تعالى بالعظمة بقوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[٥].

فكيف ظنك بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) والأئمة الأحد عشر من بنيه، الذين عبر عنهم القرآن الكريم ووصفهم بقوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٦] أي كل الكتاب وجميع ما أنزل الله تعالى على أنبيائه من القرآن والكتب

---

(١) سورة الرعد: ٤٣.

(٢) سورة الرعد: ٤٣.

(٣) تفسير السيد شبّر: ص٢٥٦.

(٤) سورة النمل: ٤٠.

(٥) سورة النمل: ٢٣.

(٦) سورة الرعد: ٤٣.

السماوية الأخرى، وليس بعضه.

وكذا هو قادر سبحانه وتعالى على أن يُطلع على غيبه عبداً من عباده، اصطفاه من بينهم واختاره عليهم وأرسله إليهم، يدعوهم إلى الله تعالى، وإلى دينه وأحكامه، يبشرهم برحمته ورضوانه إن آمنوا به واتبعوه، وينذرهم عذابه وسخطه إن كفروا به وأعرضوا عنه، فيسلّحه بعلم الغيب ويطلعه عليه ليسند به نبوته ورسالته، وهذا هو صريح ما يقوله القرآن الكريم في سورة الجن: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[1].

ومن هو يا ترى أرضى عند الله تعالى من رسوله الكريم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) وأولى بذلك منه؟ وقد ختم به انبياءه وأكمل به شرائعه، وجعله سيد رسله وأشرف سفرائه، وجعل أوصياءه الكرام الاثني عشر سادة الأوصياء وأفضلهم، وأئمة معصومين يهدون الناس إلى الله تعالى بأمره.

مع الأنبياء السابقين

كيف لا، وقد اطلع الله تعالى من قبل، نبيه آدم أبا البشر (عليه السلام) على الغيب، حين أخبر تعالى بقوله:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

(١) سورة الجن: ٢٦ و٢٧.

الْحَكِيمُ﴾[١]. وتعلّم الأسماء نحو من الاطلاع على الغيب.

وأخبر عن لسان نبيه نوح (عليه السلام) بقوله:

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَ فَاجِراً كَفَّاراً﴾[٢]. وكان كذلك.

وأخبر عن خليله إبراهيم (عليه السلام) بقوله:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٣]. وهذا نحو من الغيب.

وتحدث عن نبيه لوط (عليه السلام) بقوله:

﴿لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[٤]. وكان كذلك كما أطلع عليه.

وتحدث عن لسان نبيه يعقوب (عليه السلام) بقوله:

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ

---

(١) سورة البقرة: ٣١ و٣٢.

(٢) سورة نوح: ٢٧.

(٣) سورة الأنعام: ٧٥.

(٤) سورة هود: ٨١.

حَكِيمٌ﴾[١]. ووقع كل ما أخبر به.

وتحدث عن لسان نبيه يوسف (عليه السلام) بقوله:

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾[٢]. وكان كذلك.

وإلى غيرهم من الأنبياء واطلاعهم على الغيب[٣].

ثم أمر الله تعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله) أن يودع كل ما وهبه من علم الغيب والماورائيات، وأسرار الكون والطبيعيات، ورموز العلوم والكشفيات، وكل الخفايا والجزئيات، وما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، عند وصيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم الأوصياء من بعده، فأودعه ذلك كله وأشار إليه بقوله، كما في دعاء الندبة:

«ثم أودعه علمه وحكمته، فقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها، ثم قال: أنت أخي ووصيي ووارثي»[٤].

وإلى هذا المعنى أشار الصاحب إسماعيل بن عباد حيث قال في قصيدته اللامية التي منها قوله:

---

(١) سورة يوسف: ٥ و٦.

(٢) سورة يوسف: ٩٣.

(٣) للاطلاع الأكثر راجع: معالم النبوة في القرآن الكريم: ص٤٤٨ ـ ٤٦٠.

(٤) مفاتيح الجنان: ص٥٣٤.

«قالت: فمن ذا غدا باب المدينة قل

فقلت: من سألوه وهو لم يَسَلِ»[١].

إذ هو (عليه السلام) حينئذ أحق به من غيره.

وقد أخذ الشاعر معنى بيته هذا ـ من سألوه فأجاب بالحق، ولم يسأل أحداً لاستغنائه عنهم ـ من القرآن الكريم حيث يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٢].

معنى العلم بالغيب

ثم إن اطلاع النبي والوصي على علم الغيب، إن كان يبدو بنظر البعض شيئاً غريباً، فلعله يكون لعدم التدقيق في معناه، علماً بأن معناه: تعلم النبي والوصي الغيب من الله العالم بالغيب، وذلك بإذنه سبحانه وارتضائه تعالى لهم، بينما غير النبي والوصي (عليهم السلام) هم بشر عاديون محجوبون عن الوحي وعن الارتضاء الذي يشمل الرسل وأوصياءهم، كما هو ـ الوحي والارتضاء ـ متوفر لنبينا (صلى الله عليه وآله)، ومحجوبون أيضاً عن الوصاية للنبي والإمامة من بعده، كما هو متوفر للأئمة المعصومين الاثني عشر أوصياء رسول الله (صلى الله عليه وعليهم أجمعين).

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٩٣.

(٢) سورة يونس: ٣٥.

فعلم الغيب في حقهم (عليهم السلام) شيء عادي، وأمر طبيعي، لأنهم الوسائط بين السماء والأرض، قد أطلعهم عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد أن أطلعه الوحي عليه، وذلك بعد أن ارتضاهم الله تعالى لذلك.

فالنبي يعلم الغيب بالوحي وبإذن الله تعالى مباشرة وبلا واسطة، والوصي يَطّلع على الغيب بواسطة النبي (صلى الله عليه وآله)، وإلى هذا المعنى يشير ما أجاب به الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) على اعتراض الرجل الكلبي، حين سأله معترضاً: (لقد أعطيت يا أمير المؤمنين الغيب؟) فضحك (عليه السلام) وقال للرجل وكان كلبياً: (يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلّم من ذي علم.. علم علّمه الله نبيه فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطم عليه جوانحي)[1].

استنتاج

إذن: فالقرآن يصرح بأن المعجزة وعلم الغيب، وغير ذلك من العلم بالآجال ومعرفة جميع اللغات ومنطق الطير والوحش، وعلم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، من المختصات بالله تعالى لكن يمنحها رسله وأوصياء رسله ليثبت به الأنبياء والرسل صدق نبوتهم ورسالتهم، والأئمة والأوصياء صحة وصايتهم وإمامتهم.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٨.

جواب الروايات الشريفة

كان هذا جانباً يسيراً من جواب القرآن الكريم حول ما نحن فيه، وفيه الجواب الوافي لكل مؤمن بالله تعالى ومعتقد بالإسلام، والكافي عن أي دليل آخر، لكن كما وعدنا آنفاً من مراجعة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الحكيم، وهو سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين من أهل بيته (عليهم السلام) المتمثلة في الأحاديث والروايات الكريمة، نرحل معاً إليها، لنرى ماذا تجيب على ذلك؟

الروايات الشريفة هي الأخرى كالقرآن الكريم، لا ترى جواز ذلك وعدم استحالته فحسب، بل ترى ضرورته ووجوبه، ولزوم تسلح النبي والوصي (عليهما السلام) بسلاح المعجزة وعلم الغيب، وتصف النبي والوصي - وأوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله) هم الأئمة المعصومون من أهل البيت (عليهم السلام) - بأنه الإنسان الخارق للعادة، والمعجز لكل البشر، والمتحدّي لهم في أن يضاهوه علماً وحلماً، وسماحةً وشجاعة، وفصاحةً وبلاغة، وإنسانيةً وكرامة، وفضيلةً وخلقاً، وأكثر من ذلك فإنها ترى أن النبي والوصي هو من أشهده الله تعالى خلق الأشياء كلها، وأوجفه عليها، وأوجب عليها طاعته، والإنقياد له، والائتمار بأمره، والانتهاء بنهيه، وجعل حكمه فيها نافذاً، وأمره فيها مطاعاً، له فيها ما يشاء من الحكم، وما يختار من التصرف، ولكن ما يشاء إلا ما شاء

الله، ولايتصرف إلا بإذن الله.

وليس في هذا غرابة ولا عجب، فقد دل القرآن الكريم عليه، بمفهوم الآية الكريمة: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾[1].

إذ لولا من أشهده الله تعالى على خلق السماوات والأرض وما فيهما لما نفاه عمن لا يليق به، كما هو صريح معنى هذه الآية الكريمة.

النبي الكريم وأهل بيته هم المحور

ثم إن الروايات الشريفة جاءت ممن نزل القرآن في بيتهم، لتوضّح مفهوم هذه الآية الكريمة: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ وتشير إلى أولئك الذين أهّلهم الله تعالى ليكونوا هم الذين أشهدهم الله تعالى خلق السماوات والأرض.

كما أنه قد ثبت مما بحثناه سابقاً في أول الكتاب، أن النبي والوصي هو الهدف والغاية من خلق الله تعالى لهذا الكون والحياة، ومن إيجاد الإنسان والكائنات، وأن للنبي والوصي دور المحور والمركز منها، حيث إنها تتمحور وتدور وجوداً وعدماً حول وجوده وعدمه، كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس في المنظومة الشمسية، وتتمحور الالكترونات حول البروتون والنوترون في الذرة، وجوداً وعدماً، حيث بانتفاء الشمس في المنظومة، والبرتون

(١) سورة الكهف: ٥١.

والنوترون في الذرة، تتحطم المنظومة وتنفجر الذرة، كذلك الأشياء كلها تتمحور وتدور حول شخص النبي والوصي، في وجودها وعدمها، لأنه الواسطة الوحيدة بين الله ومخلوقاته، وإليه يشير الحديث الشريف القائل: «الحجة قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق»[١]. وكذلك الحديث الشريف الآخر: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[٢].

وإذا كان للنبي والوصي هذا الدور من الأشياء في الكون والحياة، فكيف لا يمكنه أن يتصرف فيها بما يعجز غيره عن التصرف بمثله؟ أم كيف يعجز عن التحكم بها بما لايقدر أحد أن يتحكم بها مثله؟

بل في الحقيقة، يمكن أن يقال: إن تصرفه الخارق للعادة، هو ما يبدو بنظرنا خارقاً، وذلك لما نراه خارجاً عن قدرتنا، بينما هو ليس خارجاً عن قدرته، والمعجز الذي يأتي به إنما هو معجز في مقاييسنا، لما نرى عجزنا عن الإتيان بمثله، بينما هو غير عاجز عن ذلك، لأننا محدودون بإطار الأسباب والعلل المادية دونه، فهو المبسوط اليد في التصرف، والمخوّل التام في التحكم، والمفوّض إليه أمر الأشياء من قبل الله تعالى خالق الأشياء.

فكيف يعجز عن الإتيان بالمعجز؟ أم كيف لا يقدر على الخارج عن القدرة، والخارق للعادة، وهو بهذه المثابة منها، وهي ليست عنده ـ مع إذن الله

---

(١) الكافي: ج١ ص٢٥١ و٢٥٢.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٥١ و٢٥٢.

تعالى له بالتصرف فيها، وأمرها بالانقياد له - إلا كما نصل نحن إلى المسبّبات والمعاليل عبر أسبابها وعللها المادية؟

نعم، إنهم كذلك، لكن مع فارق، وهو: أنهم (عليهم السلام) أقدر على المعجزة والعلم بالغيب منا على الأعمال العادية، لأنه لابد لنا من التوصل إليها عبر أسبابها وعللها، وهي تستدعي وقتاً وأمداً بقدرها، بينما إتيان النبي والوصي بالمعجز والاطلاع على الغيب، لا يستدعي أي وقت ولا أية مدة، بل يكون سريعاً وخاطفاً، كلمح البصر أو هو أقرب، لا يتجاوز مثال الضغط على الزر واستنارة المصباح، لأنه يكون بأمر الله وإذنه، وأمر الله كما أخبر تعالى لا يستدعي أمداً، ولا يتطلب وقتاً، سوى أن يقول للشيء: كن، فيكون بإذن الله تعالى، كما قال القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1].

وكما في الحديث القدسي: «عبدي أطعني اجعلك مثلي... أنا مهما أشاء يكون، أجعلك مهما تشاء يكون»[2].

ومن هو يا ترى أطوع لله، وأتقى له من عبده ورسوله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) وعترته وأوصيائه من أهل بيته الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)؟

---

(١) سورة النحل: ٤٠.

(٢) كلمة الله: ص١٤٠.

وهنا نستعرض بعض الروايات الشريفة في هذا المجال بإذن الله تعالى:

الرواية الأولى

يحدثنا الخوارزمي في مناقبه عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«إن الله لما خلق السماوات والأرض دعاهن فأجبنه، فعرض عليهن نبوتي وولاية علي بن أبي طالب فقبلتاهما، ثم خلق الخلق وفوض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا» - أي بأن قبل ولايتهم وأذعن لطاعتهم - «والشقي من شقي بنا» - أي: بأن ترك ولايتهم وهجر طاعتهم - «نحن المحلّلون لحلاله، والمحرّمون لحرامه»[1].

الرواية الثانية

ويحدثنا كتاب (رياض الجنان) عن محمد بن سنان، أحد الرواة المعروفين، أنه قال:

كنت عند الإمام أبي جعفر (عليه السلام) فجرى ذكر الشيعة وما هم فيه، فقال (عليه السلام) ما يلي:

«اعلم يا محمد، إن الله لم يزل فرداً متفرداً في الوحدانية، ثم خلق محمداً

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٣٩ ح٢٠، عن كشف الغمة، نقلاً عن مناقب الخوارزمي، بتصرف.

وعلياً وفاطمة (عليهم السلام) فمكثوا ألف دهر، ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها، وأجرى عليها طاعتهم، وجعل فيها ما شاء، وفوّض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرف، والإرشاد والأمر والنهي في الخلق، لأنهم الولاة، فلهم الأمر والولاية والهداية، فهم أبوابه ونوّابه وحجّابه، يحللون ما شاء، ويحرمون ما شاء، ولا يفعلون إلا ما شاء، عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»[١].

وهذان الحديثان ـ كما ترى ـ يفسران بوضوح مفهوم الآية الكريمة: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٢]، حيث يشيران إلى أن النبي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) والوصي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) وكذلك الأئمة الأحد عشر المعصومون (عليهم السلام) أوصياء رسول الله ـ فإنه يجري لهم ما جرى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) [٣] ـ هم الذين أشهدهم الله تعالى خلق السماوات والأرض والخلائق، وفوض إليهم الحكم والتصرف، والأمر والنهي فيها.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٣٩ ح٢١ عن رياض الجنان، بتصرف.

(٢) سورة الكهف: ٥١.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٥٢ ـ ٣٦٤ باب أنه جرى لهم (عليهم السلام) من الفضل والطاعة مثل ما جرى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنهم في الفضل سواء.

الرواية الثالثة

وروى لنا ابن البطريق في كتابه (الخصائص) عن الحارث أنه قال:

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):

«نحن أهل البيت لا نقاس بالناس».

فقام رجل وهو مستغرب من ذلك وأتى عبد الله بن العباس ليخبره بما قاله (عليه السلام) ويستفسره عن معناه.

فقال ابن عباس قولاً استلّ به من قبل الرجل ما داخله من غرابة، وجعل مكانه القبول والإيمان به، وهو:

«أو ليس كان النبي (صلى الله عليه وآله) لا يقاس بالناس»[١].

وعرف الرجل ما عناه ابن عباس من كلامه هذا، حيث أشار إلى ما تقوله الآية الكريمة في قصة المباهلة: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[٢]. فعلي (عليه السلام) بنص القرآن نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) والرسول لا يقاس بالناس، فنفسه وهو علي (عليه السلام) كذلك لا يقاس بالناس، وكذلك الأئمة المعصومون الأحد عشر من بنيه (عليهم السلام): ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٨٤ ح٣٩، بتصرف.

(٢) سورة آل عمران: ٦١.

(٣) سورة آل عمران: ٦١.

الرواية الرابعة:

ويروي لنا المفضل بن عمر تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام) في قسم الإلهيات، عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال:

«لو إذن لنا أن نُعلم الناس حالنا عند الله ومنزلتنا منه لما احتملتم».

المفضل - وهو يتصور أن ذلك في خصوص مدى سعة علم الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فيسأل قائلاً: في العلم، يا ابن رسول الله؟

الإمام الصادق (عليه السلام) وهو يستقل تصور تلميذه المفضل ويلفت نظره إلى ذلك بقوله: «يا مفضل، العلم أيسر من ذلك، إن الإمام وكر لإرادة الله عزوجل، لا يشاء إلا من يشاء الله»[1].

الرواية الخامسة:

ويحدثنا البرسي في كتاب (مشارق الأنوار) عن طارق بن شهاب، أحد أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)أنه قال له ذات يوم - وقد جرى الحديث حول الإمام ومنزلته عند الله تعالى وامتيازه عن سائر الناس -:

«يا طارق، الإمام كلمة الله، وحجة الله، ووجه الله، ونور الله، وحجاب

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٨٥ ح٤١، عن المحتضر: ص١٢٨، بتصرف.

الله، وآية الله، يختاره الله، ويجعل فيه ما يشاء، ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه، فهو وليه في سماواته وأرضه، أخذ له بذلك العهد على جميع عباده، فمن تقدّم عليه كفر بالله من فوق عرشه، فهو يفعل ما يشاء، وإذا شاء الله شاء.

ويكتب على عضده: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾[1].

فهو الصدق والعدل، ويُنصب له عمود من نور، من الأرض إلى السماء، يرى فيه أعمال العباد، ويُلبس الهيبة، ويعلم ما في الضمير، ويطلع على الغيب، ويرى ما بين المشرق والمغرب، فلا يخفى عليه شيء من عالم الملك والملكوت، ويعطى منطق الطير عند ولايته.

فهذا الذي يختاره الله لوحيه، ويرتضيه لغيبه، ويؤيده بكلمته، ويلقّنه حكمته، ويجعل قلبه مكان مشيته، وينادى له بالسلطنة، ويذعن له بالإمرة، ويحكم له بالطاعة.

وذلك لأن الإمامة: ميراث الأنبياء، ومنزلة الأصفياء، وخلافة الله وخلافة رسل الله.

فهي عصمة، وولاية، وسلطنة، وهداية، وأنه تمام الدين، ورجح الموازين.

الإمام دليل للقاصدين، ومنار للمهتدين، وسبيل السالكين، وشمس

---

(١) سورة الأنعام: ١١٥.

مشرقة في قلوب العارفين.

ولايته سبب للنجاة، وطاعته مفترضة في الحياة، وعُدّة بعد الممات، وعزّ المؤمنين، وشفاعة المذنبين، ونجاة المحبين، وفوز التابعين، لأنها رأس الإسلام، وكمال الإيمان، ومعرفة الحدود والأحكام، وتبيين الحلال من الحرام.

فهي مرتبة لا ينالها إلا من اختاره الله وقدّمه وولاّه وحكّمه.

فالولاية هي: حفظ الثغور، وتدبير الأمور، وتعديد الأيام والشهور،

الإمام: الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى.

الإمام: المطهَّر من الذنوب، المطلع على الغيوب.

الإمام: هو الشمس الطالعة على العباد بالأنوار، فلا تناله الأيدي والأبصار، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

والمؤمنون: علي وعترته (عليهم السلام)، فالعزة للنبي وللعترة، والنبي والعترة لا يفترقان في العزة إلى آخر الدهر.

فهم رأس دائرة الإيمان، وقطب الوجود، وسماء الجود، وشرف الموجود، وضوء شمس الشرف، ونور قمره، وأصل العزّ والمجد، ومبدؤه ومعناه ومبناه.

فالإمام: هو السراج الوهاج، والسبيل والمنهاج، والماء الثجّاج، والبحر العجّاج، والبدر المشرق، والغدير المغدق، والمنهج الواضح المسالك، والدليل

---

(١) سورة المنافقون: ٨.

إذا عمّت المهالك.

والسحاب الهاطل، والغيث الهامل، والبدر الكامل، والدليل الفاضل، والسماء الظليلة، والنعمة الجليلة، والبحر الذي لا ينزف، والشرف الذي لا يوصف، والعين الغزيرة، والروضة المطيرة، والزهر الأريج، والبدر البهيج، والنيّر اللائح، والطيب الفائح، والعمل الصالح، والمتجر الرابح، والمنهج الواضح، والطبيب الرفيق، والأب الشفيق.

مفزع العباد في الدواهي، والحاكم والآمر والناهي، مهيمن الله على الخلائق، وأمينه على الحقائق، حجة الله على عباده، ومحجته في أرضه وبلاده، مطهَّر من الذنوب، مبرّأ من العيوب، مطّلع على الغيوب، ظاهره أمر لا يملك، وباطنه غيب لا يدرك، واحد دهره، وخليفة الله في نهيه وأمره.

لا يوجد له مثيل، ولا يقوم له بديل..

والإمام يا طارق: بشر ملكي، وجسد سماوي، وأمر إلهي، وروح قدسي، ومقام عليّ، ونور جلي، وسرّ خفي، فهو ملكي الذات، إلهي الصفات، زائد الحسنات، عالم بالمغيبات، خصاً من رب العالمين، ونصاً من الصادق الأمين.

وهذا كله لآل محمد (صلى الله عليه وعليهم أجمعين) لا يشاركهم فيه مشارك...

علم الأنبياء في علمهم، وسر الأوصياء في سرهم، وعز الأولياء في عزهم، كالقطرة في البحر، والذرة في القفر.

والسماوات والأرض عند الإمام كَيَدِه من راحته، يعرف ظاهرها من باطنها، ويعلم برّها من فاجرها، ورطبها ويابسها، لأن الله علّم نبيه علم ما كان وما يكون، وورث ذلك السر المصون الأوصياء المنتجبون ...

وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض؟

وأن الكلمة من آل محمد تنصرف إلى سبعين وجهاً، وكل ما في الذكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القويم، من آي تذكر فيها: العين، والوجه، واليد، والجَنب، فالمراد منها الولي، لأنه جنب الله، ووجه الله، يعني حق الله، وعلم الله، وعين الله، ويد الله...

فهم الجَنب العليّ، والوجه الرضيّ، والمنهل الرويّ، والصراط السويّ، والوسيلة إلى الله، والوصلة إلى عفوه ورضاه، سرّ الواحد الأحد، فلا يقاس بهم من الخلق أحد ...

أولئك هم خير البرية، فهم الأئمة الطاهرون، والعترة المعصومون، والذرية الأكرمون... تستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار، وأن الله لم يخلق أحداً إلا وأخذ عليه الإقرار بالوحدانية، والولاية للذرية الزكية، والبراءة من أعدائهم، وأن العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنور: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله) [1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٦٩ ح٣٨، عن مشارق الأنوار: ص١١٤.

قطرات وشذرات

نعم، إن في هذا المجال روايات كثيرة، وأحاديث متواترة، اكتفينا منها بهذا القدر اليسير، والعدد القليل، ـ قطرات وشذرات خمسة أحاديث ـ تبركاً بالخمسة أصحاب الكساء الطيبين، ورعاية للإيجاز والاختصار، وحذراً من الإطناب والتطويل، وعلى من يريد التوسع مراجعة الموسوعات المختصة بذلك.

وقد تلخص من قليل ما ذكرناه من السنة المباركة: أن الروايات الشريفة والأحاديث الكريمة، هي الأخرى كالقرآن الحكيم تصرح بأن المعجزة وعلم الغيب وعلم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة مختص بالله تعالى، ولا طريق لأحد إليها إلا أن الله تعالى بقدرته الواسعة وحكمته البالغة يمنحها من يشاء من أنبيائه ورسله وأوصيائهم، كيفما يشاء وبقدر ما يشاء، ليمثلوا بذلك خلافة الله في أرضه، وسفارته في عباده، وليحتجوا به على صدق نبوتهم ورسالتهم، هذا بالنسبة إلى الأنبياء والرسل، ويستدلوا عليه في صحة إمامتهم ووصايتهم، بالنسبة إلى الأوصياء والأئمة، (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

العقل وجوابه

كان هذا نزراً يسيراً، وإشارة عابرةً مما أجابت به الروايات الشريفة من سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأحاديث الأئمة المعصومين من أهل بيته (عليهم السلام) على هذا السؤال.

والآن نأتي إلى العقل ـ وطبعاً هو الأخير في تقسيمنا هذا، وإلاّ فللعقل الرتبة الأولى من الإجابة على مثل هذه الأمور العقلية والعقلائية ـ فلننظر ما هو جوابه على ذلك؟

الإنسان كما هو واضح، وكما ثبت في علم الاجتماع وعلم النفس، اجتماعي بالطبع، مدنيّ بالفطرة، يمتاز على سائر ذوي الأرواح بأنه لا يستطيع أن يعيش إلا في وسط اجتماع بشري متعاون، ليتمكن من سد حاجاته ورفع نواقص عيشه وتأمينها.

وطبيعي لكل مجتمع صغير أو كبير، أن يكون له قانون يحفظ حياته من التضارب والتضاد، والتفسخ والدمار، إذ الآراء مختلفة، فإنه كما هو المعروف: (بعدد الأدمغة آراء)، والأهواء متضاربة، فيجب زمّها بزمام القانون، وتحديدها بحدوده.

وحيث إن الإنسان موجود أعيى المفكرين والمحققين من الإحاطة بأبعاده والوصول إلى غوره، حتى اضطر مثل الدكتور كارل أن يعترف بعجزه ويكتب

كتاباً باسم (الإنسان ذلك المجهول) فإنه كما هو مجهول في أبعاد جسمه، مجهول في أبعاد نفسه وروحه، ونزعاته وآرائه، مما جعله متعذراً على كل مقنن خبير، أو مهندس قدير من البشر، مهما كانت قدرته وكفاءته العلمية، وخبرته ومهارته الفنية، أن يأتي بقانون يستوعب كل جهات الإنسان وأبعاده، ومخطط ينظم جميع شؤونه وأمور حياته روحاً وجسداً، ويعطي كلاً منها حقه حتى يستوفي نصيبه كاملاً، ويشعر بالسعادة والهناء.

وهذا التعذر والامتناع مما أثبته التاريخ البشري الطويل، رغم كثرة المقننين ووفرة المبادئ ونضوج الفكر البشري والتطور العلمي الحديث.

لذلك كان على الله تعالى خالق الإنسان، العالم بكل ما أودعه فيه من الجوانب والجهات، والغرائز والنزعات، والأهواء والآراء، والعارف بما يصلحها مما يفسدها، وما يسعدها مما يشقيها، أن يبعث إلى الإنسان قانوناً يسع كل أبعاده وجوانبه، ومنهجاً يشمل جميع شؤونه وأموره، وينظم كل حركاته وسكناته، ومخططاً يضمن له السعادة ويوفر عليه الحياة الهانئة، ويكتب له الرقي والكمال، وقد فعل الله سبحانه ذلك.

وضع الدليل شأن كل صانع

نعم قد وضع الله سبحانه الدليل، وهذا شأن كل صانع وموجد، أليس من يصنع جهاز الكامبيوتر، ـ العقل الالكتروني ـ أو جهاز المركبة الفضائية ـ سفينة الفضاء ـ أو غير ذلك من المصنوعات الجديدة، سواء البسيطة منها أو المعقدة، صانعها ومخترعها هو الذي يضع لها دليل الاستخدام ويجعل لها قانون المزاولة، ويصمم لها مخطط الممارسة، ويرسم لها طريقة الانتفاع وكيفية الاستفادة، حتى لا تبقى معطلة بلا فائدة، كالحجر إلى جنب الإنسان، أو تصبح وبالاً عليه وسبباً لتدمير حياته.

فإنه إن خطط لها غير صانعها، وصمم لها غير مخترعها، ممن لم يستوعب كنهها، ولم يطلع على جزئياتها، كان عمله هذا لا ينتج إلا أحد أمرين:

١: إما أن يعطلها عن هدف صنعها، فتبقى بلا فائدة، كالحجر إلى جنب الإنسان، كما في العقل الالكتروني مثلاً حيث يصبح كالحجر العاطل بإزاء الإنسان.

٢: وإما أن يقلبها إلى ضد الهدف، فتصبح وبالاً على الإنسان، وإفناءً له، كما في قيادة طائرة ركاب مثلاً، حيث يؤدي ذلك إلى سقوطها وتدميرها وتحطيم ركابها ومسافريها وإهلاكهم.

ولم يكن لخالق الإنسان الحكيم، وهو الله تعالى، أن يتخطى ذلك،

ويعدوه إلى غيره، بل بعث إلى الإنسان بعد أن خلقه وأوجده، دليلاً جامعاً وقانوناً كاملاً ومخططاً شاملاً، يستوعب كل جزئيات حياة الإنسان، ويضم جميع أموره وشؤونه، ليوفر عليه السعادة، ويغدق عليه الحياة الهانئة.

الدليل بيد الرسول

ولابد أن يبعث الله تعالى دليله وقانونه هذا بيد إنسان - كما في نهج البلاغة: «وما يبلّغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر»[1]، وأن يكون هذا الإنسان محيطاً بالدليل ومهيمناً عليه، كي يستطيع تعليمه للآخرين بمهارة وسلاسة، وليس بيد جن أو ملك، ولأنه كما صرح به القرآن ونهج البلاغة، وثبت في علم النفس والاجتماع، أن الإنسان لا يمكنه أن يتجاوب بحرارة والتيام، ويتعامل بصميمية وانسجام، مع من ليس بإنسان من بني نوعه، فكيف به وهو يريد أن يأخذ منه دليل أموره، وقانون حياته، ويجعله إماماً له يقتدي به، ويهتدي بهداه، ويستنير بنوره؟

نعم إنه مما لا يكون، ومما لا ينتظر وقوعه من لدن حكيم خبير، إذ للناس أن يقولوا آنذاك محتجين: هذا المبعوث لا يستطيع أن يكون حجة من الله علينا، لأنه من الجن أو من الملائكة، وليس هو من بني نوعنا، فإن هذا المبعوث، له أن يطيع القانون ولا يتخلف عنه، ولا يتمرد عليه، لخلوه من الغرائز

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠.

والشهوات، ونحن بشر لنا غرائز ونزعات، تتنافى وإطاعة القانون؟!

الرسول منتخب السماء

إذن: فالمبعوث بالدليل الجامع، والقانون الشامل، لابد وأن ينتخبه الله تعالى ـ كما فعل سبحانه ـ من بين البشر، ويبعثه من نوع بني الإنسان، فإذا كان كذلك أمكن لكل إنسان أن يدعي أنه نبي مبعوث من قبل الله تعالى، ورسول مرسل من عنده، كما أدعى ذلك كثير من الناس، فما هي العلامة التي تكون فارقاً، تفرّق بين الصادق منهم والكاذب، وتميز بين المحق منهم والمبطل، ليعلم من يحب تصديقه واتباعه، ممن يجب ردعه واجتنابه؟

وهنا يتدخل العقل، ليقول كلمته الحاسمة: بأنه لا بد للصادق منهم والمحق، أن يأتي ببرهان على صحة نبوته، وآية على صدق رسالته.

فيا ترى ما ذا يكون هذا البرهان، وما تكون تلك الآية؟

هل هو المال الكثير، أو القصر الجميل، أو السلطة الحاكمة، والقدرة المهيمنة؟

كلا، لا يمكن لشيء من ذلك أن يكون برهاناً وآية، فإنه قد يكون لكل إنسان القدرة على أن يمتلك أموالاً طائلة، وقصوراً جميلة، وأن يحصل على سلطة نافذة، وقدرة مهيمنة.

بل الآية لابد وأن تكون هي المعجزة، والبرهان لابد وأن يكون هو الخارق

للعادة، مما لا يقدر عليه الآخرون، ولا يستطيعون التوصل إليه، مستمداً آيته وبرهانه من باعثه ومرسله يعني الله تعالى، الذي هو على كل شيء قدير، والذي يقول للشيء كن فيكون، ليكون برهان صدق على نبوته، وآية حق على رسالته.

تسلح الأنبياء وأوصيائهم بالمعجزة

فالنبي موسى (عليه السلام) مثلاً يأتي بآية العصا واليد البيضاء، والنبي عيسى (عليه السلام) ورسله الثلاثة إلى أنطاكية يأتون بآية إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، ونبينا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) يأتي بالقرآن الكريم والفرقان العظيم.

وأهل بيته المعصومون (عليهم السلام) بتفسيره وتأويله، وبآلاف من المعجزات الباهرات، والآيات البينات، كانشقاق القمر، ورجوع الشمس، وإحياء الموتى، وغير ذلك ليكون برهاناً على صحة نبوته ووصايتهم، وآية على صدق رسالته وخلافتهم له (صلى الله عليه وعليهم أجمعين).

سؤال وجواب

وهنا يمكن لإنسان أن يقول متسائلاً:

هنالك من المرتاضين والسحرة، من يكون له القدرة على الإتيان بأمور خارقة للعادة، خارجة عن طَوق البشر وقدرته، فأي فرق يكون بينهم وبين من يدعي النبوة والرسالة، أو الإمامة والوصاية؟

والجواب هو:

إنه قد يبدو لأول مرة وجود شبه بين الفريقين ـ فريق السحرة والمشعبذين، وفريق الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين ـ لكن بتدقيق النظر، وشيء من التأمل الثاقب، سرعان ما يتقشع هذا التصور الموهوم، ويتجلى ذلك الحجاب المزعوم، لما يوجد بينهما من بون شاسع، وفرق كبير، لا يدع للاشتباه أساساً، ولا للالتباس مجالاً.

فروق وملاكات

ولأجل أن يكون الجواب واضحاً لا غبار عليه، نذكر بعض الفروق بينهما:

١: ما يأتي به المشعبذ أو الساحر ليس حكراً عليه، ولا خاصاً به، بل يمكن للآخرين الإتيان بمثله عن طريق الشعبذة التي يستعملها المشعبذ، أو

السبيل الذي يسلكه الساحر، فبابه مفتوح على الآخرين وليس مغلقاً في وجه الناس.

بينما لا طريق إلى النبوة والوصاية، لأنها انتخاب إلهي، وتعيين سماوي، ولا سبيل إلى ما يأتي به النبي أو الوصي، لأنه تأييد من الله الذي هو على كل شيء قدير، وإذن منه.

٢: ما يأتي به المشعبذ أو الساحر، هو شيء معين قد أجاد فنّه وصنعه، وليس له أن يتعداه إلى غيره أو يأتي بشيء آخر مثله.

بينما النبي أو الوصي ليست قدرته محدودة على معجز معين، أو شيء خاص، وإنما قدرته عامة وتامة، له أن يأتي لإثبات دعواه من النبوة أو الوصاية بكل ما يطلبه الناس منه، ويقترحونه عليه بإذن الله تعالى.

٣: ما يأتي به المشعبذ أو الساحر، لا يمكنه أن يدعي به النبوة والوصاية، ولا أن يسند به دعواه ذلك، لضحالة ما يأتي به ووهنه.

بينما ما يأتي به النبي أو الوصي في غاية من المتانة، ونهاية من الاستحكام، بحيث يستطيع وبكل قوة أن يثبت به دعواه، ويستدل به على صحة نبوته ورسالته، وصدق أمانته ووصايته.

٤: ما يأتي به المشعبذ أو الساحر، مستند إلى قدرته الشخصية، وطاقته البشرية، كما أنه مقيّد بحدود وشروط معينة، ووقت ومكان معين، وليس له أن يتخطى شيئاً منها، أو يتجاوزها إلى غيرها.

بينما ما يأتي به النبي أو الوصي، مستند إلى الله تعالى، وقدرته المطلقة، وهي غير مقيّدة بشيء من الوقت والمكان، أو الشرائط والتحديدات.

٥: ما يأتي به المشعبذ أو الساحر، لا يتجاوز التمويه والإيهام، أو الحدس والتخرص، فسحرة فرعون عندما تحدّوا موسى وعصاه بسحرهم، موّهوا على الناس وأوهموهم بأن حبالهم وعصيّهم تسعى، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[١].

وكذلك قولهم لفرعون حينما جاؤوه بسحرهم، كما يقول القرآن: ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾[٢].

فإنه لم يكن قولهم هذا أكثر من حدس وتخرّص، إذ أن القرآن يخبرنا عن ذلك بقوله: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[٣]. وحيث انكشف لهم باطلهم وتبيّنوا حقيقة موسى (عليه السلام) وصدق نبوته آمنوا، كما قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[٤].

بينما ما يأتي به النبي أو الوصي، يكون عن حقيقة وواقع، وما يقوله ويُخبر به يكون حقاً وصدقاً، وليس للتمويه إليه طريق، ولا للباطل إليه

---

(١) سورة طه: ٦٦.

(٢) سورة الشعراء: ٤٤.

(٣) سورة الشعراء: ٤٥.

(٤) سورة الشعراء: ٤٦ و ٤٧ و٤٨.

سبيل، لأنه هو عين الحق والواقع، ونفس الحقيقة والصدق.

استنتاج

إذن: فالفارق بين المعجزة وغيرها كبير، والبون بينهما شاسع، ويدركه كل من له نصيب من الفكر، وحظّ من العقل السليم، بلا اشتباه ولا التباس، كما أن العقل يؤكد أيضاً على ضرورة تسلح النبي أو الوصي بالمعجزة من عند الله تعالى، حتى يفرّق بها ويمتاز بسببها المحق من المبطل، والصادق من الكاذب، ولا يبقى عذر لأحد، ولا حجة لإنسان، في عدم اتباع النبي أو الوصي، وإلا فللناس أن يحتجوا على الله تعالى بالتباس الحق عليهم، واشتباه الصدق لديهم، ولكان ذلك خلافاً لغرض بعث الأنبياء والرسل، ونصب الأوصياء والأئمة، ونقضاً لما قاله تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1].

وإذ ثبت عقلاً ضرورة تسلح النبي أو الوصي بالمعجزة: من العلم بالغيب وغيره، وأقره القرآن والسنة، لم يبق هناك مجال للإنكار، ولا عذر للتشكيك.

---

(١) سورة النساء: ١٦٥.

العصمة: رأس الظاهرة الإعجازية

ثم إن في رأس تلك الظاهرة الإعجازية التي يتحلى بها النبي أو الوصي ويمتاز بها على غيره، هي ظاهرة العصمة من الخطأ والاشتباه، والصون من السهو والنسيان، وصفة الطهارة من الدنس والعيوب، والبراءة من النقائص والذنوب، فالنبي أو الوصي من حيث إنه مبلّغ لأحكام الله تعالى وشرائعه للناس ومبين لأوامر الله سبحانه ونواهيه، وحلاله وحرامه، يحكم العقل بلزوم عصمته من الخطأ والاشتباه، ومن السهو والنسيان، وإلا لم يؤمن عليه شيء من ذلك، ولسرى التشكيك في كل ما يبلّغه إلى الناس، ولاستطاعوا أن يعتذروا لعدم إطاعتهم له، بأنه ربما اشتبه في ذلك، أو أخطأ سهواً ونسياناً، وبذلك يفقد النبي أو الوصي مثاليته ونموذجيته، ويفقد كل ما أتى به من أحكام، وبيّنه من حلال وحرام، حجيته ودليليته، ولا يستطيع أن يكون قاطعاً للعذر، حاسماً للأمر، وعندئذ يصبح منافياً لهدف إرسال الرسل، ونصب الأوصياء.

هذا من حيث التبليغ، وأما من حيث إن النبي والوصي قدوة للناس وأسوة لهم، كما وصفه القرآن بذلك حيث يقول:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

فإنه يستدعي أن يكون ما ثبت للنبي والرسول من العصمة والطهارة والأسوة والقدوة ثابتاً أيضاً في حق وصيه والإمام المنصوص عليه من بعده، وذلك لأنه امتداده.

العقل يحكم بعصمة الأوصياء

إذن: فالعقل يحكم أيضاً ـ كالكتاب والسنة ـ بعصمة الوصي والإمام، وطهارته من كل دنس وعيب، وبراءته من كل نقص وريب، لما يلزم من كون الامتداد على نفس الأصل أو مثله في الصفات والمؤهلات، إضافة إلى ما جاء في ذلك من النصوص الشرعية.

وإلا بأن لم يكن معصوماً فإنه يفقد حينئذ مثاليته ونموذجيته، ولم يصح أن يجعله الله تعالى امتداداً للنبي، وقدوة للناس، ولا أن يأمر باطاعته واتباعه طاعة مطلقة واتباعاً مطلقاً.

كيف وهل يصح أن يكون قدوة الناس في ركوب الخطأ والاشتباه، أو يأمر الله بإطاعته في ارتكاب الذنوب ورذائل الأخلاق؟

كلا، فإن هذا مما يتنافى مع العقل، ولا يأمر به الله تعالى.

ويعلم منه أيضاً: أن الملوك والرؤساء، والولاة والأمراء غير المعصومين، لا يمكنهم أن يكونوا ولاة الأمر، الذين عناهم الله تعالى بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ

مِنْكُمْ﴾[١].

فإنه عند ما يأمر الله تعالى عباده باتباع النبي، ويوجب على خلقه متابعة الوصي، ويفرض على الناس إطاعة الإمام وولي الأمر، لم يترك أمره إليهم واختياره بأيديهم، وإنما يختاره تعالى وينص عليه ويجعله معصوماً من الخطأ والاشتباه، مصوناً من السهو والنسيان، مطهراً من الأرجالس والأدناس، مبرءاً من النقائص والعيوب، منزهاً من الرذائل والذنوب، ليكون قدوة لهم في المكارم والفضائل، وأسوة في البر والخير، ونموذجاً للعدل والقسط، وقد فعل الله ذلك حيث قال في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢].

من هم أهل البيت؟

وعليه، فمن هم يا ترى أهل البيت الذين عصمهم الله تعالى من بين هذه الأمة، وجعلهم أولي الأمر، وفرض طاعتهم على خلقه، وطهّرهم من كل رجس ونقص تطهيراً؟

هناك روايات كثيرة تعرّفنا بهم، ففي كنز الفوائد يحدثنا عن أم سلمة أنها قالت:

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

«نزلت هذه الآية (آية التطهير) في بيتي وفي البيت سبعة:

١: جبرائيل (عليه السلام).

٢: ميكائيل (عليه السلام).

٣: رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٤: علي (عليه السلام).

٥: فاطمة (عليها السلام).

٦: الحسن (عليه السلام).

٧: الحسين (عليه السلام).

ثم أردفت قائلة: وكنت على الباب، فقلت لرسول الله متسائلة:

يا رسول الله، ألست أنا من أهل البيت؟

فأجابني وعلى شفتيه ابتسامة الرضا، وهو يحاول تطييب خاطري بقوله:

إنك يا أم سلمة على خير، إنك من أزواج النبي، ولم يقل: إنك من أهل البيت»[1].

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢١٤ ح٦، عن كنز الفوائد: ص٢٣٧، بتصرف.

المعنيون بآية التطهير

نعم، لقد جاء في كنز الفوائد أيضاً عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال:

«إن الله عزوجل فضلنا أهل البيت وكيف لايكون كذلك، والله عزوجل يقول في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١]، ثم أردف قائلاً: فقد طهّرنا الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فنحن على منهاج الحق»[٢].

ومما يشير إلى هذا المعنى ما جاء في الكنز أيضاً عن ابن مسعود أنه قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في جمع من أصحابه وأنا من بينهم: أنا دعوة إبي إبراهيم.

وحيث لم نعرف معناه، طلبنا منه (صلى الله عليه وآله) توضيحه وقلنا: يا رسول الله، وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟

فأجابنا موضّحاً وقال: أوحى الله عزوجل إلى إبراهيم (عليه السلام): ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[٣].

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢١٣ ح٤، عن كنز الفوائد: ص٢٣٦.

(٣) سورة البقرة: ١٢٤.

وإبراهيم (عليه السلام) هو من يعرف مقام الإمامة، وعظم منزلتها، فاستخفه الفرح، وراح يسأل الله تعالى بأن يجعل الإمامة ـ هذه المنزلة العظيمة ـ في عقبه، فقال متضرعاً إلى الله تعالى: يا رب، ومن ذريتي أئمة مثلي.

فأوحى الله عزوجل إليه: أن يا إبراهيم، إني لا أعطيك عهداً لا أفي لك به.

إبراهيم (عليه السلام) ـ يستفسر عن ذلك ويقول متسائلاً ـ: يا رب، وما العهد الذي لا تفي لي به؟

الله تعالى: لا أعطيك لِظالم من ذريتك عهداً.

إبراهيم (عليه السلام) ـ يسأل عن المقصود من الظلم والظالم ويقول ـ: يا رب، ومن هو الظالم من ولدي، الذي لا ينال عهدك؟

الله تعالى ـ يوضح المقصود من الظالم، ويقول ـ: من سجد لصنم من دوني، لا أجعله إماماً أبداً، ولا يصح أن يكون إماماً.

إبراهيم (عليه السلام) ـ يتضرع إلى الله تعالى في أن يجنّبه وذريته عبادة الأصنام، فيحكي الله تعالى لنا دعاءه حيث يقول: ـ

﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾[1].

عندها أردف النبي (صلى الله عليه وآله) قائلاً: فانتهت الدعوة إليّ، وإلى أخي

(١) سورة إبراهيم: ٤٠.

علي (عليه السلام)، لم يسجد أحد منا لصنم قط، فاتخذني الله نبياً، وعلياً وصياً»[١].

المعصومون: النبي وأهل بيته

ويحدثنا الشيخ الصدوق في كتابه "إكمال الدين" عن ابن عباس أنه قال:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:

«أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون»[٢].

من معاني العصمة

وفي بيان بعض معاني العصمة، يروي لنا الكراجكي في كنز فوائده، عن الحسن بن علي (عليه السلام) عن فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنه أنه قال:

«أخبرني جبرئيل عن كاتبَي علي (عليه السلام) أي الملكين الموكلين به:

«أنهما لم يكتبا على علي (عليه السلام) ذنباً مذ صحباه»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٠١ ح١٢، عن كنز الفوائد: ص٣٤، بتصرف.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٠١ ح١٣، عن إكمال الدين وتمام النعمة: ص١٦٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٩٣ ح٣، عن كنز الفوائد: ص١٦٢.

ويروي في الكنز أيضاً عن عمار بن ياسر أنه قال:

سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول:

«إن حافظَي علي (عليه السلام) ليفخران على سائر الحفظة بكونهما مع علي (عليه السلام) وذلك أنهما لم يصعدا إلى الله عزوجل بشيء منه، فيسخطه»[1].

العصمة والمعصوم

ويحدثنا الشيخ الصدوق في كتابه (معاني الأخبار) عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال لأصحابه في حديث حول الإمام:

«الإمام منا لا يكون إلا معصوماً» ثم أردف قائلاً:

«وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلا منصوصاً».

فانبرى أحد الصحابة وقال متسائلاً:

يا ابن رسول الله، فما معنى المعصوم؟

الإمام السجاد (عليه السلام) ـ يبين أحد معاني العصمة وصفات المعصوم بقوله ـ:

هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة،

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٩٤ ح٤، عن كنز الفوائد: ص١٦٢.

والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزوجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[١].

ويحدثنا المصدر نفسه عن الحسين الأشقر أنه قال:

قلت لهشام بن الحكم، وأنا أسأله عن معنى اشتراط الشيعة العصمة في الإمام:

ما معنى قولكم إن الإمام لا يكون إلا معصوماً؟

هشام ـ يرحب بي وبسؤالي هذا، ويجيبني لا من نفسه، بل بإسناد عن الإمام الصادق (عليه السلام) ويقول:

اعلم يا أشقر، إني سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن ذلك، فأجابني عن جانب من معانيه قائلاً: ـ

المعصوم هو الممتنع بالله تعالى من جميع محارم الله، وقد قال الله تبارك وتعالى:

«ومن يعتصم بالله، فقد هدي إلى صراط مستقيم»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٩٤ ح٥، عن معاني الأخبار: ص٤٤، بتصرف، والآية في سورة الإسراء: ٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٩٤ ح٦، عن معاني الأخبار، ص٤٤، والآية في سورة آل عمران: ١٠١.

حوار حول العصمة

وهنا نستمع إلى الحوار الجميل الذي جرى بين ابن أبي عمير الثقة المعروف وبين الكلامي الجليل هشام بن الحكم، حول العصمة والمعصوم، والحوار هو كما يحدثنا به ابن أبي عمير على ما يلي:

ابن أبي عمير: لقد صحبت هشام بن الحكم طويلاً، فما استفدت منه شيئاً أكبر ولا سمعت منه كلاماً أحسن من هذا الكلام الذي جرى بيننا وبينه في صفة عصمة الإمام، فإني قد سألته يوماً عن الإمام وقلت:

أخبرني يا هشام عن الإمام، أهو معصوم؟

هشام: نعم إنه معصوم لا محالة.

ابن أبي عمير: أخبرني ما هي صفة العصمة فيه، وبأي شيء تعرف؟

هشام ـ يتهيأ للجواب ويلتفت إليّ مبتسماً ليلفت كل ذهني وفكري إليه ويقول:

اعلم أيها الأخ العزيز بن أبي عمير، إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه، لا خامس لها، وهي:

١: الحرص.

٢: الحسد.

٣: الغضب.

٤ : الشهوة.

وهذه كلها منفية عن الإمام (عليه السلام).

ابن أبي عمير: أخبرني يا هشام، كيف تكون هذه منفية عنه؟

هشام: أعلم يا ابن أبي عمير، أن الإمام لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا، وهي تحت خاتمه، لأنه خازن المسلمين، فعلى ما ذا يحرص؟

ولا يجوز أن يكون الإمام حسوداً، لأن الإنسان إنما يحسد من هو فوقه، وليس فوقه أحد، فكيف يحسد من هو دونه؟

ولا يجوز للإمام أن يغضب لشيء من أمور الدنيا، إلا أن يكون غضبه لله عزوجل، فإن الله قد فرض عليه إقامة الحدود، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا رأفة في دينه، حتى يقيم حدود الله عزوجل.

ولا يجوز للإمام أن يتبع الشهوات، ويؤثر الدنيا على الآخرة، لأن الله عزوجل حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا.

ثم التفت إليّ وأضاف قائلاً:

فهل رأيت يا ابن أبي عمير أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح؟

أم هل رأيت من ترك طعاماً طيباً لطعام مرّ؟

أو هل رأيت إنساناً ترك ثوباً ليناً لثوب خشن؟

وبالتالي هل رأيت من ترك نعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟»[١].

العصمة من مستلزمات الإمامة

وهكذا يصور لنا هذا التلميذ البار (هشام بن الحكم) تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام) في قسم الأصول والعقائد الإسلامية، معنى العصمة، ووجوب توفرها في الإمام المنصوص عليه من الله تعالى، والوصي الذي يُخلف النبي بأمر من الله تعالى وتعيين من النبي، ليكون حجة على الناس، وقاطعاً لعذرهم، فشكراً له على حسن تصويره وبراعته، وشكراً لابن أبي عمير على حسن حفظه وروايته.

هذا بالإضافة إلى ما ثبت من أن كلاً من القرآن والروايات والعقل يؤكد على ضرورة عصمة النبي، وكذلك عصمة وصيه والإمام من بعده، من كل ما يعدّ نقصاً في الإنسان من الخطأ والاشتباه والغفلة والنسيان والسهو والذنب..

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٩٢ ح١، بتصرف.

أسئلة واستفهامات

وهنا لسائل أن يسأل مستفهماً ويقول:

إذا كانت العصمة من الخطا والاشتباه، مسلّمة للنبي والوصي، فكيف بالبعض يتهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو سيد الأوصياء وأبو الأئمة المعصومين، بالاشتباه - والعياذ بالله - في سياسته التي مارسها أيام خلافته الظاهرية، وذلك:

من عدم مساومته أمثال طلحة والزبير، الذين كانوا - لسوء تصرف الحكام السابقين بمثل زيادة العطاء لهم - لا يرضخون للعدل، ولا يرضون بأن يكونوا متساوين في العطاء كبقية المسلمين، فسبّبوا له (عليه السلام) حرب الجمل، ومهّدوا للحروب والقلاقل التي تلتها.

ومن عدم مداهنته لمثل معاوية، الذي كان - لتنصيبه غير اللائق به من الحكام المتقدمين - لا يستسلم للحق ولا ينصاع إليه، حيث سبّب ذلك تصادمه بالإمام وتأجيج نار الحرب ضده، وإثارة البلابل والفتن حوله.

ومن قبل ذلك في قصة الشورى وجماعتها الستة، حيث إن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) [1] أجبر على أن يكون أحدهم، فعرض

---

(١) وقد ألمح إليه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبته المعروفة بالشقشقية، بقوله: «حتى إذا مضى (ابن الخطاب) لسبيله، جعلها في جماعة زعم أني أحدهم، فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، ◄

عليه عبد الرحمن بن عوف البيعة على أن يسير على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، فأبى (عليه السلام) أن يقبل سيرة الشيخين، فعرض ذلك على عثمان فقبله فبايعه وتمت له الخلافة، وبقي الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) جليس داره مدة خلافة عثمان، كما كان جليس داره مدة خلافة أبي بكر وعمر.

وعثمان الذي وافق على شروط عبد الرحمن بن عوف، لم يعمل بأيّ شرط منها، فما كان يضرّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لو كان يُظهر الموافقة، كما أظهر عثمان حين البيعة، وبعد أن تتم له الخلافة كان له أن يفعل أو يترك، كما ترك عثمان حتى العمل بكتاب الله وسنة رسوله الكريم، باعتراف التاريخ وإقرار ابن عوف وتنكّره له.

أجوبة وردود

والجواب يحتاج إلى تحقيق تاريخي واسع، ليس هذا محله، لكنا نلمح إلى موجز منه، وملخص يليق بالمقام، وذلك عبر نقاط تالية:

الجواب الأول:

١: إن من يتّهم الإمام المعصوم (عليه السلام) بمثل ذلك، هو على أقل تقدير، ممن لا يعرف عن الإمام وعن مقام الإمامة في الإسلام شيئاً.

◄ لكني أسففت إذ أسفّوا، وطرت إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن» نهج البلاغة: الخطبة٣.

هذا إن لم نقل أنه من أصحاب الأغراض السياسية، الذين يخطؤون ويشتبهون، فيحاولون بأنفسهم أو بتوسط مريديهم تغطية أخطائهم واشتباهاتهم، وصبغها بالشرعية في ظل ذلك، متجاهلين هذا الفارق الكبير الذي يفصل بينه وبينهم:

من أنهم بشر عاديون لا عصمة لهم، وهو إمام معصوم ميزه الله تعالى من بين خلقه بالعصمة، وحفظه من كل خطأ واشتباه، وفضّله عليهم بالطهارة من كل ذنب وعيب.

ومتغافلين عن أن هذا التحوير تلاعب بالعقيدة، وعبث بأصول الدين، وهو ذنب لا يغفر، وسيؤاخذهم به التاريخ ويحاسبهم به الله حساباً عسيراً، كيف لا وقد عبر عنه القرآن الكريم، بالبهتان والإثم المبين، وذلك حين يقول:

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[1].

أو لم نقل أنه من ذوي الأمراض القلبية والعاهات الروحية، الذين لاتطيب أنفسهم أن يسمعوا قدسية الإمام (عليه السلام) وعظمته، وعصمته وطهارته، فيحاولون جبر نفوسهم والتشفّي لها باتهامه (عليه السلام) متناسين تأنيب القرآن لهم، وتوعيده إياهم حيث يقول:

---

(١) سورة النساء: ١١٢.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾(١).

أو لم نقل أنه من المغفّلين المستضعفين في فكرهم وعقيدتهم، من الذين يستلهمون غذاء فكرهم وعقيدتهم عبر كل من يمليه عليهم، بلا أن ينقدوه ويتروّوا فيه، ولا أن يعتمدوا في قبوله ورده على القرآن الكريم والروايات الشريفة، ذاهلين عن تنديد الله تعالى بهم، وتهديده لهم بالعذاب في الآخرة والخزي في الدنيا، وذلك بقوله سبحانه:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾(٢).

وإلا فإن العقل السليم، والوجدان الحي، يحكم بأن الإمام لا يكون إماماً من جانب الله تعالى، إلا بعد أن يكون معصوماً من كل خطأ واشتباه، مطهراً من كل عيب ونقص، ليكون أميناً على شرائع السماء، حافظاً لأحكام الله تعالى، ذاباً عن دين الله وحدوده.

---

(١) سورة النساء: ٥٤.

(٢) سورة الحج: ٨ و٩ و١٠.

الجواب الثاني

٢ : إن من يثير هذه التهمة حول الإمام المعصوم (عليه السلام) لم يعرف عن الإسلام ولا عن السياسة الإسلامية شيئاً، وإنما غاية ما يعرفه ـ إذا كان يعرف شيئاً في هذا المجال ـ هي النظم الغربية والشرقية، وسياستهما الغابرة والمعاصرة حيث يبتني كل منهما في الواقع والحقيقة وبشكل عام على الكذب والدجل، والمكر والخداع، وهضم الحقوق ومصادرة الحريات، وسحق القيم الأخلاقية، وهتك الإنسان وكرامته، وإن تظاهرت بالتقدمية وطالبت بحقوق الإنسان، وتشدّقت به وهتفت بالشعارات الخلابة والدعايات المغرية.

وإذا كنت في شك في من ذلك، فألق بنظرة ثاقبة حول ما يدور في العالم الثالث، ـ حسب تعبيرهم ـ وما يجري فيها بين حين وآخر، من انقلابات عسكرية، وحروب مدمرة، وغارات طائشة، وحملات تصفية جماعية وصفقات تشريد وتهجير، ونهب أموال وثروات، ومصادرة حقوق وحريات، وتضليل جماعي وحرمان شامل، وفقر مدقع، وجهل قاتل، وإلى آخر ما في القائمة من وحشية وبربرية، وجنايات وجرائم، يرتكبها الغرب والشرق بالنسبة إلى العالم الثالث بشكل عام، وفي حق الشعوب الإسلامية بصورة خاصة.

بينما الإسلام والسياسة الإسلامية، التي طبّقها رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله) ووصيه الأمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) هي على العكس

من ذلك تماماً، فهي مبنية على الحق والواقع، والعدل والرحمة، والصدق والصراحة، وإحقاق الحقوق، وضمان الحريات، وإحياء القيم، وصيانة الإنسان والمجتمع، وحفظ كرامته واحترام شخصيته، وتوفير حقوقه وتأمين رقيّه وتقدمه.

فلا مكر ولا خداع، ولا فقر ولا مرض، ولا جهل ولا تضليل، ولا نهب ولا سلب، ولا تبعيد ولا تشريد، ولا انقلابات عسكرية، ولا حروب مدمرة، ولا حملات تصفوية، ولا استبداد ولا دكتاتورية، ولا .. ولا..

وينبيك عن صدق هذا كله، التاريخ السياسي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) اللذين كانا يمثلان الإسلام بحق، ويطبقان السياسة الإسلامية حرفياً وبدقة.

الجواب الثالث

٣: إن موقف الإمام (عليه السلام) السياسي، تجاه بيعة ابن عوف، وتجاه أطماع أمثال طلحة والزبير، وتجاه طغيان أمثال معاوية وعمرو العاص، وتجاه الأحداث الأخرى، كان أفضل موقف سياسي مشرّف، استطاع عبره الحفاظ على الإسلام وتعاليمه الإنسانية، وعلى القرآن وأحكامه العادلة، وعلى النبي وأسوته، والوصي ومثاليته.

ولولا تلك المواقف العظيمة والتضحيات الكبيرة من الإمام أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب (عليه السلام) في تحمله تبعات تلك المواقف الصعبة والصبر عليها، لما بقي للإسلام إلى يومنا هذا اسم، ولا من القرآن رسم، ولا للنبي ذِكر، ولا للوصي علامة، بل صار الإسلام في خبر كان، والقرآن في الأساطير، ولانْدَرَس ذكر النبي والوصي، وفقد مكانة أسوته وقدوته، ومثاليته ونموذجيته، التي ندب القرآن إليها بقوله:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾[1].

ولتساوى علي (عليه السلام) ومعاوية، والنبي (صلى الله عليه وآله) وأبو سفيان من قبل.

ولاختلط الحق والباطل، والخير والشر، والصدق والكذب.

ولما كان اليوم في العالم، ملياران ونصف المليار من البشر يعتنقون الإسلام ويؤمنون بالقرآن، ويمجدون بذكر النبي (صلى الله عليه وآله) ويفتخرون بمواقف علي (عليه السلام) والأئمة المعصومين من بنيه (عليهم السلام)، ويضمرون لهم الولاء والمحبة الصادقة.

كما لم يكن اليوم نصف عدد هؤلاء المسلمين: شيعة، يعتقدون بإمامة علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ووصايته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وخلافته له من بعده بلا فصل، وكذلك بإمامة الأئمة الأحد عشر من بنيه، ووصايتهم لجدهم

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

الرسول (صلى الله عليه وآله)، وخلافتهم له بعد أبيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى يوم القيامة، وهذا هو الدين الحق الذي ارتضاه الله تعالى لنا في كتابه، حيث يقول منوّهاً بواقعة يوم الغدير، ومشيراً إلى امتداد الرسالة بإمامة علي أمير المؤمنين والأئمة الأحد عشر من بنيه (عليهم السلام)[1]:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[2].

وبالتالي: لم يكن الإسلام اليوم ديناً كاملاً، ونظاماً شاملاً، يطرح على الساحة العالمية، ويتحدى الأديان المحرّفة والمبادئ الباطلة بكل صمود وقوة.

استنتاج

نعم، كان في رفضه (عليه السلام) سيرة الشيخين، وقبوله سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد برهن على صحة سيرته، وأنها امتداد لسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) العادلة، وسنته الكريمة، وبطلان سيرة غيره، ومنافرتها لسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وكان في ردّه شرط ابن عوف من أول الأمر، دون عثمان، ـ حيث قبلها عثمان أولاً ثم زاغ عنها مؤخراً بعد أن تمت له الخلافة ـ إثبات مثاليته (عليه السلام)

---

(١) راجع تقريب القرآن إلى الأذهان، المجلد الثاني، الجزء السادس: ص٤٦.

(٢) سورة المائدة: ٣.

ونموذجيته، واستمراريته وامتداده لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في العدل والأمانة، وفي الأسوة والقدوة، التي يشير إليها القرآن الكريم، وزيغ مقابله وانحرافه إلى يومنا هذا.

وكان في تركه (عليه السلام) مساومة طلحة والزبير، قد علّم العالم البشري أصول العدل والقسط، وأمانة الحاكم الإسلامي وعدالته، وعرّفه دروس المطالبة والمعارضة، وقولة: لا للظلم وسوء التوزيع، إذا رأى ذلك من الرؤساء والحكام، والخلفاء والولاة، والملوك والأمراء، كما رآه الناس في الحكومات غير حكومة الرسول الكريم والإمام أمير المؤمنين (عليهما السلام).

وكان في رفضه (عليه السلام) مداهنة معاوية وعمرو العاص، قد أثبت زيغ معاوية وابن العاص، وسلب عنهما الشرعية، وكشف عن حقدهما الجاهلي ضد الإسلام والمسلمين، وتجاه النبي والوصي، وأوضح حدود الحاكم الإسلامي في نصب الولاة والحكام، وأنه بالضوابط والكفاءات، لا بالروابط والعلاقات، ولا بالمداهنات والمساومات.

مكاسب إسلامية كبرى

وهذه وغيرها، مكاسب إسلامية كبرى، ومصالح دينية عامة، اكتسبها (عليه السلام) في مقابل ثمن غالٍ جداً، من التضحية بحقه من الخلافة، وانزوائه خمسة وعشرين عاماً عن الساحة السياسية، وابتلائه بذوي الأمراض

والأغراض الذين لا يمنعهم من الافتراء وكيل التهم والأكاذيب عليه شيء من دين ولا تقوى، وأخيراً التضحية بنفسه والشهادة في سبيل الله.

فهل يا ترى من الاشتباه التضحية في سبيل الله والإسلام؟

أم هل من الخطأ إيثار المصلحة العامة للإسلام والمسلمين على المصلحة الفردية الخاصة؟

أم هل من الغفلة أو السهو والنسيان السير على ما سار عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليكون (عليه السلام) كما هو عليه اليوم، امتداداً له في القدوة والأسوة، للعدل والقسط والصدق والأمانة؟

كلا، وألف كلا..

مرتبة العصمة

ثم إن العصمة كما أشرنا إليها فيما مضى، تحتل المقام الأول والمرتبة العليا في الظاهرة الإعجازية من سيرة النبي والوصي، لأنها منحة خاصة من الله تعالى، يمنحها النبي والوصي من بين عباده، ويختصه بها من بين خلقه.

بها يؤهّل النبي للسفارة بينه وبين عباده، ويخوّل الوصي للوصاية والإمامة بعد نبيه، وبها يحفظهم من السهو والنسيان، والخطأ والاشتباه، ويطهرهم من الرذائل والعيوب، والدنس والذنوب.

عدد المعصومين

والمعصومون في هذه الأمة حسب ما تواترت به الروايات الكريمة، واعترف به المسلمون كافة، وقام عليه إجماعهم، هم أربعة عشر لا غير:

نبينا: محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)

أخو نبينا بالمؤاخاة ونفسه بنص القرآن، وصهره ووصيه: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

بنت نبينا: الصديقة الكبرى، سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، فاطمة الزهراء (عليها السلام) أم الأئمة المعصومين.

أوصياء نبينا وذريته من فاطمة وأمير المؤمنين (عليهما السلام): الأئمة الأحد عشر: الحسن والحسين والتسعة المعصومون من ذرية الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين).

فهؤلاء الأطهار (الأربعة عشر) كتب الله لهم العصمة وأراد لهم الطهارة، كما قال تعالى في كتابه:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

الإمام الهادي (عليه السلام)

والإمام الهادي أبو الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) الذي هو محط بحثنا، والهدف من دراستنا هذه، معصوم طاهر، ثبتت عصمته وطهارته مما أسلفلناه في إثبات عصمة النبي والوصي، بالكتاب والسنة والعقل، وكذلك الإجماع.

فإنه (عليه السلام) حسب ما تواترت به الروايات المصرحة بأسماء الأئمة وصفاتهم، وألقابهم وكناهم، هو عاشر الأوصياء من أئمة أهل البيت، والثاني عشر من سلسلة المعصومين (عليهم السلام) الذين نطق القرآن الكريم وصرحت الروايات الشريفة بعصمتهم، وحكم العقل السليم وتحدث الإجماع القائم بطهارتهم.

الظاهرة الإعجازية وأقسامها

هذا ـ وبعد أن ثبتت عصمة الإمام الهادي أبي الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام)، عن طريق الكتاب والسنة والعقل والإجماع، وثبت بما ذكرناه آنفاً بأنه (عليه السلام) هو وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنه عاشر الأئمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) وأنه قدوة لنا وأسوة، وحجة علينا وآية ـ ثبتت قدرته على أن يأتي بالمعجزة وما هو خارق للعادة بإذن الله تعالى، وثبت علمه بالغيب

والماورائيات بتعليم الله تعالى له بواسطة النبي (صلى الله عليه وآله) والأوصياء من قبله (عليهم السلام).

كما وقد اتضح أيضاً أن العصمة بالنسبة إلى سيرته الكريمة، هي في مقدمة الظاهرة الإعجازية، وفي رأسها، فلنتخذ منها ذريعة للحديث عما تبقى من الظاهرة الإعجازية من سيرته (عليه السلام) المباركة، ونجعلها مفتاحاً لسرد ما وصل إلينا من ذلك عبر أقسامٍ أربعة:

١: المعجزات والتصرفات الخارقة للعادة.

٢: العلم بالغيب والماورائيات.

٣: العلم بجميع اللغات ومنطق الطير والوحش.

٤: العلم بالآجال.

القسم الأول

من أقسام الظاهرة الإعجازية :

المعجزات والتصرفات الخارقة للعادة

نماذج من المعجزات والتصرفات الخارقة للعادة

في خان الصعاليك

عندما استقدم المتوكل العباسي، الإمام الهادي أبا الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) إلى سامراء، كان من اللازم عليه حسب استقدامه واستضافته للإمام الهادي (عليه السلام) أن ينزله في قصره، أو على الأقل في مكان يليق بشأن الإمام (عليه السلام).

لكنه خلافاً للأعراف الاجتماعية، والقيم الأخلاقية، تحجج بأعذار واهية عن استقباله، وعن استضافته في قصره، وأنزله في خان الصعاليك، أي في بيت حقير يسكنه المنقطعين والفقراء والمساكين، مما كان في ذلك ازدراءً بمقام الإمام الهادي (عليه السلام) وانتهاكاً لعظيم شخصيته من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وعند ما يدخل عليه صالح بن سعيد، يتقزز من سوء معالمة المتوكل له (عليه السلام) وينـدد بصنيعه، ويتألم للواقع المؤسف الذي حل بالإمام الهادي (عليه السلام).

لكن الإمام الهادي (عليه السلام) يهدّئ صالحاً ويطيّب خاطره، فلننظر كيف تم هذا اللقاء، ولنستمع إلى الحوار الذي دار بينهما بلسانِ صالح.

صالح ـ وهو يتقطع أسىً، ويستنكر معاملة المتوكل للإمام الهادي (عليه السلام) يحدثنا قائلاً:

دخلت على أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وبعد التحية والسلام، قلت له ببالغ الأسف والأسى:

جُعلت فداك، يا ابن رسول الله، إنهم في كل الأمور حاولوا إطفاء نورك، وأرادوا التقصير بك، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع، خان الصعاليك.

الإمام الهادي (عليه السلام)، بعد التحية والسلام، أخذ يرحب بي ويخفف عليّ آلامي وهمومي، فأجلسني عنده وقال:

ها هنا أنت يا ابن سعيد؟

صالح: بكلامه (عليه السلام) هذا، أخذ بمجامع قلبي وجعلني أتوجه بكلي إليه، فقلت:

نعم يا ابن رسول الله، أنا في خدمتكم.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يؤمي بيده ويشير إليّ ويقول:

انظر يا ابن سعيد، انظر جيداً، ما ذا ترى؟

صالح: نظرت، فإذا بروضات آنقات، وحدائق ناضرات، فيهن خيرات عطرات وولدان، كأنهن اللؤلؤ المكنون، وأطيار وظباء، وأنهار تفور، وعيون تجري.

فحار بصري والتمع، وحسرت عيني وقصرت، وبقيت أتعجب مما أراه

من جمال ونظارة.

الإمام الهادي (عليه السلام): يلتفت إليّ لما يرى من ارتياحي لهذه المناظر الخلابة، ويُطمئن خاطري ويقول:

نعم يا ابن سعيد، طب خاطراً، ولا تتقطع حزناً، فنحن حيثما كنا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك.

صالح: طاب خاطري لكني لم أعذر المتوكل العباسي على عدم إنسانيته وسوء معاملته لابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فودّعت الإمام (عليه اسلام) بعد أن قضيت عنده لحظات جميلة وتزودت من معنوياته الكبيرة، وانصرفت[1].

استعراض عسكري

كان من دأب الملوك والأمراء، ورؤساء الدول والحكومات، عرض عضلاتهم واستعراض قواتهم على من يهابونه ويخافون منه.

كما تفعله اليوم الدول الكبرى للسيطرة على البلاد النامية، والهيمنة على بلدان العالم الثالث.

علماً بأن هذا المنطق إذا لم يتأطر بإطار الله تعالى ودينه الحق، كان منطق الغاب ليس أكثر، لأنه لا يتعدى هدف السلطة والهيمنة، وسياسة النهب والسلب، وخطة الاستثمار والاستضعاف.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٢، عن بصائر الدرجات: ص٤٠٦ بتصرف.

والمتوكل العباسي هو من خرج عن منطق الصواب والحق، لذلك لم ينفلت عن هذا المنطق، ولم يتخلف عن هذه القاعدة، قاعدة عرض العضلات، لإرهاب من يخاف منه وإرعاب من لا يأمن نفوذه وسطوته ـ حسب نظره ـ.

فلننظر معاً كيف تم هذا الاستعراض، وما كان موقف الإمام الهادي (عليه السلام) منه؟

يحدثنا كتاب الخرائج، عن المتوكل العباسي ـ أنه بعد أن تربّع على كرسي الخلافة واستقدم الإمام الهادي (عليه السلام) من المدينة المنورة إلى سامراء ـ قائلاً:

إن المتوكل العباسي ضمن مخطط إرهابي، لإرعاب الإمام الهادي (عليه السلام) أمر عسكره وهم تسعون ألف فارس من الأتراك الساكنين بسامراء، أن يملأ كل واحد منهم مخلاة فرسه من الطين الأحمر، ويجعلوا بعضه على بعض في وسط ساحة هناك.

العسكر: سمعاً وطاعةً، ثم يفعلون ما أمرهم به المتوكل، فيتكون في الساحة من ذلك الطين الأحمر تلٌّ مثل الجبل العظيم، سمي فيما بعد باسم (تل المخالي).

المتوكل ـ عندما يرى ذلك يتبختر جذلاً، ويصرخ في عسكره قائلاً:

إنني أريد اليوم منكم استعراضاً عسكرياً هاماً، فعليكم أن تلبسوا

تجافيفكم[١]، وتحملوا أسلحتكم، وترتدوا أزياءكم العسكرية بأوسمتها ونياشينها، في أتم عدة، وأعظم هيبة، ليُرهب سلطاننا كل من يطمع فيه، ويزهد في ملكنا كل من له رغبة إليه، وكان خوف المتوكل من الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أن يأمر أحداً من أهل بيته بالخروج عليه.

العسكر: على الرأس والعين، فيتهيؤون بما هو اللائق لجيش عظيم، ويستعدون للاستعراض العام.

الآمر: يعلن للمتوكل عن اللحظة المواتية للاستعراض العسكري الكبير.

المتوكل ـ يطأ الأرض بخيلاء ويصعّر خدّه، ويمشي مرحاً ليصعد التل، فقد تم له كل ما يريد، ثم يستدعي أبا الحسن الهادي (عليه السلام) ويستصعده، حتى إذا استقر الإمام الهادي (عليه السلام) معه فوق التل، التفت إليه المتوكل قائلاً ـ :

أتدري يا ابن العم لماذا استدعيتك واستحضرتك؟

الإمام الهادي (عليه السلام): نعم، لماذا؟

المتوكل: استحضرتك لنظارة خيولي، ورؤية عسكري وجيشي، وعدّتي وعددي، انظر قد ملؤوا الصحراء، وغطّوا الأرض بكثرتهم، وأثقلوها بسلاحهم ومعداتهم.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو لا يأبه بشيء من ذلك، ولا يقع في نفسه

---

(١) التجافيف: جمع التجفاف بالكسر، وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان المحارب ليقيه في الحرب.

شيئاً مما كان يتصوره المتوكل، فيقول له بكل اتزان وهدوء، وعزم وسكينة ـ:

وهل تحب أن أعرض عليك عسكري؟

المتوكل ـ يتعجب من قول الإمام الهادي (عليه السلام) لأنه يعلم أنه لا عسكر للإمام، فيقول متلهفاً:

وهل لك جيش وعسكر؟، إن كان لك ذلك فاعرضه عليّ، نعم أعرضه عليّ.

الإمام الهادي (عليه السلام): يرفع يديه إلى الله تعالى ويدعو، ثم يلتفت إلى المتوكل بقوله:

انظر، ما ذا ترى؟

المتوكل: أرى بين السماء والأرض، من المشرق والمغرب، ملائكة مدججون بالسلاح والمعدات، إنهم من الكثرة بحيث لا يحصون، ومن الهمة بحيث لا يقابلون ... ثم أخذ يتلجلج لسانه، وإذا به يقع مغشياً عليه.

العسكر: يأتون بالماء فيرشّونه على وجهه ويمرغون جبينه، حتى إذا أفاق، التفت إليه أبو الحسن الهادي (عليه السلام) ليقول له ما يُطمئن به نفسه:

نحن لا نناقشكم في الدنيا، ولا ننافسكم فيها، نحن مشتغلون بأمر الآخرة، فلا عليك شيء مما تظن[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٥ ح٤٤ عن الخرائج، بتصرف.

هيبة الإمامة

الاحترام والتكريم للآخرين، قد يكون بدافع السلطة والقدرة، كما في الملوك والجبابرة، وهو يزول بزوال الملك، ويتقشع برحيله عنهم.

وقد يكون بدافع المحبة والولاء، أو الهيبة السماوية، والعظمة الربانية، كما في الأنبياء والأئمة المعصومين (عليهم صلوات الله أجمعين) وهو دائم لا يزول عنهم، وثابت لا يرحل منهم.

والإمام الهادي أبو الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) هو من أولئك الذين لهم الولاية التكوينية، وفيهم الهيبة الإلهية، ولا عجب فإنه وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعاشر الأئمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) فلنستمع إلى قصة من تلك القصص الكثيرة الدالة على ولايته وهيبته.

يحدثنا الخرائج عن العلوي أنه قال:

كنت مع أبي بباب المتوكل، وأنا إذ ذاك صبي في جمع من الناس، ما بين طالبيّ إلى عباسيّ، إلى جندي، وإلى غير ذلك.

وكان إذا جاء الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) ليدخل على المتوكل، ترجّل الناس كلهم ـ إعظاماً له وهيبة منه ـ حتى يدخل.

وقبل أن يأتي الإمام (عليه السلام) التفت بعض الواقفين إلى بعض وقال، متصاغراً لعظمته (عليه السلام):

ما لنا نترجّل لهذا الغلام؟ وهم يعنون الإمام الهادي (عليه السلام)، وما هو بأشرفنا، ولا بأكبرنا، ولا بأسنّنا، ولا بأعلمنا؟

ثم تواطئوا على أن لا يترجلوا له، وقالوا:

والله لا ترجلنا له.

وكان فيهم أبو هاشم الجعفري، فسمع مقالتهم، فأجابهم قائلاً:

إنه ليس كما تقولون، فوالله لترجّلنّ له صَغاراً وذلة، وذلك فور ما ترونه، ويقع نظركم عليه.

القوم: لم يجيبوه بشيء، غير أنهم قوّوا عزمهم على أن لا يترجلوا له أبداً.

العلوي: تريثنا لننظر ما يكون، فما هو إلا أن أقبل (عليه السلام)، فلما بصروا به ترجّل له الناس كلهم إكباراً له وإجلالاً، من دون اختيار ولا إرادة، رغم أنهم قد تواطئوا على عدم الترجل له.

أبو هاشم - بعد أن دخل الإمام الهادي (عليه السلام) التفت إلى الحاضرين معترضاً متسائلاً: أليس زعمتم أنكم لا تترجلون له؟

القوم - وهم يذعنون بأن هيبة الإمام الهادي (عليه السلام) ملكتهم، وولايته سيطرت على مشاعرهم، يقولون: والله ما ملكنا أنفسنا، حتى ترجلنا له احتراماً وإعظاماً بلا إرادة منا ولا اختيار[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٧ ح٢٠، عن الخرائج، بتصرف.

اغتيال الشخصية

كان الحكام الطغاة، والرؤساء الجبابرة، ولا يزالون اليوم كذلك، يغتالون كل من يخافونه على سلطانهم، ويحذرونه على ملكهم، وإن لم يتيسر لهم اغتيال شخصه، اغتالوا شخصيته بشتى الوسائل والطرق.

ومن تلك الطرق: الاستخفاف به أمام الملأ من الناس، على أيدي بعض من لا شخصية له ولا كرامة، وقد واتت الفرصة للمتوكل العباسي بتواجد رجل مشعبذ في مركز حكومته يقدر على اللعب والاستهزاء بالآخرين.

ففكر في الوصول عبره إلى ما يناله من الإمام الهادي (عليه السلام) ووعده بأنه إن فعل ما يخجل به الإمام الهادي (عليه السلام) أن يصله بصلة كبيرة، ويقدم له جائزة ثمينة.

تم هذا الاتفاق المشؤوم بينهما، فلننظر ماذا أنتج هذا الاتفاق، وما ترتب عليه؟

يحدثنا الخرائج، عن زرافة حاجب المتوكل، أنه قال:

وقع رجل مشعبذ من ناحية الهند إلى المتوكل، يلعب بلعب الحُق لم ير مثله، وكان المتوكل لعّاباً، فأراد أن يخجل الإمام الهادي علي بن محمد بن الرضا (عليه السلام) فقال له:

إن أنت أخجلته أعطيتك ألف دينار ركنية.

المشعبذ ـ يطير فرحاً لما سوف يحصل عليه من أموال عظيمة، وجوائز ثمينة، ويقول بكل جُرأة:

أنا عند حسن ظنك فطب نفساً، فإني سوف أفعل ما تحب.

المتوكل: وهو يمنّيه ويعده بقوله:

نعم إنها دنانير ركنية، فاستعد للحصول عليها، وهيئ ما تحتاجه إلى إحقاق ذلك.

المشعبذ: نعم أيها الخليفة! تقدم بأن يعملوا وليمة، تدعو فيها الإمام الهادي (عليه السلام) وأمر بأن يخبزوا خبزاً رقاقاً خفافاً، واجعلها على المائدة، وأقعدني إلى جنبه، ولا عليك بعد ذلك، فإني سأفعل ما يرضيك.

المتوكل: نعم سيكون كل ما تريد، ثم أمر بوليمة والخبز الرقاق، ودعا فيها الإمام الهادي (عليه السلام) وأصرّ على مشاركته لهم.

وفي الموعد المقرر، حضر المدعوون للوليمة، وحضر الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) فأجلسه المتوكل إلى جانب مسورة ـ وسادة ـ ومتكأ له كانت على يساره وعليها صورة أسد، وجلس الرجل المشعبذ إلى الجانب الآخر من المسورة، فلما حضر الطعام ومد الحاضرون أيديهم نحوه، مدّ الإمام الهادي (عليه السلام) يده نحو الرقاق التي كانت أمامه، ولما وصلت يده إليها طيّرها ذلك الرجل المشعبذ في الهواء، فمدّ يده نحو أخرى، فطيّرها للمرة الثانية في الهواء.

عندها تضاحك الناس وعلا صوت المتوكل والحاضرون بالقهقهة همزاً ولمزاً بالإمام (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ لم ير هنا طريقاً إلى إحقاق الحق وإزهاق الباطل وإتمام الحجة من الله على المتوكل والحاضرين، والإثبات لهم بأنه هو الوصي الحق للرسول الكريم، والإمام الصادق من أهل البيت (عليهم السلام) وأنه ليس من أهل اللعب واللهو، غير طريق المعجزة والتصرف الخارق للعادة، لذلك ضرب بيده الكريمة على صورة الأسد التي كانت في المسورة وقال ما معناه:

يا كلب الله خذ عدو الله بأمر الله تعالى، وهو يشير إلى الرجل المشعبذ.

وإذا بالصورة تتجسد أسداً حياً، فتثب من المسورة نحو المشعبذ.

المشعبذ: يلوذ بالفرار لينجو بنفسه من مخالب الأسد وأنيابه، لكن دون جدوى.

الأسد، يلتقفه من بين الناس ويفترسه عن آخره، ولا يدع قطرة دم منه تسقط على الأرض، ثم يعود كما كانت صورة في المسورة.

المجلس يتدهور، والضحك يتبدل إلى البكاء، والسرور ينقلب خوفاً وحزناً، والمتوكل يندم على عمله، والسكوت يخيّم على أرجاء القصر، والذعر يسيطر على القلوب، وبين شفتي كل من الحاضرين نغمات متقطعة تتمتم وتقول:

إنها معجزة، إنها خارقة للعادة، إنه إمام معصوم، وإنه وصي الرسول

حقاً، ولقد أشفق بنا حيث لم يأمر بافتراسنا، مع أنا كلنا شركاء في هذه المؤامرة الغاشمة.

ثم إنه كيف صار الرجل المشعبذ وأين صار؟

فإن المسورة هي نفس المسورة، والصورة عليها هي نفس الصورة؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ينهض ليقوم، فيقول له المتوكل معتذرا ومترجياً: سألتك إلا جلست يا ابن رسول الله ورددت الرجل علينا.

الإمام الهادي (عليه السلام): والله لا يُرى بعدها، ولسان حاله يقول: لو أن عصا موسى أرجعت ما التقفته من سحر السحرة لأرجعته.

ثم التفت إلى المتوكل وأخذ يعاتبه بقوله:

أتسلط أعداء الله على أولياء الله؟

ثم خرج (عليه السلام) من عنده، ولم يُر الرجل بعد ذلك أبداً[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤٦ ح٣٠، عن مختار الخرائج: ص٢٠١، بتصرف.

داء التملق

المتملقون وما أكثرهم في كل مكان وزمان، وما أشد خطرهم وأكبر ضررهم، وخصوصاً لو كانوا يتواجدون في البلاط وقصر الحاكم والخليفة، فإنهم هم الذين يقع على عواتقهم جزء من الجرم وأحياناً كلّ الجرم والذنب الذي يقترفه الحاكم والخليفة، لأنهم هم الذين يصورون له سوء عمله حسناً وشدة ظلمه عدلاً.

وهم الذين يصورون له أنه مالك رقاب الناس، وأن الناس عبيد له وإماء، له أن يتصرف فيهم ما يشاء بما يشاء.

وقد توعدتهم الآيات الكريمة، والروايات الشريفة بالنار والعذاب الأليم.

وكان قصر المتوكل العباسي هو الآخر الذي لا يخلو من تواجد هؤلاء المتملقين، وقد اصطدم واحد منهم بالإمام الهادي (عليه السلام)، فلننظر ماذا أسفر عن هذا الاصطدام من نتائج سلبية أو إيجابية؟ وكيف اتخذها الإمام الهادي (عليه السلام) وسيلة ليعتبر بها غيره من المتملقين، وموعظة ليتعظ بها الآخرون، فيطهر الاجتماع منهم ويتخلص الناس من شرهم.

يحدثنا المسعودي في (إثبات الوصية) عن الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) قائلاً:

دخل الإمام أبو الحسن (عليه السلام) على المتوكل وقبل أن يلج عليه غرفته الخاصة، انفتل (عليه السلام) جانباً من القصر، واشتغل بالصلاة، وقام راكعاً وساجداً وذاكراً ومسبّحاً.

وإذا بواحد من هؤلاء المتملّقين المتواجدين في البلاط، يقف على الإمام ويتكلم بما يتملق به ويتقرب بسببه إلى المتوكل، وما يثير به حفيظة المتوكل على الإمام الهادي (عليه السلام) بقوله:

إلى كم هذا الرياء منكم يا بني هاشم؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يحاول قمع المتملّقين وقلع هذه الصفة الرذيلة من النفوس، وإنقاذ المجتمع من شرهم ودمارهم، وتصوير عاقبة من يتملق ويتجاسر على وصي الرسول الكريم والإمام المعصوم من أهل البيت (عليهم السلام) فيكون عبرة لمن اعتبر، وآية لمن ادكر ـ يسرع في صلاته ويسلّم، ثم يلتفت إلى هذا المتملق ويقول له:

إن كنت كاذباً فيسحقك الله بعذاب.

وما أن أتم كلام الإمام الهادي (عليه السلام) حتى وقع الرجل ميتاً، وسار حديثه في الناس[1]. أي فشا خبره فيهم، وأصبح عِبرة وعظة لهم.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٤٥ ح٤١ عن إثبات الوصية، بتصرف.

يوم السلام

كان النبي (صلى الله عليه وآله) يقعد كل يوم للناس، يقضي فيه حوائجهم، ويحل مشاكلهم، ويدبّر أمورهم، ويفصل بين قضاياهم، وما إلى ذلك بلا بوّاب ولا حاجب، ولا مانع ولا عائق، وكذلك كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لكن معاوية بن أبي سفيان ـ كسابقيه الذين تقدموا على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ـ بدّل هذه السنّة النبوية الكريمة، فجعل له حاجباً وبوّاباً، وجعلها في الأسبوع يوماً واحداً.

وسار عليه من بعده الأمويون والعباسيون والعثمانيون وغيرهم، إلى أن اعتزلوا عن الناس واجتجبوا عنهم رأساً، وألغوه بالمرة.

والمتوكل كان أيضاً ممن يقعد للناس في الأسبوع يوماً واحداً، وقد سمى ذلك اليوم بيوم السلام، لكنه لبطره وطغيانه كان جلوسه لا يتجاوز التشريفات الكاذبة، لأنه كان لا يأبه بالناس ولا يهتم بحوائجهم، وذلك لما كان قد حشّد من وسائل الترف واللهو في مجلسه، ليصرف الناس عن حوائجهم، وعن الوصول إليها.

فلننظر كيف كان يتعامل الإمام الهادي (عليه السلام) مع المتوكل، على استبداده ودكتاتوريته؟ وكيف كان يعالج هذه الأمور، ويؤثر على هذه

الوسائل، حتى يستطيع الناس من إبداء حوائجهم والتوصل إليها؟

هذا أبو هاشم الجعفري يحدثنا عن المتوكل ومجلسه قائلاً:

كان للمتوكل مجلس بشبابيك، كيما تدور الشمس في حيطانه، فقد أشرف على بنائه مهندس قدير، ورتب له نوافذ كثيرة ومتشابكة بحيث إذا أشرقت الشمس أشرقت فيه، وإذا غربت غربت عنه، وقد كثّف فيها وسائل الترف واللعب، وجعل فيها الطيور المصوّتة ذات الألحان الجميلة والتغاريد الخلابة.

فإذا كان يوم السلام، وهو اليوم الذي عينه المتوكل لحوائج الناس، جلس في ذلك المجلس، لكن جلوسه كان لا يتعدى التشريفات الخالية والتنميقات السطحية، لأنه كان لا يسمع ما يقال له ولا يسمع ما يقول، لاختلاف أصوات تلك الطيور وتشابك ألحانها وزغردتها.

وكان الإمام أبو الحسن الهادي علي بن محمد بن الرضا (عليه السلام) يدخل عليه، فإذا وافاه سكتت الطيور وهدأت، فلا يسمع منها صوت واحد، وأسرع الناس مغتنمين الفرصة في عرض حوائجهم، إلى أن يخرج الإمام الهادي (عليه السلام)، فإذا خرج من باب المجلس عادت الطيور تملأ أجواء المجلس وفضاءه بأصواتها وزغردتها.

أبو هاشم الجعفري يواصل حديثه ويقول:

وكان عند المتوكل عدة من الطيور القوابج ـ وهي القطاة ـ في الحيطان، ولشدة ولعه باللهو والبطالة، كان يجلس في مجلس له عال، يشرف عليها، ثم

يأمر بإرسال تلك القوابج لتقتتل، فينظر إليها ويضحك منها، وينصرف عن حوائج الناس وشؤونهم إليها.

فإذا دخل الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) على المتوكل، ووافى ذلك المجلس، لصقت القوابج بالحيطان، فكانت كالجماد ساكنة لا تتحرك من مواضعها حتى ينصرف، فإذا انصرف (عليه السلام) عادت القوابج في الاقتتال[1].

بِركة السباع

إذا اختفى النور وفشى الظلام، وأسدل ليل الظلم والاستبداد أجنحته السوداء على البلاد والعباد، وغطى بها كل شيء، انفسح المجال للأشباح المخيفة، وخلا الجو للأحلام السفيهة، فتظهر على الساحة وتتراقص في الظلام، وتجول وتصول بكل طول وحول، لترعب الناس وتخيفهم، وتأخذ بمشاعرهم وأحاسيسهم.

والأئمة المعصومون (عليهم السلام) هم ذلك النور الإلهي الساطع، الذي سعى في إخفائه وإطفائه الأمويون والعباسيون ومن إليهم، وكان المتوكل هو الذي يمثل الظلام العباسي الدامس في أرهب أشكاله وأبشع صوره، ضد نور الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) عاشر الأئمة المعصومين من أهل البيت، ويسعى في إخماده وإطفائه.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤٨ ح٣٤، عن مختار الخرائج: ص٢١٠، بتصرف.

ومن الطبيعي أنه إذا حجب النور وأُبعد عن الساحة، تحكّم فيها الظلام وطغى عليها، وبدأت أشباح التزوير والتضليل وأحلام السفاهة والباطل تطغى عليها، وتظهر بين آونة وأخرى متجلية فيمن يدعي النبوة والإمامة، أو يدعي ما يتربط بهما ويعود إليهما، وبالتالي تظهر البدع ووتختفي السنن، فلننظر إلى نموذج من ذلك الظلام الحالك، لنرى كيف استطاع نور الإمام الهادي (عليه السلام) أن يوهنه ويطفئه ويقضي عليه؟

يحدثنا أبو هاشم الجعفري، كما عن الخرائج ومدينة المعاجز وثاقب المناقب، قائلاً:

انتشر في أيام المتوكل خبر امرأة تدعي أنها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) مما أثار الفتنة في الناس.

المتوكل، يأمر بإحضارها، فيراها شابة!، ويقول لها مستنكراً:

إنكِ امرأة شابة، وقد مضى من زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما مضى من السنين، فكيف يتفق ذلك مع ما تدعينه وأنت في سن الشباب؟

المرأة المدعية: نعم، إنه كما تقول، السنين والأعوام بيني وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) كثيرة ولكن..

المتوكل، يقاطعها بحدّة ويقول: ولكن ما ذا؟

المرأة المدعية تقول: ولكن مسح رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده الكريمة على رأسي، وسأل الله تعالى أن يردّ عليّ شبابي في كل أربعين سنة، ومن بركة هذا

الدعاء أعود بعد كل أربعين سنة شابة وفي طليعة الشباب.

المتوكل: إذن أين كنت في هذه المدة الطويلة والأعوام الماضية، ولماذا خفي أمرك على الناس وظهر اليوم؟

المرأة المدعية: نعم لقد كنت أخفي أمري على الناس حتى هذا اليوم، والآن بدا لي أن أظهر ذلك وأُعلم الناس بأمري وأخبرهم عن خبري.

المتوكل، يهز برأسه ويتمتم قائلاً:

ها، الآن بدا لك أن تظهري أمرك؟ اجلسي حتى يتضح صدقك من كذبك؟

ثم أمر بإحضار مشايخ آل أبي طالب وولد العباس وقريش، فلما حضروا التفت إليهم بقوله:

أتعلمون لماذا أحضرتكم، ولأي شيء طلبتكم؟

القوم: لأمر خير إن شاء الله تعالى.

المتوكل: نعم، أمر خير، أمر هذه المرأة التي تدعي أنها زينب بن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فما ذا عندكم فيها؟

القوم: لقد ثبت عندنا أن زينب (عليها السلام) توفيت في سنة كذا، فما تدعيه هذه المرأة ليس هو إلا بهتان وزور.

المتوكل، يلتفت إلى المرأة المدعية ويقول متسائلاً:

ما تقولين في هذه الرواية، وما هو دفاعك عن نفسك تجاه كلامهم؟

المرأة المدعية، تدمدم وتزمجر غاضبة وتقول:

إنه كذب وزور، فإن أمري كان مستوراً عن الناس، لم يظهر لأحد، ولم يعرف لي حياة ولا موت.

المتوكل، يتوجه إلى القوم ويقول لهم:

هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية تفحمونها بها؟

القوم: يطأطئون برؤوسهم إلى الأرض ويفكرون، ثم يرفعون رؤوسهم ويجيبون:

كلا، ليس عندنا غير هذه الرواية شيء.

المتوكل، يتحدّى القوم ويلزم على نفسه دعم ما تدعيه المرأة أو يأتوا بما هو حجة عليها بقوله:

إنه بريء من أبيه العباس، أن لا ينزلها عما ادعت إلا بحجة تفحمها.

القوم: يرتأون على المتوكل طلب حضور الإمام الهادي (عليه السلام) ويقولون:

أحضر ابن الرضا (عليه السلام) فلعل عنده شيئاً من الحجة غير ما عندنا، يستطيع أن يفحمها بها.

المتوكل: نعم، سوف أرسل إليه من يدعوه للحضور.

رسول المتوكل: يصل إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويخبره بدعوة المتوكل وقصة المرأة.

الإمام الهادي (عليه السلام)، يتهيأ للمشاركة، ويدخل على المتوكل.

المتوكل: يرحب بقدوم الإمام الهادي (عليه السلام) ثم يعرض عليه خبر المرأة.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول: إن ادعاءها ليس بصحيح، فإن زينب (عليه السلام) قد توفيت في سنة كذا، في شهر كذا، في يوم كذا.

المتوكل: نعم، إن هؤلاء القوم قد رووا مثل هذه الرواية، لكنها ادعت خفاء أمرها على الناس، وأنه لا يعرف لها أحد حياةً ولا موتاً، وإني قد حلفت أن لا أنزلها عن دعوتها إلا بحجة تلزمها.

الإمام الهادي (عليه السلام) ينبسط وجهاً ويبتسم ثغراً، ويشتد تألقاً ونوراً، ويقول:

ولا عليك، فهاهنا حجة تلزمها وتلزم غيرها.

المتوكل، يطير فرحاً ولا يملك نفسه، فقد وجد من يبرّ له قسمه، فيقول مستفهماً:

وما هي تلك الحجة يا ابن العم؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابه: إن الله قد جعل لحوم بني فاطمة وعلي (عليهما السلام) محرّمة على السباع، فلا تقربهم بسوء ولا تمسهم بأذى، فأنزلها إلى السباع، فإن كانت صادقة في ما تقول وهي من ولد فاطمة، فلا تضرها.

المتوكل: وهو يبتهج فرحاً ونشاطاً، يلتفت إلى المرأة ويقول:

إنه كلام متين، ودليل واضح، فما تقولين؟

المرأة المدعية، تضطرب كثيراً وتقول بقلق لا يوصف:

إنه يريد قتلي، لا، لا طريق إلى ذلك.

المتوكل: يلتفت إلى الإمام الهادي (عليه السلام) التفات من ينتظر الجواب منه.

الإمام الهادي (عليه السلام): يبادر بالجواب قبل أن ينطق المتوكل بكلمة، أو ينبت بشفة، وهو يدير بنظره إلى القوم ويقول:

هاهنا جماعة من ولد الحسن والحسين (عليهما السلام)، فأنزل من شئت منهم، إتماماً للحجة عليها،

أبو هاشم الجعفري، يواصل حديثه، حتى إذا وصل الأمر إلى هذه المرحلة يقسم قائلاً:

فوالله لقد تغيرت وجوه الجميع، وظهر عليها القلق والخوف، وخيّم عليهم السكون والسكوت وأنا أنظر إليهم، فابتدر بعض المبغضين وشق حاجب الصمت والسكوت بقوله:

إنه يحيل هذا الأمر على غيره، لم لا يكون هو؟

المتوكل، يفرح من هذا الاقتراح، ويتمنى أن ينزل الإمام الهادي (عليه السلام) إلى السباع، فتقضي عليه ويرتاح منه، من غير أن يكون له في قتله صنع،

فيلتفت إليه ويعرض عليه النزول قائلاً:

يا ابن العم، يا أبا الحسن، لو تفضلت وكنت أنت الذي ينزل إلى ذلك..

الإمام الهادي (عليه السلام): ذاك إليك، فإن شئت أن كون ذلك لكنت.

المتوكل، يقول بشغف ولهف: كن أنت يا أبا الحسن النازل إليها.

الإمام الهادي (عليه السلام): نعم أنا أنزل إليها إن شاء الله تعالى.

ثم يقوم (عليه السلام) ويتجه نحو بركة السباع وحديقة الحيوانات التي كانت في جانب من ساحة قصر المتوكل، حيث كان فيها ستة من الأسود، فيوضع له السلّم وينزل (عليه السلام) إليها.

المتوكل والقوم ينظرون بدقة وشغف، ويعدّو هذه اللحظات هي اللحظات الأخيرة من حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، الآن وقد فُتح القيد عن السباع، ووضع الإمام (عليه السلام) قدميه المباركتين على أرض الحديقة، والسباع تتجه بسرعة نحوه، إنها ساعة الصفر، وستقضي السباع الجائعة عليه (سلام الله عليه) وينتهي كل شيء، ولكن..

ولكن أدهش المتوكل والقوم، أن رأوا هذه السباع الجائعة رمت بأنفسها بين يدي الإمام (عليه السلام) ومدت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه، خاضعة خاشعة، ذليلة خاسئة، فجعل (عليه السلام) يمسح على رأس كل واحد منها، ثم يشير إليه بيده إلى الاعتزال والانزواء، فيمتثل أمره (عليه السلام) ويعتزل ناحية وينزوي، حتى اعتزلت كلها وأقامت بإزائه.

إنه منظر غريب، وأمر عجيب، إنها معجزة، إنها خارقة للعادة، إنها خارجة عن طَوق البشر، إنها لو اطلع الناس عليها لازدادوا به ثقة، وإليه شوقاً ومحبة، وعليه اعتماداً وإيماناً، وهذا مما يتنافى مع ما يأمله المتوكل والبلاط العباسي، لذلك التفت وزيره الفتح بن خاقان إليه قائلاً:

ما هذا من الصواب في شيء، فبادر بإخراجه من هناك، قبل أن ينتشر خبره في الناس.

المتوكل، يظهر نفسه في صورة المحب الوفي للإمام الهادي (عليه السلام) ويقول معتذراً:

يا أبا الحسن، ما أردنا بك سوءاً، وإنما أردنا أن نكون على يقين مما قلت، والآن حيث قد تيقنا ذلك نحب أن تصعد إلينا.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقوم متجهاً نحو السلّم، والسباع تطوف حوله، وتتمسح بثيابه، حتى إذا وصل إليه وضع رجله المباركة على أول درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع إلى مكانها، فرجعت على أعقابها طائعة خاضعة، وارتقى الإمام (عليه السلام) السلّم، فلما صعد التفت إلى المتوكل ومن معه وقال:

على كل من يزعم أنه من ولد فاطمة (عليها السلام) أن يجلس في ذلك المجلس.

المتوكل: يلتفت إلى المرأة ويأمرها بشدة قائلاً:

عليك أن تنزلي كما نزل أبو الحسن (عليه السلام) وألا ألقيناك فيها.

المرأة المدعية، حيث لا ترى فراراً من الموت، وافتراس السباع لحمها، تصرخ قائلة:

الله الله في دمي، لقد ادعيت الباطل، وأنا بنت فلان، ولقد حملني الضر والفقر على أن أدعي كذباً وزوراً.

المتوكل: ينتفخ غضباً وحنقاً ويقول:

ألقوها إلى السباع، لتكون عبرة لغيرها، ولئلا يجرأ أحد أن يدعي كذباً مثلها.

الإمام الهادي (عليه السلام) ولسان حاله الوساطة لها، وإلقاء اللوم على المتوكل لخيانته ببيت مال المسلمين، وصرفه في ترفه ولعبه، ونزواته ومآربه، وحرمان المسلمين منه المستلزم لمثل هذه الانحرافات والأباطيل.

أم المتوكل: هي الأخرى التي تتقدم وتتوسط في قضيتها، وتشفع لها بالسماح عنها، فيعفو عنها ويطلق سراحها.

وفي رواية: إنه لم يأخذ بوساطة أحد، بل يأمر بإلقائها فتلقى فتأكلها السباع الجائعة، وتفترسها عن آخرها[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤٩ ح٣٥، بتصرف.

رحلة من بغداد إلى سامراء

الناس متفاوتون في قابلياتهم، مختلفون في مؤهلاتهم وكفاءاتهم، كما يقول القرآن الحكيم: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾[1].

والأئمة المعصومون (عليهم السلام) هم من ينظر بنور الله تعالى، ويعرفون كل إنسان ومؤهلاته، ومقدار قابليته واستعداده، فيتعاملون معه بحسب ذلك.

وأبو هاشم الجعفري هو من نال شرف الصحبة، لخمسة من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وعُدّ من ثقات أصحاب الإمام الرضا والإمام محمد بن علي الجواد والإمام علي بن محمد الهادي ثم من بعده الإمام الحسن بن علي العسكري وأخيراً الإمام المهدي صاحب العصر والزمان (عليهم السلام)، وروى عنهم كثيراً، ونقل من أخبارهم ومعاجزهم الجمّ الغفير، سكن بغداد وكان مقدّماً عند السلطان.

ومما رواه من معجزات الإمام الهادي أبي الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) هو ما يلي:

يحدثنا إعلام الورى عن عبد الله الصالحي أنه قال:

قال أبو هاشم الجعفري: كنت منقطعاً إلى أبي الحسن الهادي (عليه السلام) بعد أبيه أبي جعفر الجواد (عليه السلام) وجده أبي الحسن الرضا (عليه السلام).

---

(١) سورة نوح: ١٤.

فشكوت يوماً إلى أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ما ألقاه من الشوق إليه، إذا انحدرت من عنده إلى بغداد، وقلت له:

يا سيدي يا ابن رسول الله، أدع لي فربما لم استطع ركوب الماء، للتشرف بزيارتكم، فسرت على الظهر، و ما لي مركوب سوى برذوني هذا ـ وأشرت إليه وهو في ناحية ـ على ضعفه، فادع الله تعالى أن يقويني على زيارتكم.

الإمام الهادي (عليه السلام)، يرفع يديه بالدعاء ويلتفت إليّ ويقول:

قوّاك الله يا أبا هاشم، وقوّى برذونك.

أبو هاشم ـ يصف أثر دعاء الإمام الهادي (عليه السلام) بما يثير تعجبه قائلاً:

فكان من أمري أن أصلي الفجر ببغداد، ثم امتطي ظهر برذوني متجهاً نحو سامراء، ولم يأت عليّ زوال ذلك اليوم إلا وأنا في محلة العسكر من سامراء، وفي خدمة الإمام الهادي (عليه السلام) والتشرف بزيارته، ثم العود إلى بغداد في يومي ذلك على برذوني إذا شئت، بلا نصب ولا تعب.

ثم يضيف قائلاً:

لقد كان هذا من أعجب الدلائل والبراهين التي شوهدت منه (عليه السلام)[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٧ ح٢١، عن إعلام الورى: ص٣٤٤، بتصرف.

سبيكة ذهب

خلق الله تعالى الإنسان وخلق له ما في السماوات والأرض، من هواء وماء وتراب ونبات وحيوان ومعادن ومخازن وثروات وذخائر.

وأراد له أن يعيش غنياً متنعماً بما أنعم الله تعالى عليه وأغناه به.

والأئمة المعصومون (عليهم السلام) هم من سخر الله تعالى لهم الكون بما فيه، وجعل إليهم مقاليدها، وبيدهم مفاتيحها، وجعلهم السدنة والخزنة، ليفتحوا على الناس بركات السماء والأرض.

لكن أصحاب الأغراض والأطماع، وهواة الجاه والمقام، وعبدة الدنيا والدينار، غصبوا الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) مقامهم، وأبعدوهم عن حقهم، ومنعوا الناس من سيل رحمتهم وعدلهم، ونيل بركاتهم وعلومهم، فعاش الحكام الغاصبون مستأثرين بالأموال والثروات، وتركوا الناس يعيشون في مطبّات الفقر والجهل، وظلمات الظلم والاستبداد.

وأبو هاشم الجعفري هو واحد من الناس الذين راحوا يعانون من كابوس الفقر والحرمان، ويئنّون من وطأته القاسية، وقد اشتكى في يوم من الأيام ذلك إلى الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) فلننظر كيف يعالج الإمام (عليه السلام) مشكلته؟

روى الخزاعي عن أبي هاشم الجعفري أنه قال:

خرجت يوماً مع أبي الحسن الهادي (عليه السلام) إلى ظاهر سامراء، خارج البلدة، نتلقّى بعض القادمين، ونستقبلهم.

فأبطأوا، فطرح لأبي الحسن الهادي (عليه السلام) غاشية السرج، فجلس عليها، ونزلت عن دابتي وجلست بين يديه، وهو يحدثني.

فشكوت إليه قصر يدي وضيق حالي، وما أعانيه من الفقر والحرمان.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وقد ظهرت عليه علامة التأثر والتألم، فيهوي بيده الكريمة إلى الأرض التي كان جالساً عليها ويناولني كفاً من رملها ويقول:

اتسع بهذا يا أبا هاشم في حياتك، واكتم ما رأيت.

أبو هاشم: أخذتها بشغف وخبأتها معي، ولما رجعنا إلى البلدة أبصرتها فإذا هي تتقد كالنيران ذهباً أحمر.

فذهبت إلى السوق ودعوت صائغاً إلى منزلي وقلت له:

أيها الصائغ اسبك لي هذه السبيكة.

الصائغ ـ يشتغل بسبكها وفي الأثناء يلتفت إليّ ويقول متعجباً:

يا أبا هاشم ما رأيت ذهباً أجود من هذا، وهو كهيئة الرمل، أخبرني من أين لك هذا، فإني ما رأيت أعجب منه؟

أبو هاشم ـ وقد تذكرت ما أوصاني به الإمام (عليه السلام) من الكتمان، فقلت موريّاً:

أيها الصائغ، كان عندي وكنت أحتفظ به.

الصائغ: لك فيه المهنّى والرزق الواسع.

أبو هاشم: شكرت الصائغ على طيب شعوره، وقدمت له أجرته، فخرج عني مودّعاً، ورحت أوسّع بما وهبه الإمام الهادي (عليه السلام) لي على أهلي وعائلتي[1].

البريد والمراسلات

كانت المراسلات في العصور القديمة، وقبل اكتشاف الوسائل الحديثة للبريد، من أصعب الأمور، ولا يتسنّى شيء منها إلا للحكام والأمراء والأثرياء، الذين كانوا قد سخروا الأجهزة والوسائل لانفسهم ولراحتهم.

فقد كانت المراسلات تتم آنذاك عبر طيور الإرسال المدرّبة على تبادل الرسائل وإيصالها إلى أصحابها، وهي في غاية الندرة ومنتهى الغلاء، ولا يتسنى ـ عادة ـ لغير الحكّام اقتناصها.

وكانت تتم أيضاً عبر الأفراس السريعة، المخصصة للإرسال والمعدة في محطات البريد، وعلى رأس كل أربعة فراسخ، وذلك ليتناوب عليها مبعوث البريد في الوصول إلى مقصد الرسالة، وتسليم الرسالة إلى صاحبها في أقل وقت ممكن، وهي الأخرى أيضا لا يتسنى توفيرها لغيرهم عادة.

لذلك كانت المراسلات تتم بصعوبة وبمنتهى الكلفة وغاية البطأ.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٨ ح٢٢، عن مختار الخرائج: ص٢٣٨، بتصرف.

وأصحاب الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) ووكلاؤه في أطراف البلاد هم أيضاً ممن كانوا يعانون من صعوبة المراسلات وتلكئها، لكن الإمام الهادي (عليه السلام) تسهيلاً لهم وإشفاقاً بهم وإيصالاً لحكم الله تعالى سريعاً إليهم، كان يستخدم عند الضرورة وفي بعض الأحيان طريق المعجزة والخارق للعادة في ذلك.

فلننظر ما هي تلك الطرق التي استخدمها (عليه السلام) في تسريع الأجوبة والمراسلات مع أصحابه؟

هذا هو محمد بن الفرج الرخجي، وكان من رجال الإمام أبي الحسن الرضا والإمام أبي جعفر الجواد والإمام علي بن محمد الهادي (عليهم السلام) ووكيلاً له، يحدثنا قائلاً:

لقد كنت أشكو في نفسي من صعوبة أمر المراسلات، ومعاناتي منها، فابتدأني الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) يوماً وقال: إذا أردت أن تسأل مسألة فاكتبها، ولا تفكر في بعد الطريق، بل عليك أن تضع الكتاب تحت مصلاك، وتدعه ساعة، ثم استخرجه وانظر، فإن الجواب قد سطر فيه.

الرخجي ـ وقد فرح بما وعده الإمام (عليه السلام) وسهّل عليه مؤونة الطريق يقول: ففعلت ذلك، فوجدت جواب ما سألت عنه مسطوراً فيه، وموقّعاً عليه[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٥ ح٤١، عن الخرائج، بتصرف.

نموذج آخر:

كان هذا نموذجاً من نماذج التسهيل من قبل الإمام الهادي (عليه السلام) في أمر المراسلات مع أصحابه، وهناك نموذج آخر يحدثنا عنه السيد ابن طاووس في كتابه كشف المحجة، نقلاً عن رسائل الكليني عن أحد أصحاب أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

كتبت إلى أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ـ وأنا أعاني بعد الطريق وطول السفر وبطأ الجواب، وعدم مشافهة الإمام (عليه السلام) بما أحب ـ ما يلي:

أن الرجل يحب أن يُفضي إلى إمامه، ما يحب أن يُفضي إلى ربه، لأنه الواسطة بينه وبين ربه، فكيف الطريق إلى ذلك؟ أم كيف يمكنه الإفضاء إليه بما يحبّ وهو بعيد عنه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جواب رسالتي:

نعم لا بأس عليك، إن كان لك حاجة فحرّك شفتيك ولا تستبطئ الجواب، فإن الجواب يأتيك من فوره[1].

ولعله كان يأتيه الجواب مشافهة بما يشبه الهاتف النقال وغيره.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٥ ح٤٢، بتصرف.

الطالب مكان المطلوب

كان حكام الجور والخلفاء المستبدون الذين لا يملكون المؤهلات الكافية والكفاءات اللازمة للحكم، ـ ولا يزالون ـ يضيّقون الخناق على ذوي الكفاءات العالية والمؤهلات الكبيرة، مخافة أن يتفرق الناس عنهم ويلتفوا حول أولئك المؤهّلون للحكم والقيادة، وفي رأسهم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) المنصوص عليهم من جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالوصاية والإمامة، والحكم والولاية، وكذلك من نصبه الأئمة المعصومون (عليهم السلام) وعينوه مرجعاً للناس.

وكان التضييق لا يقتصر عليهم وحدهم، بل يشمل كل من ينتمي إليهم ويواليهم، أو يُعرف بشيء من المحبة لهم والصحبة معهم، فيعاملونه بأقسى أنواع التعامل، من تشريد وتبعيد، وسجن وتكبيل، وقتل وتعذيب.

والمتوكل العباسي هو من كان يرى أن جميع مؤهلات الحكم وكفاءات القيادة متوفرة في الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) لذلك كان يضطهد الإمام (عليه السلام) ويطارد أصحابه ويتعامل معهم شر معاملة.

وقد أمر بقتل واحد من أصحابه (عليه السلام) غير أن والد ذلك الصحابي التجأ بالإمام (عليه السلام) وأراد منه سلامة ابنه، فلننظر كيف يتجاوب الإمام (عليه السلام) مع هذه القصة؟ وكيف ينقذ محبّه المتوسل به من الهلكة؟

روى لنا المناقب عن واحد من أصحابه (عليه السلام) وهو الحسين بن علي الذي شهد القصة أنه قال:

أقبل إلى الإمام الهادي أبي الحسن (عليه السلام) رجل خائف، وهو يرتعد ويقول:

يا أبا الحسن، إن أبني أُخذ بمحبتكم، وقد أمر المتوكل بنكاله وقتله، والليلة يرميه جلاوزته من جبل شاهق في موضع كذا، ويدفنونه تحته.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يرق على هذا الأب الحنون ويقول له بعطف وحنان:

طب نفساً، وقرّ عيناً، فما تريد أن تراه بولدك؟

الأب الواله: أريد يا أبا الحسن ما يريده الأبوان الشفيقان على ولدهما.

الإمام الهادي (عليه السلام): لك ذلك، فإنه لا بأس عليه، اذهب إلى بيتك هادئ البال، فإن ابنك يأتيك غداً بسلامة وعافية.

الأب الواله: يطمئن ويهدأ، ويودّع الإمام الهادي (عليه السلام) وينصرف إلى بيته، وينام ليلته مرتاح الفكر وهادئ البال، وفي الصباح المبكّر وبعد أن أدى فريضة الفجر، إذا بطارق يطرق الباب، فيهتف الأب قائلاً:

من بالباب؟

الطارق: أنا ابنك فلان.

الأب الواله ـ يقوم إلى الباب بكل اشتياق، ويفتح الباب ليستقبل ابنه

ويضمّه إليه ويقول له:

يا بنيّ، ما شأنك؟ وكيف أنجاك الله تعالى وأنقذك من كيد المتوكل ومن أيدي جلاوزته؟ قُصّ عليّ قصتك.

الابن ـ وهو يحمد الله على سلامته ويشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على وساطته له عند الله تعالى ويقول:

يا أبة، إن قضيتي ليست قضية عادية، إنها معجزة غيبية، قد توسط لي فيها حجة من حجج الله تعالى، وإمام معصوم من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فأنقذني من الموت بإذن الله تعالى وإرادته ...

الأب الواله ـ يقاطع حديث ابنه ويقول له:

نعم يا بنيّ، هو كذلك، فلقد توسلت ـ كما علمت ـ في قصتك بالإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام)، وطلبت منه المخلَص لك والفرج عنك.

الابن ـ بعد أن يشكر والده، ويؤيد وساطة الإمام الهادي (عليه السلام)، وشفاعته له في نجاته بإذن الله تعالى، يواصل حديثه ويقول:

يا أبة، إن الجلاوزة حينما أخذوني إلى المكان المقرر، وحفروا القبر، وشدّوا يديّ، وأصعدوني إلى شاهق الجبل وقمّته، وأنا أبكي وأتضرع إلى الله تعالى، إذ أتاني عشرة أنفس مطهرة معطرة، وسألوني عن سبب بكائي؟

فذكرت لهم السبب، وما يريدون من إلقائي من الشاهق.

فقالوا: لو جُعل الطالب والذي يريد إلقاءك مطلوباً وألقيناه مكانك من أعلى الجبل، فهل تجرد نفسك وتخرج من بلدتك إلى المدينة المنورة، وتلازم هناك تربة النبي (صلى الله عليه وآله)؟

الابن ـ وأنا أحاول خلاصي بكل ثمن، وما مجاورة الرسول الكريم إلا توفيق إلهي، لذلك ابتدرت في الجواب وقلت لهم بكل شوق:

نعم، إني مستعد لذلك.

وإذا بي رأيتهم قد قبضوا على الحاجب المأمور بإلقائي، ورموه من شاهق الجبل، فلم يسمع أحد من جلاوزة المتوكل جزعه، كما أنهم لم يروا الرجال الذين أخذوه وألقوه.

ثم يواصل الابن كلامه ويقول:

والآن يا أبة، قد أوردني الرجال العشرة الذين تم إنقاذي على أيديهم، إليك، وهم بالباب ينتظرون خروجي إليهم لأرحل معهم إلى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهل تأذن لي يا أبة بالانصراف؟

الأب الواله: نعم يا ولدي، إني أريد سلامتك وعافيتك، ولا يهمني أينما نزلت ورحلت.

الابن ـ يودع أباه ويقول بعد معانقة طويلة يتزودان معاً للفراق:

استودعك الله يا أبة واسترعيك، وأقرأ عليك السلام.

الأب الواله: وعليك السلام يا ولدي، دمت محروساً بعين الله تعالى، وفي

أمان الله وحفظه إن شاء الله.

الابن - يرجع القهقهرى ويلقي بنظراته الأخيرة مودعاً، ويخرج من الباب منصرفاً.،

وهنا حيث يطمئن الأب من سلامة ابنه وعافيته، يُقبل إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ليخبره بخبر ابنه، ويقدم له شكره وثناءه.

وعند ما يصل في خدمة الإمام الهادي (عليه السلام) ويتشرف بزياته، ويخبره بخبر ابنه، يرى أن الناس يأتون ويذهبون وحديثهم ما جرى على ابنه، وما مرّ عليه من ظلم المتوكل، والإمام الهادي (عليه السلام) يبتسم ويلتفت إليه ويقول:

إنهم لا يعلمون ما نعلم[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٤ ذيل الحديث ٥٤، عن المناقب: ج٤ ص٤١٦، بتصرف.

هدايا من قم

لم يكتف حكام الجور والضلال، بكبت حريات ذوي الكفاءات العالية والهمم الكبيرة، وعلى رأسهم: الأئمة المعصومون (عليهم السلام)، وتضييق الخناق عليهم فحسب، وإنما راحوا يضيقون حتى مصادر عيشهم، وما فرض الله تعالى لهم من حقوق في أموال الناس، حيث يقول تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى...﴾[1].

وكانوا يقومون بإرصادها، وجعل الرقابة عليها، ووضع العيون والجواسيس للبحث عنها، حتى يتسنى لهم الحصول عليها ومصادرتها.

والإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) هو من قد ابتلي بالمتوكل العباسي وعيونه وجواسيسه في ذلك، وحيث إن المال هو المقوّم القوي لكل تحرك ونشاط، والعمود الفقري لكل رسالة وهداية، وخاصة: الأموال الزكوية، والحقوق المالية التي جعلها الله فرائض دينية، وضرائب إسلامية، افترضها لنبيه وأهل بيته (عليه وعليهم السلام) تطهيراً لنفوس الناس وتزكية لهم، كما يقول القرآن مخاطباً النبي الكريم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[2]. فكان لابد من تسلّمه (عليه السلام) لها، واستيفاء حقه منها، وقبضها دون أحد سواه،

---

(١) سورة الأنفال: ٤١. والمراد من ذي القربي: أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) سورة التوبة: ١٠٣. والمراد من الصدقة هنا: الزكاة.

لتعطي ثمرها وتفي بأثرها.

فلننظر ما هو موقفه (عليه السلام) تجاه هذا الرصد القوي؟ وكيف كان يحول بينه وبين ما تنويه السلطة الغاشمة تجاهه من سوء؟

هذا كتاب مشارق الأنوار، يحدثنا عن القمي والطلحي ـ وهما من وكلائه (عليه السلام) في قم ونواحيها، ـ إنهما قالا:

حملنا مالاً من خمس ونذر، وهدايا وجواهر، اجتمعت في قم وبلادها، وخرجنا نريد بها سيدنا أبا الحسن الهادي (عليه السلام)، وحيث كنا في بعض الطريق، إذ جاءنا رسوله (عليه السلام) وهو يحمل إلينا رسالة جاء فيها:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ارجعوا، فليس هذا وقت الوصول.

القمي والطلحي: امتثلنا ما جاء في الرسالة، ورجعنا إلى قم وأحرزنا ما كان عندنا من أموال، وبقينا نتنظر أمره (عليه السلام)، وبعد أيام جاءنا أمره في رسالة قال فيها:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

لقد أنفذنا إليكم إبلاً عيراً، فاحملوا عليها ما عندكم، وخلّوا سبيلها.

القمي والطلحي ـ وهما يمتثلان ما جاء في الرسالة الجديدة، ويهيئان الأموال ويقولان:

خرجنا بها فإذا نحن بإبل وعير ليس معها رعاتها، فحمّلناها الأموال،

وأودعناها الله، ومضت الأيام حتى إذا كان من قابل، وسنحت لنا الفرصة ومنّ الله تعالى علينا بالتوفيق لزيارته (عليه السلام) والقدوم عليه في سامراء، التفت (عليه السلام) إلينا بعد تبادل التحية والسلام، وحسن الاستقبال والترحيب، قائلاً:

انظروا ما حملتم إلينا ـ وهو يشير بيده الكريمة إلى ناحية من البيت ـ هل هي كما أرسلتموها؟

القمي والطلحي ـ ينظران بتعجب ويقولان:

نظرنا إليها، فإذا نحن بالأموال والهدايا كما أرسلناها، فقلنا له (عليه السلام): نعم، إنها لم تتغير شيئاً، هي كما بعثناها سالمة كاملة[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٥ ح٦٢، عن مشارق الأنوار، بتصرف.

معجزات باهرات

هناك في كل عصر وزمان حكومات متجبرة، وقُوَى انتهازية تحاول أن تنسب كل مزية وفضيلة إلى نفسها كذباً، وتجعل كل مكرمة ومنقبة لها زوراً، لتخدع الناس وتضلّهم، وتحظى بحبهم وولائهم، كما أنها تحاول في مقابل ذلك سلب كل ذي فضلٍ وكرامةٍ فضلَه وكرامتَه، واختلاق كل تهمة وفرية عليه، لتغتال شخصيته لدى الناس، فينصرفوا عنه.

وقد جرى على هذه القاعدة بنو أمية وبنو العباس وبنو عثمان وغيرهم من الغاصبين المستبدين، ومنهم: المتوكل العباسي، حيث كان يسعى دائماً لاغتيال شخصية الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، وكان على الإمام الهادي (عليه السلام) أن يحتفظ بشخصيته، لأنه حجة الله وخليفته في الأرض، وحافظ أحكامه وامتداد رسوله بين الخلق، وذلك عبر إظهار المعجزات والآيات البينات، ليكسب ثقة الناس به، وإيمانهم بإمامته ووصايته، فيستطيع من خلالها حفظ الإسلام وحفظ تعاليمه العالية وأحكامه القويمة، وبالتالي حفظ المجتمع والحياة من التفسخ والدمار.

فلننظر كيف كان يتم ذلك.

إبراء الأكمه

يحدثنا كتاب عيون المعجزات عن هاشم بن زيد أنه قال:

رأيت الإمام الهادي أبا الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) وقد أُتي إليه بأكمه ـ قد وُلد من أمه وهو أعمى ـ فأبرأه (عليه السلام) حتى قام مبصراً يرى كل شيء، ثم يضيف قائلاً:

ورأيته (عليه السلام) يهيئ من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه فيطير، فقلت له متعجباً، وقد سنح بفكري ما يقوله القرآن الكريم عن قصة عيسى بن مريم (عليهما السلام) وخلقه من الطين طيراً، ولذلك قلت:

لا فرق بينك يا ابن رسول الله وبين المسيح عيسى بن مريم.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إليّ ببشاشة ويقول:

نعم، لا تعجب يا ابن زيد من ذلك، فإنّي منه وهو مني.

وكأنه (عليه السلام) يريد أن يشير بكلامه هذا (أنا منه وهو مني) إلى أنه امتداد سماوي وشرعي للأنبياء والمرسلين، وأنه وصي خاتمهم وأشرفهم، ومن حوى كل فضائلهم ومناقبهم، وحاز كل علومهم ومعجزاتهم، وصار سبباً لبقاء اسمهم وذكرهم.

إحياء الميت

ويضيف المصدر نفسه عن الرامزي أنه قال:

كان الإمام الهادي أبو الحسن علي بن محمد (عليه السلام) حاجاً، وبعد إتمام مناسك الحج، لما أراد الانصراف إلى المدينة المنورة، إذا به يمرّ في طريقه على رجل خراساني واقف على حمار له ميت وهو يبكي ويزمزم قائلاً:

يا ويلي، لقد انقطعت في سفري، ولم أدر على ماذا أحمل رحلي، فإني لا أملك سوى حماري هذا وقد مات، وليس هناك حاكم حق ونظام عدل يمكن الرجوع إليه حتى يمنح ابن السبيل حقه.

الناس يجتمعون حوله ويتأسفون له، ويعرفونه من لحن قوله وكونه خراسانياً أنه ممن يشايع أئمة الحق من أهل البيت (عليهم السلام)، لذلك عندما مر الإمام الهادي (عليه السلام) به التفت الناس إليه قائلين:

يا أبا الحسن، هذا الرجل ممن يتولاكم أهل البيت، وقد انقطع في سفره لموت حماره.

ثم يفتحون الطريق له (عليه السلام) ليصل إلى الخراساني وحماره.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يدنو من الحمار الميت، ويرفع يديه نحو السماء ويقول بصوت يسمعه الناس:

لم تكن بقرة بني إسرائيل بأكرم على الله تعالى مني، وقد ضرب ببعضها الميت فعاش،

ثم وكزه برجله اليمنى وقال: قم بإذن الله.

وما أن تم كلامه (عليه السلام) إلا وتحرّك الحمار، واحتيى بعد موته، وقام مستوياً على قوائمه الأربع، كأن لم يكن به شيء ولم ينزل به موت.

الخراساني: يطير فرحاً ويهوي على يدي الإمام ورجليه يقبّلهما، تقديراً وشكراً، وإيماناً وتسليماً، ويتمتم قائلاً:

نعم يا ابن رسول الله، لأنت والله أكرم وأعز، وأجل وأعظم على الله تعالى من بقرة بني إسرائيل، فإنك حجة الله حقاً، وخليفة رسوله صدقاً، ووصيّه من بعده، والإمام والخليفة في أمته.

ثم يضع رحله عليه ويأتي به إلى المدينة.

كان هذا الكلام من الخراساني وفي معناه كان هو ما يضمره الناس المجتمعون حوله، وكذا ما يضمره كل من وصل إليه نبأ الحادث المعجز أيضاً، لذلك عند ما وضع الخراساني رحله عليه، وأتى به المدينة المنورة، انتشر خبره في تلك الأوساط، بحيث كلما مر الإمام الهادي (عليه السلام) بقوم، جعلوا يشيرون إليه بالأكف والأصابع ويقولون:

هذا الذي أحيى حمار الخراساني، وأغاثه بعد انقطاعه في سفره، وأنقذه

من تحيره في أمره[١].

وكأنه (عليه السلام) أراد بكلامه هذا: «لم تكن بقرة بني إسرائيل...» الإشارة إلى بيان القرآن الكريم مثل هذه المعجزة، ليُفحم بها كل من في قلبه مرض، حتى لا يستطيع أحد بعد ذلك أن ينكر شيئاً من معجزاتهم (عليهم السلام).

دنانير ذهبية

ويحدثنا كتاب (مدينة المعاجز) عن سفيان عن أبيه أنه قال:

كنت في طريقي إلى عملي فالتقيت بالإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) فرأيت معه جراباً ليس فيه شيء، فقلت له، بعد أن تم بيننا تحية اللقاء، متسائلاً:

يا أبا الحسن، ما تصنع بهذا الجراب؟

وكان قد تذرع بهذا السؤال للحصول - بحسبه - على دليل منه (عليه السلام) يزيد في يقينه وإيمانه بإمامته.

الإمام الهادي (عليه السلام) - وهو يلتفت إليه بثغر مبتسم، ووجه طلق وضاحك، كأنه يشير إلى ما في ضميره ويقول:

يا أبا سفيان، أدخِل فيها يدك، هل ترى فيها شيئاً؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٥ ح٦٣، عن عيون المعجزات، بتصرف.

أبو سفيان: أدخلت فيها يدي، فلم أر فيها شيئاً، فأخرجت يدي وقلت: يا أبا الحسن ليس فيها شيء.

الإمام الهادي (عليه السلام) يردّد ويقول:

نعم، كما تقول ليس فيها شيء، ولكن الآن عد إليها وأدخل يدك فيها.

أبو سفيان: عدت فأدخلت فيها يدي، وإذا بي أراها مملؤة من دنانير ذهبية، مما زادت في يقيني وإيماني به (عليه السلام) [1].

فواكه طرية

ويضيف المصدر نفسه عن عمارة بن زيد، أنه قال:

دخلت على الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) وكنت أفكر في نفسي أن أرى منه (عليه السلام) آية على إمامته، ودليلاً على وصايته، أزداد بها يقيناً إلى يقيني وإيماناً إلى إيماني، وبعد التحية والسلام، وترحيب الإمام (عليه السلام) بي، التفتُ إليه وأنا أشير بيدي إلى أسطوانة كانت في البيت على مقربة منا وقلت:

يا أبا الحسن، هل تستطيع أن تخرج من هذه الأسطوانة رمانة؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يرمقني بعطف وحنان، ويقرأ ما في ضميري

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٤٩ ح٤٩، عن مدينة المعاجز، بتصرف.

فيوافقني في سؤالي بقوله:

نعم، يا ابن زيد، ليس رمانة فحسب، بل تمراً وعنباً وموزاً أيضاً.

ثم عمد الإمام (عليه السلام) إلى الأسطوانة، ودعا الله تعالى بدعوات، ثم أخرج منها كل ذلك.

ابن زيد: فأكلنا منها فكانت طرية طيبة، وحملنا منها إلى بيتنا، حيث أذن لنا (عليه السلام) في ذلك، فكانت من أطيب ما أكلنا، وأحسن ما رأينا، وشكرنا الله تعالى عليها، وعلى ما منّ به علينا من معرفة أوليائه، وتفضّل علينا من تصديقهم والإيمان بولايتهم[١].

من طيور الجنة

ويضيف ابن زيد قائلاً:

كنت ذات يوم عند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) فطلبت منه آية على إمامته، يطمئن بها قلبي بقولي:

يا أبا الحسن، أفي استطاعتك أن تصعد إلى السماء، وترقى فيها، حتى تأتي بشيء ليس في الأرض، لنعلم ذلك؟

الإمام الهادي (عليه السلام) - وهو ينظر إليّ نظر الشفيق بي الحريص على هدايتي، ويقول: يا ابن زيد: وهل يعترضك شك في ذلك؟

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٤٩ ح٥٠، عن مدينة المعاجز، بتصرف.

ابن زيد: كلا يا أبا الحس، ولكن ليطمئن قلبي.

الإمام الهادي (عليه السلام): إذن انظر جيداً، لتحصل على أُمنيّتك.

ابن زيد: نظرت إليه (عليه السلام) فإذا به يرتفع في الهواء ويرتفع، حتى غاب عن بصري، فعندها خاطبت نفسي وقلت لها:

أتعجبين من أمر أبي الحسن؟ لا تعجبي، فإنه حجة الله على عباده، وخليفته في أرضه، ووصي رسوله، والإمام المفترض علينا طاعته، والمأذون في التصرف الخارق للعادة، والحقيق بالمعجزة، وبينما كنت أحدث نفسي، إذ رأيت أبا الحسن (عليه السلام) قد رجع وفي يده طير من ذهب، في أذنه أشرقة من ذهب، وفي منقاره درّة، وهو يقول بلسان عربي فصيح:

لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله.

ابن زيد: فتعجبت من ذلك كثيراً، وازددت إيماناً ويقيناً، واطمئناناً وسكينة، وشكرت الله تعالى على هدايته وحسن توفيقه.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يلتفت إليّ ويقول:

يا ابن زيد، لا تعجب منه، فإنه طير من طيور الجنة، ثم إنه (عليه السلام) سيّبه وتركه ليرجع إلى مكانه[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٤٩ ح٥١، عن مدينة المعاجز، بتصرف.

بُرّ و دقيق

ويضيف المصدر السابق نفسه عن محمد بن يزيد، أنه قال:

دخلت على الإمام الهادي أبي الحسن الثالث محمد بن علي (عليه السلام) زائراً، وبعد أن تم بيننا تحية اللقاء والسلام، رحّب (عليه السلام) بقدومي وجلس إليّ يتفقّد أحوالي، وكنت أتوقع في نفسي أن أرى منه (عليه السلام) آية بينة تدل على إمامته يطمئن إليها قلبي.

وفي هذه الحال، دخل عليه قوم يلوذون به، ويشكون إليه الجوع، ويبثون إليه حرمانهم عما يسدّ رمقهم، وافتقادهم حتى للبُرّ والدقيق.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يستقبلهم استقبالاً حاراً، ينسيهم بها ألم الجوع والحرمان، ويرحب بهم قائلاً:

أهلاً ومرحباً بكم، انزلوا رحمكم الله، فإنه سيكون ما تريدون.

ثم ضرب (عليه السلام) يده إلى الأرض، فصار لهم بُرّاً ودقيقاً، فتوجه إليهم وقال:

احملوا ما شئتم إلى حيث تريدون، فلكم فيه المهنّا والعافية.

القوم: يشكرون الإمام الهادي (عليه السلام) على إحسانه، ويحملون معهم حيث شاؤوا من البُر والدقيق، ويودّعونه منصرفين.

عندها توجه الإمام الهادي (عليه السلام) إليّ وهو يخبر عما في ضميري قائلاً:

يا محمد، هل كفاك ذلك اطمئناناً وزاد في يقينك يقيناً؟

محمد: نعم يا أبا الحس، والحمد لله على هدايته لي وتوفيقه إياي[١].

الداء العضال

ويحدثنا المصدر نفسه، عن عيسى بن أحمد القمي، أنه قال:

لقد أصاب ذراعي بياض، وشيء قد تكتّل كأمثال الجوز، وعجز عنه وعن علاجه الأطباء والجراحون، فقال لي ابن عمي أحمد بن إسحاق القمي:

يا ابن العم، لا تغتم لما نزل بك، فإنه ليس عليك إلا أن تصحبني إلى الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) في سامراء، وعرض ما أصابك عليه، فهل أنت مستعد لذلك؟

عيسى: نعم، إني مستعد لذلك.

ثم تهيأنا للقائه (عليه السلام) وقطعنا الطريق حتى إذا وصلنا إليه، أدخلني ابن عمي على الإمام الهادي أبي الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام)، فسلمنا عليه وحيياناه تحية طيبة، فرد علينا بأحسن من سلامنا وأجمل من تحيّتنا، ورحب بنا ترحيباً بالغاً، وانبسط إلينا يحدثنا ويتفقد أحوالنا، ثم أخذ يكلّم ابن عمي بكلام لم أفهمه، فقال له ابن عمي أحمد:

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٥٠ ح٥٢، عن مدينة المعاجز، بتصرف.

جُعلتُ فداك يا أبا الحسن، هذا ابن عمي عيسى بن أحمد ـ وهو يشير إليّ ـ قد أصاب ذراعه بياض وخرج به شيء قد تكتّل أمثال الجوز، وقد عجز عن معالجته الأطباء.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يستسهل الأمر ويهوّنه على ابن عمي، ويطيّب نفسه ونفسي بابتسامته المشرقة ويقول:

يا ابن إسحاق، إنه لا بأس على ابن عمك، ولا شيء عليه، ثم التفت إليّ وقال:

يا عيسى، هلمّ إليّ وتقدم.

عيسى ـ وأنا فرح مسرور، أترقب بشوق ما ذا سيفعله الإمام الهادي (عليه السلام) بيدي، وكيف يعالجها؟، تقدمت إليه وقلت:

نعم، يا أبا الحسن ها أنا ذا بين يديك.

الإمام الهادي (عليه السلام) ونظراته الحانية تتساقط عليّ، يقول:

أخرج ذراعك يا عيسى.

عيسى: ـ وعرق الخجل يتصبب منّي ـ أسرعت إلى كُمّي ففتحته وشمرت عن ساعدي، وأخرجت له ذراعي.

الإمام الهادي (عليه السلام) يمد يده الكريمة ويمسح بها بلطف على ذراعي، وعلى شفتيه دعوات خفيّة قد طوّل فيه، ثم قال مجهراً:

بسم الله الرحمن الرحيم.

وبعدها التفت (عليه السلام) إلى ابن عمي أحمد بن إسحاق وهو يقول:

يا ابن إسحاق، كان جدي علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول: بسم الله الرحمن الرحيم أقرب من الإسم الأعظم من بين العين إلى سوادها، ثم توجه (عليه السلام) إليّ وقال: يا عيسى.

عيسى: نعم يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام): أدخِل يدك يا عيسى في كمّك ثم أخرجها.

عيسى: سمعاً وطاعةً، فأدخلت يدي في كمّي ثم أخرجتها، فإذا ليس فيها قليل ولا كثير، وكأن لم يكن بها شيء، فحمدت الله تعالى على العافية، وشكرته على نعمة الإمامة والولاية، وتشكرت من مولاي أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وودّعته مع ابن عمي، وانصرفنا سالمين غانمين[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٥٢ ح٥٨ عن مدينة المعاجز، بتصرف.

تفقد الإخوان

من المعروف أن المراسلة بين الأرحام والأقرباء، والإخوان والأصدقاء، كما في الروايات، هي نصف المزاورة، يعني أن للمراسلة من الأهمية بقدر تجعلها في الأجر والثواب وإيجاد العلقة والألفة بين المتراسلين والمتكاتبين، بمقدار نصف ما للمزاورة من تلك الفوائد، والإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) من هو القدوة والأسوة في كل خير وفضيلة، والسبّاق إلى كل مكرمة وحسنة، ومن بينها فضيلة التزاور والتراسل، والتفقد عبرها عن أحوال الأقرباء والأرحام، والإخوان والأصحاب.

فلننظر إلى واحدة من تلك المراسلات، لنرى ما هي ميزتها على غيرها من مراسلات سائر الناس؟

يحدثنا كتاب (الخرائج)، وكذلك (ثاقب المناقب) عن أحمد بن هارون المؤدِّب، أنه قال:

كنت جالساً أعلّم غلاماً من غلمان الإمام الهادي (عليه السلام) في مفازة داره، إذ دخل (عليه السلام) علينا وهو على فرس له، فقمنا احتراماً له، فسبقنا لتواضعه (عليه السلام) بالنزول ونزل قبل أن ندنو منه، وأخذ عنان فرسه بيده وعلّقه في طنب من أطناب مفازة الدار، ثم أقبل (عليه السلام) إلينا، وبعد تبادل التحية والسلام، جلس معنا يحدثنا ويسأل عن أحوالنا، ثم أقبل بوجهه إلي

وقال:

متى رأيك يا أحمد أن تنصرف إلى المدينة؟

أحمد: الليلة يا أبا الحسن.

الإمام الهادي (عليه السلام): إذن أكتب كتاباً معك، توصله إلى فلان.

أحمد: نعم، أنا في خدمتكم.

الإمام الهادي (عليه السلام): شكر الله سعيك، ووفّقك لكل خير.

أحمد: ثم إنه (عليه السلام) طلب الدواة والقرطاس لأجل كتابة الرسالة وقال وهو يخاطب الغلام: يا غلام هات بالدواة والقرطاس.

ذهب الغلام لتحضير ذلك، وفي غيابه صهل الفرس وضرب بيده الأرض، فكلّمه الإمام (عليه السلام) بما معناه: ما هذا القلق؟ فصهل ثانية وضرب بيده الأرض، فقال له (عليه السلام) بما مفهومه: اصبر فإني أريد أن أكتب كتاباً إلى المدينة، فصهل ثالثة وهو يضرب الأرض بيده، فكلّمه (عليه السلام) بما تفسيره: اقلع عنانك من الطنب وامض إلى ناحية وتخلّ.

وإذا بالفرس يرفع رأسه ويخرج العنان من موضعه ثم يذهب ناحية ويروث ويعود إلى مكانه.

أحمد ـ وهو متعجب من ذلك أشد التعجب ـ يقول: لقد دخلني من ذلك ما الله تعالى به عليم، ووسوس الشيطان في قلبي.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يتداركني ويخاطبني بقوله: يا أحمد لا يعظم

عليك ما رأيت، إنما أعطى الله محمداً وآل محمد أكثر مما أعطى داود وآل داود.

أحمد: صدقت يا ابن رسول الله، فهل تخبرني عما جرى بالتفصيل؟

الإمام الهادي (عليه السلام): نعم، إن الفرس قال أولاً: قم فاركب أوصلك إلى البيت، فأجبته بقولي: ما هذا القلق. فقال ثانياً: قلقي لا ينتهي حتى أوصلك، فقلت: لي حاجة فإني أريد أن أكتب رسالة إلى المدينة، فقال ثالثاً: أريد أن أروث وأكره أن يكون بين يديك، فقلت: اذهب إلى ناحية وافعل ما أردت ثم عد إلى مكانك، ففعل كما قلت له.

وعند ما جاء الغلام بالدواة والقرطاس كانت الشمس قد غابت عن الأفق، وكان الظلام قد بدأ ينشر أجنحته السوداء في المشرق والمغرب، فأخذ (عليه السلام) في الكتابة بعد أن شكر الذي أحضرها، حتى حال الظلام فيما بيني وبينه، وصرت لم أر الكتاب بعد ذلك، وظننتُ أنه قد أصابه الذي أصابني، فالتفتُ إلى الغلام وقلت:

قم، فهات شمعة من الدار، حتى يُبصر (عليه السلام) كيف يكتب.

الغلام: على الرأس والعين، وعند ما همّ ليقوم، توجه (عليه السلام) إلينا وقال:

جزاكم الله خيراً، لا حاجة لي إلى ذلك، فليجلس مشكوراً.

ثم أخذ (عليه السلام) يواصل كتابته، حتى كتب كتاباً طويلاً ثم قطعه والتفت إلى الغلام قائلاً:

خذ هذا الكتاب وأصلحه.

الغلام: سمعاً وطاعة.

ثم أخذه وخرج إلى المفازة ليصلحه، حتى إذا أكمل إصلاحه عاد به إليه (عليه السلام) وناوله إياه ليختمه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يتناول الكتاب منه، فيختمه من دون أن ينظر في ختمه هل وقع مستوياً أو مقلوباً، ثم ناولني إياه وقال:

أخرج به محموداً مشكوراً.

أحمد: تناولت الكتاب من يده الكريمة، وقبّلتها مُعلِماً بالوداع والانصراف، ولكن في الأثناء عرض في قلبي أن أصلي المغرب والعشاء قبل أن أخرج من المفازة وآتي المدينة.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيبني على تحية الوداع، ويأذن لي في الانصراف، ويخبرني عما عرض في قلبي بقوله:

يا أحمد، فكّرت أن تصلي قبل أن تأتي المدينة، لا ولكن صلي المغرب والعشاء الآخرة في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) فإذا فرغت من صلاتك فاطلب الرجل في الروضة المباركة، فإنك ستوافيه هناك، إن شاء الله تعالى.

أحمد: سمعاً وطاعة، ثم خرجت مبادراً حتى إذا وصلت المدينة أتيت المسجد النبوي الشريف وقد نودي للعشاء الآخرة، فصليت المغرب ثم صليت العتمة، وبعد الانصراف من الصلاة رحت أطلب الرجل الذي وصفه الإمام

الهادي (عليه السلام) لي، فوجدته في الموضع الذي أمرني به، فتقدمت إليه وسلّمت عليه وحييته بتحية الإسلام، وأبلغته سلام أبي الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام) وأعطيته الكتاب.

الرجل - وهو يبتهج سروراً وفرحاً، يجيب تحيّتي ويردّ على سلام أبي الحسن (عليه السلام) ويشكرني على ذلك، ثم يفضّ الكتاب ليقرأه، فلم يستبن قراءته في ذلك الوقت، لظلام الليل، فدعا بسراج ثم توجه إلي قائلاً:

يا أخي، أقرأه عليّ.

أحمد - وكنت متلهفاً إلى قراءة الكتاب ورؤية ختمه، لأرى استواءهما من عدمه، حيث إنه (عليه السلام) كتبه وختمه في الظلام، فلذلك أخذت الكتاب منه بشوق واحترام وقلت:

نعم يا أخي، أنا أقرؤه عليك.

ثم بدأت في قراءته تحت ضوء السراج بالمسجد، فإذا هو خط مستوٍ غاية الاستواء، جميل أقصى الجمال، ليس في حروفه اشتباه ولا التصاق، ولا غموض ولا اضطراب، والختم أيضاً كذلك مستوٍ ليس بمقلوب، حتى إذا أتيت على آخره، التفت إليّ الرجل شاكراً وهو يقول:

أشكرك يا أخي على سعيك، وأرجو منك أن تأتيني غداً لأسلّمك الجواب.

أحمد: فأتيته غداً وقد كتب الجواب فأخذته وودّعته منصرفاً.

ثم أقبلت بالجواب إلى الإمام الهادي (عليه السلام) حتى إذا قدمت عليه وتشرفت بلقائه، حييته بتحية الله وسلمت إليه الجواب.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يستلّم الجواب مني، ويجيب على تحيتي بأحسن منها، ويخبرني عن قصتي بقوله:

أليس وجدت الرجل يا أحمد حيث قلت، ورأيت الخط والختم مستويان؟

أحمد: نعم يا أبا الحسن.

الإمام الهادي (عليه السلام): أحسنت يا أحمد، جزاك الله خيراً[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٥٨ ح٧٤، عن الخرائج وثاقب المناقب، بتصرف.

القسم الثاني

من أقسام الظاهرة الإعجازية :

علمه (عليه السلام) بالغيب و الماورائيات

شواهد من علمه (عليه السلام) بالغيب و الماورائيات

العلم بالغيب معجزة

إن من المعجزات التي تميز بها المعصومون الأربعة عشر (عليهم السلام) بمن فيهم الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) عن سائر الناس: هو معجزة علمهم بالغيب واطلاعهم على الماورائيات، وذلك بإذن الله تعالى، إذ علم الغيب خاص بالله سبحانه فهو وحده العالم بالذات بكل ما كان وما هو كائن وما سوف يكون إلى يوم القيامة، وإلى ابد الأبد، لكنه تعالى قد يُطلع من ارتضاه من عباده على غيبه، ويختارهم للعلم به والوقوف عليه، كما قال عزوجل مخاطباً رسوله الكريم: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾[1]. وكما قال سبحانه أيضاً: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۝ إِلاَ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[2].

هذا مضافاً إلى ما جعل الله تعالى لهم من الولاية التكوينية والتصرف بإذنه سبحانه في أمور الكون، ومن جملة التصرفات الكونية هو: اطلاعهم على الأمور الغيبية.

بالإضافة إلى أن هناك في أصول الكافي روايات شريفة تقول ما مضمونه:

---

(١) سورة هود: ٤٩.

(٢) سورة الجن: ٢٦ و٢٧

إن لكل واحد من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ـ بل لكل من المعصومين الأربعة عشر ـ عموداً من نور، يرى فيه كل ما يريد العلم به والاطلاع عليه.

وذلك كما عن محمد بن مروان، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ: «إِنَّ الْإِمَامَ لَيَسْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، فَإِذَا وُلِدَ خُطَّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] فَإِذَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ عَمُوداً مِنْ نُورٍ يُبْصِرُ بِهِ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ كُلِّ بَلْدَةٍ»[2].

وعليه: فإن الله تعالى قد أطلع رسوله الكريم على الغيب، وأمره أن يُطلع أهل بيته: فاطمة الزهراء (عليها السلام) والأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) على ما أطلعه الله عليه أيضاً، فهم (عليهم السلام) إذن: يعلمون الغيب لكن بالعرض والواسطة، لا بالكنه والذات، وها هي شواهد على ذلك:

---

(١) سورة الأنعام: ١١٥.

(٢) الكافي: ج١ ص٣٨٧ ح٤.

متى ينتظرون الفرج؟

يحدثنا كتاب "تاريخ سامراء" نقلاً عن الاختصاص والبحار، عن الإمام أبي الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام) عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

لما أسري بي إلى السماء الرابعة، نظرت إلى قبة من لؤلؤ، لها أربعة أركان كلها من استبرق أخضر.

قلت: يا جبرائيل ما هذه القبة التي لم أر في السماء الرابعة أحسن منها؟

فقال: حبيبي محمد، هذه صورة مدينة يقال لها: قم، تجتمع فيها عباد الله المؤمنون، ينتظرون محمداً وشفاعته للقيامة والحساب، يجري عليهم الهمّ والغمّ، والأحزان والمكاره.

قال: فسألت الإمام الهادي أبا الحسن علي بن محمد العسكري (عليه السلام) متى ينتظرون الفرج؟

قال: إذا ظهر الماء على وجه الأرض[1].

ولعل هذا إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[2].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٥.

(٢) سورة الملك: ٣٠.

حيث جاء في تفسيرها بغيبة الإمام المعصوم[١] وظهوره، فيكون المعنى: إذا ظهر الإمام الموعود (عجل الله تعالى فرجه، وسهل مخرجه) إن شاء الله تعالى.

المطالبة بالدفتر

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن "بصائر الدرجات"، عن علي بن راشد أنه قال: قدمتْ عليّ أحمال فيها كتب.

فأتاني رسول أبي الحسن الهادي (عليه السلام) قبل أن أنظر في الكتب وأبلغني أن أُوجهه بها إليه، قائلاً: سرّح إلي بدفتر كذا.

تعجبت من رسالة الرسول، حيث إنه لم يكن عندي في منزلي دفتر أصلاً، لكني قمت أطلب ما لا أعرف، بالتصديق له، فلم أعثر على شيء وأيست منه.

عندها توجهت نحو الرسول وأخبرته بالخبر، فودّعني وعزم على الرجوع.

وفور ما أقدم الرسول على العودة وغادرني بخطوات، تذكرت الأحمال التي وصلتني واحتملت وجود ما أرسل الإمام الهادي (عليه السلام) في طلبه فيها، فناديته برفيع صوتي: مكانك مكانك.

توقف الرسول عند ما سمع ندائي وعاد إليّ ليرى ما الخبر؟

---

(١) تفسير البرهان: ج٤ ص٣٦٧.

فأقبلت عليه وقلت له: تذكّرت الأحمال التي قدمتْ عليّ، واحتملت وجود الدفتر فيها، فاسمح لي قليلاً حتى أبحث عنه فيها.

الرسول: نعم، تفضل وإذا كنت بحاجة إلى مساعدة، ساعدتك في هذه المهمة.

ابن راشد: يشكر الرسول على تفضله ويقول له: شكراً، الأمر بسيط وسأقوم به لوحدي ولا أزاحمك فيه إن شاء الله تعالى.

ثم بدأ ببعض الأحمال وفحص فيها عن الدفتر وأخذ يقول: فحللت بعض الأحمال فتلقاني دفتر لم أكن أعلم به، إلا أني علمت أنه (عليه السلام) لم يطلب إلا حقاً، فأخذته ووجهت به إليه، وكان هو الدفتر الذي طلبه وأراده[1].

الدواء النافع

يحدثنا العلامة المجلسي في البحار أيضاً عن الإرشاد والكافي، عن محمد بن علي قال: أخبرني زيد بن علي بن الحسين بن زيد، قائلاً: مرضت واشتد بي المرض، فدعوا لي الطبيب، فدخل علي ليلاً وأجرى الفحوصات اللازمة لي، ثم وصف لي دواءً آخذه في السحر كذا وكذا يوماً، وودّعني وخرج.

واصل زيد كلامه وهو يقول: كان الألم شديداً وكنت ألتوي بنفسي من

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٠ ح٩، عن بصائر الدرجات، بتصرف.

شدته، لذلك كنت بأمس الحاجة إلى الدواء، ولكن حيث إن الليل كان قد أدلى بظلامه وأرخى سدوله على الكون، لم يمكّني تحصيله، فأيست من الوصول إليه، وفكّرت في أن أصبّر نفسي حتى يأتي علي الصباح.

في هذه الدوامة: من مقاساة المرض ومعاناة الفكر في تحصيل الدواء، وإذا به يسمع أحداً من أصحاب الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) يطرق الباب ويطلب الإذن في أن يدخل عليه، فيأذن له.

صاحب الإمام ـ يدخل عليه وهو يقول: السلام عليكم ورحمة الله.

زيد: يجيب سلامه قائلاً: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. أهلاً ومرحباً بكم.

صاحب الإمام: لقد خصّكم الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) بالتحية والسلام، والدعاء بالشفاء، وقد أرسلني إليكم بأمانة لأوصلها إليكم فوراً، لأنه قال: إنكم بأمسّ الحاجة إليها، وأوصاني بأن تأخذوا ما فيها كذا يوماً، ثم سلّم الأمانة إليه وكانت في صرة.

زيد ـ يتنبأ بكون الأمانة دواءً، فيفرح ويقول: وعلى سيدي ومولاي الإمام الهادي علي بن محمد السلام والثناء، نعم إن كانت الأمانة دواءً فكما أخبر (عليه السلام) وقال: فإني بأمس الحاجة إليها.

ثم إن زيداً يفتح الصرّة وإذا به يرى فيها نفس الدواء الذي وصفه الطبيب له، فيشكر مبعوث الإمام الهادي (عليه السلام) ويسأله إبلاغ شكره وتحياته إليه.

صاحب الإمام ـ يستأذن زيداً في الانصراف ويقول: أستودعكم الله وأسأل لكم العافية والشفاء.

زيد ـ يعقب كلامه بقوله: في أمان الله وحفظه، وأهلاً ومرحباً بكم.

ثم يقول: فشربت الدواء فبرأت من مرضي فوراً والحمد لله[1].

اجمع أمرك

قال العلامة المجلسي في بحاره: روي عن محمد بن الفرج، أي الرخجي ـ كما وصفه في الإرشاد، فهو أخو عمر بن الفرج، وهو من أعاظم أصحابنا، بعكس أخيه الذي كان من ألدّ أعدائهم (عليهم السلام) ـ سكن بغداد في الجانب الغربي منه، ثم خرج إلى سامراء وقبض بها.

قال: إن أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) كتب إليّ رسالة جاء فيها:

اجمع أمرك وخذ حذرك.

قال: فأنا مشتغل في جمع أمري وإذا بي قد ورد عليّ رسول الخليفة وحملني من مصر مقيداً بالسلاسل مصفداً بالحديد، وضرب على كل ما أملك حجزاً ومصادرة.

قال: فمكثت في السجن ثماني سنين، ثم ورد علي كتاب منه (عليه السلام)

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٠ عن الإرشاد والكافي، بتصرف.

وأنا في السجن يقول: لا تنزل في ناحية الجانب الغربي.

وهنا يواصل ابن الفرج كلامه ويقول: قرأت الكتاب وتعجبت وقلت في نفسي متمتماً: يكتب إليّ أبو الحسن الهادي (عليه السلام) بهذا وانا في السجن، إن هذا لشيء عجيب؟ لا ليس عجيباً فلعله (عليه السلام) يخبرني عن إطلاق سراحي والإفراج عني.

وهكذا كان، فإنه قال: فما مكثت بعد أن وصلتني رسالة الإمام الهادي (عليه السلام) إلا أياماً قليلة، ومدة يسيرة، حتى أُفرج عني وحلّت قيودي وخلّي سبيلي، وأطلق سراحي والحمد لله رب العالمين.

ثم إنه لما أطلق سراح محمد بن الفرج ورجع من التبعيد إلى العراق، لم يقف ببغداد، وإنما خرج منها إلى سامراء امتثالاً لما أمره به الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام).

وهنا لا بأس بأن نستمع إليه وهو يحدثنا ببقية قصته قائلاً:

فكتبت إلى مولاي أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أسأله أن يسأل الله ليرد علي ضياعي وما صادروه من أموالي.

فكتب الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابي: سوف يردّ عليك، وما يضرّك أن لا تردّ عليك.

نعم، كان في الجملة الأخيرة من رسالة الإمام الهادي (عليه السلام) إلى محمد بن الفرج نبؤٌ غيبيٌ خافٍ على ابن الفرج، غير أن من اطلع على الرسالة مثل

علي بن محمد النوفلي، يخبرنا عن قصته قائلاً:

فلما شخص محمد بن الفرج إلى العسكر في سامراء، كتب له بردّ ضياعه وإرجاع ما صودر منه، إلا أنه لم يصل الكتاب إليه حتى أدركته الوفاة.

وهكذا تحقق الأمر الذي أخبر عنه الإمام الهادي (عليه السلام) بقوله: وما يضرك أن لا ترد عليك، إذ خبر الردّ جاء بعد وفاته[1].

نظرات التسليم و التوديع

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار أيضاً نقلاً عن المناقب، عن أبي يعقوب، قال: رأيت محمد بن الفرج قبيل وفاته وهو عند الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) فنظرت وإذا بالإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ينظر إليه نظراً مشبعاً وشافياً، وكأنه نظر وداع وتسليم.

قال أبو يعقوب: فتعجبت من ذلك غير أن تعجبي زال عندما وصلني خبر اعتلال محمد بن الفرج في الغد، قال: فدخلت عليه وسألته عن حاله؟

محمد بن الفرج ـ يجيب علي وهو متوعّك ـ: بخير والحمد لله، غير أني أحس بألم يساورني.

أبو يعقوب ـ وهو يحاول تطييب نفسه وتقوية معنوياته ـ: لم يكن إن شاء الله إلا الخير، مشافى ومعافى، إن شاء الله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤٠ ح٢٥، عن الإرشاد، بتصرف.

محمد بن الفرج ـ قال وهو يشير إلى ثوب قد لبسه تحت ثيابه: يا أبا يعقوب، إن هذا الثوب قد أنفذه إليّ مولاي الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) وقد لبسته تحت ثيابي تبركاً.

أبو يعقوب: نعم ما صنعت.

ثم إن أبا يعقوب يواصل كلامه ويقول: فكفّن محمد بن الفرج والله في ذلك الثوب، بعد أن مات بتلك العلة ولم يفق منها، مما ينبئ أن الإمام الهادي (عليه السلام) كان يعرف بإذن الله تعالى اقتراب وفاة محمد بن الفرج، وقد أشار إلى علمه بذلك مرتين: مرة عند ما أشبع نظره منه، وأخرى عند ما أرسل إليه ثوبه المبارك ليكون كفناً له[1].

أنباء وأحداث

وروى العلامة المجلسي في البحار، نقلاً عن الخرائج قائلاً:

روي عن خيران الأسباطي أنه قال: قدمت المدينة فدخلت على الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وسلمت عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على تحيته وسلامه ثم يقول له متسائلاً: ما فعل الواثق؟ هل لك خبر منه؟

الأسباطي: نعم يا سيدي، تركته حين خرجت وهو في عافية.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤٠ ح٢٤، عن المناقب، بتصرف.

الإمام الهادي (عليه السلام): وهل لك خبر عن جعفر المتوكل وما يفعله؟

الأسباطي: نعم يا مولاي يا ابن رسول الله، لقد تركته عند خروجي وهو أسوأ الناس حالاً في السجن.

الإمام الهادي (عليه السلام): وهل لك خبر بما يفعله ابن الزيات؟

الأسباطي: نعم يا سيدي، تركته منذ خروجي والأمر أمره.

ثم يواصل الأسباطي كلامه ويقول: هذا وكان قد مرّ على خروجي عشرة أيام.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجمع في كلامه أخبار الثلاثة ويقول للأسباطي: اعلم يا أخي بأنه قد مات الواثق، وقعد المتوكل جعفر مكانه، وقتل ابن الزيات.

الأسباطي: ينذعر من هذه الأحداث المباغتة ويتساءل بتعجب: متى حدث كل ذلك يا ابن رسول الله؟

الإمام الهادي (عليه السلام): لقد حدث ذلك كله بعد خروجك بستة أيام.

الأسباطي: بقيت أنتظر وصول الأنباء، ثم جاء الخبر عن تلك الأحداث التي ذكرها الإمام الهادي (عليه السلام)، فكان كذلك كما أخبر به (عليه السلام) [1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥١ ح٣٧، عن الخرائج، بتصرف.

ليس كما تقول

وجاء في إثبات الوصية بإسناده عن الحِمْيري، عن خيران الأسباطي الخادم، مولى قراطيس أم الواثق، أنه قال:

حججت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وقصدت المدينة المنورة زائراً، ثم دخلت على الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) زائراً له.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إليه ويرحّب به ويقول متسائلاً: ما حال صاحبك، يعني به الواثق؟

خيران يجيب قائلاً: إنه وجع ولعله قد مات.

الإمام الهادي (عليه السلام): إنه لم يمت، ولكنه لما به ولا يلبث حتى يموت، ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه ويقول: فمن يقال خَلَفه ومن هو المرشح بعده يا خيران؟

خيران: هو ابن الواثق.

الإمام الهادي (عليه السلام): الناس يزعمون أنه جعفر المتوكل وليس ابن الواثق.

خيران: كلا، وإنما هو ابن الواثق.

الإمام الهادي (عليه السلام) يردّ على خيران بقوله: إنه ليس كما تقول انت، بل هو كما أقوله لك.

خيران يستسلم لكلام الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: صدق الله ورسوله وابن رسوله، ثم يقول: وكان كما قال (عليه السلام) لا كما قلت أنا[١].

حوائجك مقضية

وتحدث لنا العلامة المجلسي في بحاره عن المناقب قائلاً:

وجّه المتوكل العباسي عتّاب ابن أبي العتاب إلى المدينة وأمره أن يحمل الإمام أبا الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام) إلى سامراء، وكان عتاب يسمع الشيعة يتحدثون عن الإمام الهادي (عليه السلام) ويقولون: إنه يعلم الغيب.

وفي نفس عتّاب من ذلك شيء.

عتّاب يقول: فلما حملت الإمام الهادي (عليه السلام) وانفصلنا من المدينة، رأيته (عليه السلام) وقد لبس لبّادة، وهو قباء من لبد يُلبس وقاية من البرد والمطر، وكانت السماء صاحية وليس فيها أثر للسحاب والغيوم، فتعجبت في نفسي وقلت له: تلبس اللبادة والسماء صاحية؟

الإمام الهادي (عليه السلام): ستعرف بعد قليل سرّ ذلك يا عتاب.

عتّاب يقول: فما أن توسطنا الصحراء حتى تغيمت السماء وأمطرت، فلما رأيت ذلك قلت: هذا واحد.

---

(١) إثبات الوصية: ص٢٢٤، بتصرف.

ثم سرنا حتى وافينا شط القاطول ـ وهو موضع على دجلة ـ فرآني الإمام الهادي (عليه السلام) متعلق القلب مضطرب البال، فالتفت (عليه السلام) إليّ وقال: ما لك يا أبا أحمد قلقاً مضطرباً؟

عتّاب: قلبي مقلق وفكري مضطرب لحوائج التمستها من المتوكل ولا أعرف ما يكون مصيرها؟

الإمام الهادي (عليه السلام) كن هادئ البال مرتاح الفكر، فإن حوائجك قد قُضيت.

عتّاب: فما كان بأسرع من أن جائتني البشرى بقضاء حوائجي التي التمستها من المتوكل، عندها التفتُّ إلى الإمام الهادي (عليه السلام) وقلت له: سمعت الناس يقولون إنك تعلم الغيب وكان في نفسي من ذلك شيء، ولكن الآن قد ثبت لي ذلك، حيث قد رأيت بأم عيني من علمك بالغيب خلّتين ضمن مطلبين: نزول المطر وقضاء الحوائج[1].

يوشك أن يكون هو الإمام

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار أيضاً، عن علي بن مهزيار، قال: وردت العسكر وأنا شاك في الإمامة، فرأيت السلطان قد خرج إلى الصيد في يوم من أيام الربيع، إلا أنه صائف، والناس عليهم ثياب الصيف، ورأيت الإمام

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٣ ح٥٣، عن المناقب، بتصرف.

الهادي أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) وعليه لبّادة وعلى فرسه تجفاف لبود، وقد عقد ذنب فرسه، وذلك بخلاف ما كان عليه الناس جميعاً، ورأيت الناس يتعجبون منه ويقولون: ألا ترون إلى هذا المدني وما قد فعل بنفسه؟

ابن مهزيار ـ يتعجب كبقية الناس مما فعله الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول في نفسه:

لو كان هذا إماماً لما فعل هذا.

لكن سرعان ما ينكشف له وللناس خطأهم واشتباههم في الذي ظنوه بالإمام الهادي (عليه السلام) من سوء، إذ فور ما توسط الناس الصحراء وأحاطتهم البرية القفراء من كل جانب، لم يروا أنفسهم إلا وقد ارتفعت فوق رؤوسهم سحابة سوداء عظيمة، وأظلتهم غيوم دكناء كثيفة، ثم هطلت عليهم بغزارة، فلم يبق أحد من الناس إلا وابتلّ حتى غرق بالمطر، بينما عاد الإمام الهادي (عليه السلام) وهو سالم من جميع ذلك، لم يمسه البرد ولا المطر بسوء ولا أذى.

ابن مهزيار ـ يندم على ما ظنه بالإمام الهادي (عليه السلام) من سوء ويقول في نفسه: يوشك أن يكون هو الإمام.

ثم يفكر في أن يسأل الإمام الهادي (عليه السلام) عن الجنب إذا عرق في الثوب، ويقول في نفسه: إن كشف وجهه فهو الإمام حقاً.

ثم يواصل ابن مهزيار كلامه ويقول بإيمان وعزم: فما راعني إلا والإمام

الهادي يقترب مني، فلما أن صار بإزائي كشف عن وجهه والتفت إليّ وأخذ يخبرني عما فكرت في نفسي من السؤال حول الجنب إذا عرق قائلاً:

إن كا عرق الجنب في الثوب وجنابته من حرام فلا يجوز له الصلاة فيه، وإن كانت جنابته من حلال فلا بأس به.

ابن مهزيار ـ وقد اطمأن إلى إمامة الإمام الهادي (عليه السلام) لما قد رأى منه من معجزات يقول: فلم يبق لي في نفسي بعد ذلك بالنسبة إلى إمامته (عليه السلام) شك ولا شبهة[1].

إن موعدهم الصبح

وفي تاريخ سامراء عن علي بن يقطين بن موسى الأهوازي، قال: كنت رجلاً أذهب مذاهب المعتزلة، وكان يبلغني من أمر الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ما استهزؤ به ولا أقبله، فدعتني الحال إلى دخولي سامراء للقاء السلطان فدخلتها.

فلما كان يوم وعد السلطان، أمر الناس أن يركبوا الميدان، فلما كان من الغد ركب الناس في غلائل القصب وبأيديهم المراوح.

لكن الإمام أبا الحسن الهادي (عليه السلام) ركب في زي الشتاء وعليه لبّادة وبرنس، وسرجه بخناق طويل، وقد عقد ذنب دابته، والناس يتعجبون منه

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٣ تتمة ح٥٣، عن المناقب، بتصرف.

ويهزؤون بذلك.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إليهم ويقول في جوابهم:

ألا إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟

ابن يقطين الأهوازي يقول: فلما سار الركب وتوسطوا الصحراء وجاؤوا بين الحائطين، ارتفعت سحابة سوداء وأرخت السماء عزاليها، وخاضت الدواب إلى رُكبها في الطين وتلوثت أذنابها، فرجع الناس في أقبح زيّ، ورجع الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) في أحسن زيّ وصورة، لم يصبه شيء مما أصاب الناس من سوء وأذى.

الأهوازي يقول: عندها قلت: إذا كان الله عزوجل قد أطلعه على هذا السر، فهو حجة الله والإمام[1].

سمّه محمداً

ويروي العلامة المجلسي في البحار، عن كشف الغمة، عن أيوب بن نوح أنه قال:

كتبت إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) رسالة وأخبرته فيها بأن لي حملاً، وسألته أن يدعو الله أن يرزقني ابناً.

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب إليه في جوابه: نعم، إذا وُلد فسمّه محمداً.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٦٠ ح٧٧، بتصرف.

أيوب بن نوح يقول: فولد لي ابن، فشكرت الله تعالى على ذلك، وسميته محمداً، امتثالاً لأمر مولاي الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) [١].

رب ابنة خير من ابن

وفي البحار أيضاً قال: وكان ليحيى بن زكريا حمل، فكتب إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) رسالة يخبره فيها بذلك، ويسأله أن يدعو الله له بأن يرزقه ابناً.

الإمام الهادي (عليه السلام) يردّ عليه جواب كتابه برسالة خاصة جاء فيها:

رب ابنة خير من ابن.

يحيى بن زكريا وهو يترقب وضع الحمل يقول: فكان كما كتب (عليه السلام) إليّ، حيث إن زوجتي ولدت لي ابنة، فشكرت الله تعالى وحمدته على ذلك[٢].

يكفيك الله أمره

وجاء في البحار أيضاً، عن أيوب بن نوح أنه قال:

كتبت إلى مولاي الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) الشكوى التالية:

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٧، عن كشف الغمة، بتصرف.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٧، عن كشف الغمة، بتصرف.

سيدي ومولاي يا أبا الحسن يا ابن رسول الله، لقد تعرّض لي بالأذى والسوء جعفر بن عبد الواحد القاضي، في الكوفة، وأنا أشكو إليك ما ينالني منه من الأذى، فاسأل الله أن يكفيني أذاه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب إليه في جوابه:

لا ضير عليك، إن الله يكفيك أمره إلى شهرين.

أيوب بن نوح يقول: وكان كما أخبر الإمام الهادي (عليه السلام) فإنه قد تم عزل القاضي عن الكوفة بعد شهرين واسترحت منه والحمد لله رب العالمين[1].

ادفع له أربعمائة درهم

وفي كتاب "تاريخ سامراء"، عن أمالي الشيخ الطوسي، عن مقبل الديلمي، أنه قال:

كنت جالساً على باب بيتنا بسامراء، ومولانا الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) راكب في دار المتوكل، فجاء الفتح القلانسي وكانت له خدمة للإمام الهادي (عليه السلام) فجلس إلى جانبي وفاتحني الكلام بعد التحية والسلام.

الفتح القلانسي - يلتفت إلى مقبل الديلمي ويقول: إن لي على مولانا أربعمائة درهم، فلو أنه أعطانيها لأنفقت بها على نفسي وعيالي.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٧، عن كشف الغمة، بتصرف.

الديلمي ـ وهو يستوضحه في كيفية صرف النفقة ويقول له: وما أنت صانع بها؟

القلانسي ـ يشرح له نفقته بقوله: اشتري بمائتي درهم قماشاً يكون في يدي أعمل منه قلانس، ومائتي درهم اشتري به تمراً فأنبذه نبيذاً، خمراً مسكراً.

الديلمي ـ يستنكر عليه صنعه للخمر والنبيذ وشربه لها، فيعرض عنه بوجهه ولم يكلّمه بعد ذلك.

ثم يواصل الديلمي كلامه ويقول: فأقبل الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) بعد ذلك في حين أنه لم يكن ولم يسمع ما جرى بيني وبين القلانسي، بل لم يسمعه أحد غيري وغيره، فلما بصرت به قمت قائماً، فأقبل (عليه السلام) حتى نزل بدابته في دار الدواب وهو مقطّب الوجه، أعرف القطب في وجهه.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو ينزل من دابته ويقول: يا مقبل، ادخل فأخرج أربعمائة درهم وادفعها إلى الفتح وقل له: حقك فخذه فاشتر منه قماشاً بمائتي درهم، واتق الله فيما أردت أن تفعله بمائتي درهم الباقية.

الديلمي ـ وهو يمتثل ما أمره به الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول:

فأخرجت المبلغ ودفعته إلى الفتح وحدثته بالقصة وذكرت له كلام الإمام (عليه السلام) وإخباره عن نيته ونهيه عن منكره.

الفتح ـ وهو ينفعل ويخجل من ذلك وتجري دموعه على خديه ويقول: اشهد لي عند مولاي بأني والله تائب ولا أشرب نبيذاً ولا مسكراً بعد هذا

أبداً[١].

الجواب بلا سؤال

وفي كتاب "تاريخ سامراء" أيضاً، عن ثاقب المناقب، عن موسى بن جعفر البغدادي، قال:

كانت لي حاجة ملحة، أحببت أن أكتب بها إلى الإمام الهادي أبي الحسن (عليه السلام) فأقبلت إلى محمد بن علي بن مهزيار، وسألته أن يرفق طلبي مع طلبه، وأن يكتب في كتابه إلى الإمام الهادي (عليه السلام) بحاجتي أيضاً.

ابن مهزيار ـ يستجيب لطلب البغدادي ويقول له: سمعاً وطاعةً، غير أني لم أكتب في رسالتي إليه (عليه السلام) حاجتك بالاسم، وإنما جعلت مكان ذكر حاجتك بياضاً.

البغدادي ـ وهو يلوّح له يده علامة للشكر ويقول: أشكرك كثيراً، أرجوك أن تخبرني عن حاجتي وطلبتي فور وصول جواب الإمام الهادي (عليه السلام) إليك.

ابن مهزيار: إن شاء الله تعالى.

البغدادي ـ وهو ينتظر الجواب بفارغ الصبر يقول: وبعد أيام ورد الكتاب بحاجتي مفسراً، والحمد لله أولاً وآخراً[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٥١ ح٥٦.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٦١ ح٧٨، بتصرف.

هو كما أقول

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن كتاب الدلائل للحِمْيري، عن الحسن بن علي الوشاء، قال: حدثتني أم محمد مولاة أبي الحسن الرضا (عليه السلام) بالحير وهي مع الحسن بن موسى، قالت: جاء الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) وقد رعب حتى جلس في حجر أم أبيها بنت موسى.

أم أبيها ـ وهي تتلطف به وتتعطف عليه وتقول: ما لك يا سيدي؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكفكف دموعه بيديه الكريمتين ويقول: مات أبي والله الساعة.

أم أبيها ـ وقد ثقل عليها هذا النبأ الأليم تقول: يا سيدي ومولاي لا تقل هذا.

الإمام الهادي (عليه السلام) يؤكد ذلك بقوله: هو والله كما أقول لك، وأن الخبر كما أخبرتك به.

ثم إنهم كتبوا تاريخ ذلك اليوم، فجاءت الرسالة بارتحال الإمام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) مسموماً شهيداً في ذلك اليوم[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٥ تتمة ح ٥٥، بتصرف.

مضى أبو جعفر

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره أيضاً، عن بصائر الدرجات، عن هارون بن الفضل، قال:

رأيت الإمام أبا الحسن الهادي (عليه السلام) في اليوم الذي استشهد فيه والده أبو جعفر الجواد (عليه السلام) وهو حزين كئيب ويقول:

إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد مضى الإمام أبو جعفر الجواد (عليه السلام).

فقيل له: وكيف عرفت ذلك يا ابن رسول الله؟

قال: تداخلني لله تعالى ذلة لم أكن أعرفها من ذي قبل[1].

تمني الطبري خاتماً

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره عن الخرائج، عن أبي محمد الطبري أنه قال:

تمنّيتُ أن يكون لي خاتم من عند الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، لكني لم أتفوّه بذلك ولم أقل لأحدٍ شيئاً.

الإمام الهادي (عليه السلام) يبعث بدرهمين مع نصر الخادم إليه، ليصوغ به خاتماً له، تحقيقاً لأُمنيّته، وإجابةً لمراده.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٦ ح١٦، عن بصائر الدرجات، بتصرف.

الطبري يقول: شكرتُ النصر وشكرت الإمام الهادي (عليه السلام) على هديته. وصُغتُ لي خاتماً بذلك، فاتفق أن دخلت على أصدقاء لي وكانوا يشتغلون بشرب الحرام فأغروني بالمشاركة معهم.

ثم يواصل الطبري كلامه ويقول: كان الخاتم ضيقاً في إصبعي ولا يمكنني إدارته للوضوء، ولكن مع هذه الحال أصبحت بعد ذلك يوماً وقد افتقدته، فعرفت أنه قد حرمت منه بسبب ارتكاب شرب الحرام، فتبت إلى الله تعالى من ذلك وعزمت على عدم تكراره ومقاطعة أولئك الأصدقاء[1].

رصد المتوكل أموال قم

أموال قم هي مجموع الأخماس والزكوات والهدايا التي كان يبعثها أهل قم مع أسئلتهم الشرعية، كسائر أهالي البلدان التي يقطنها الشيعة، إلى الإمام المعصوم الذي يعاصرونه، وذلك عملاً بما فرض الله تعالى على المسلمين وجرى عليه الرسول الكريم وأهل بيته المعصومون (عليه وعليهم السلام) من أخذها منهم وأجوبتهم على مسائلهم الشرعية.

وهذا مع أنه فرض إلهي لهم (عليهم السلام) كان يحاربه الحكام ويترصّدونه ويصادرونه، ومن أولئك الحكام: المتوكل، فيأمر برصده ومصادرته، كما جاء ذلك في البحار عن أمالي الشيخ الطوسي، فلننظر كيف يتم ذلك.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٥ ح٤٣، بتصرف.

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره[١]، عن أمالي الشيخ الطوسي، عن المنصوري، عن عم أبيه، أنه قال:

قال لي وزير المتوكل ـ الفتح بن خاقان ـ في يوم من الأيام: إن المتوكل ذكر لي خبر مالٍ يجيء من قم، وقد أمرني أن أرصده وأخبره به، فقل لي: من أي طريق يجيء حتى أجتنبه.

المنصوري يقول: جئت إلى الإمام الهادي (عليه السلام) لأخبره بذلك.

فصادفت عنده من احتشمه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يبتسم إليّ ويخبرني عما جئت إليه ويُطَمئنني عليه بقوله: لا يكون إلا خيراً، والمال يجيء الليلة وليس يصلون إليه، فبت يا منصوري عندنا هذه الليلة.

المنصوري يلبي طلب الإمام (عليه السلام) ويبقى تلك الليلة ضيفاً هناك ثم يقول: فلما كان من الليل وقام (عليه السلام) إلى ورده، قطع الركوع بالسلام والتفت إليّ يخبرني بمجيء المال.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إلى المنصوري قائلاً: قد جاء الرجل ومعه المال، وقد منعه الخادم من الوصول إليّ، فاخرج إليه وخذ ما معه.

المنصوري ـ يمتثل أمر الإمام ويقول: خرجت إلى الرجل فإذا معه وعاء فيه المال، فأخذته ودخلت به إليه.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٢٤ ح٢، بتصرف.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول: اذهب إليه وقل له: هات الجبة التي قالت له المرأة القمية أنها ذخيرة جدتها.

المنصوري يقول: خرجت إليه وطلبت منه الجبة، فأعطانيها، فأخذتها ودخلت بها إليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يرى الجبة فيقول لي: ارجع إليه وقل له: الجبة التي أبدلتها منها ردّها إلينا.

المنصوري يقول: رجعت إليه وقلت له ذلك، فقال: نعم، كانت ابنتي قد استحسنتها فأبدلتها بهذه الجبة، وأنا أمضي فأجيء بها، فرجعت وأخبرت الإمام بذلك.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول لي: أخرج إليه وقل له: إن الله يحفظ لنا وعلينا، هات الجبة من كتفك.

المنصوري يقول: فخرجت إليه وأخرجت الجبة من كتفه، فغشي عليه، فلما أفاق قال لي: قد كنت شاكاً فتيقنت.

القسم الثالث

من أقسام الظاهرة الإعجازية :

علمه (عليه السلام) بجميع اللغات

ومنطق الطير والوحش

أمثلة من علمه (عليه السلام) بجميع اللغات ومنطق الطير والوحش

علم اللغات

يقال: إن كل لسان إنسان، ولعله بمعنى أن كل لغة تمثل في حد ذاتها مجموعة بشرية خاصة، لها ثقافتها المتميزة وعلائقها وشرائطها الخاصة بها، فكل من يعرف لغة ثانية ولساناً غير لسانه، يكون ذا ثقافة أكبر وأوسع، لأنه يُلمّ بثقافة ثانية مضافا إلى ثقافته الأولى.

هذا بالإضافة إلى أن معرفة لغة ثانية ولسان آخر، يجعل الإنسان منتمياً بالتبع إلى أهل ذلك اللسان وأصحاب تلك اللغة، بعد انتمائه إلى قومه وأهل لغته الأصلية بالأصالة.

وحيث إن المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) بمن فيهم الإمام الهادي (عليه السلام) يجمعون في أنفسهم من حيث الثقافة زبدة الثقافات وأرقاها، وأتمها وأكملها، وينتمون من حيث الانتماء الإنساني والبشري إلى كل الناس وجميع البشر، لأنهم (عليهم السلام) قادتهم وأئمتهم، لذلك جاؤوا يعرفون كل اللغات وجميع الألسنة الموجودة لا في الأرض فقط، وإنما في الكون الرحيب كله، وفي العوالم الموجودة جميعها.

كيف لا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[١]، وهم (عليهم السلام) الذين أعطاهم الله علم تسبيحهم ومعرفة لغاتهم،

نعم هم الذين أعطاهم الله تعالى علم جميع اللغات لجميع الخلائق، ولا عجب من ذلك، فإن التاريخ يحدثنا بنماذج من الأمثلة الدالة على ذلك، وأنهم (عليهم السلام) يحيطون بمختلف اللغات والألسنة، ونحن نشير إلى بعض ما جاء في التاريخ منها:

تكلمه عليه السلام باللغة التركية

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن إعلام الورى، بإسناده عن أبي هاشم الجعفري، قائلاً: كنت بالمدينة حين مر بها بغا - و(بغا) اسم من الأسماء التركية، وهو اسم رجل من قواد المتوكل - وكان مروره في أيام الواثق العباسي، وذلك في طلب الأعراب، وكان فيها آنذاك الإمام الهادي (عليه السلام) مقيماً بها.

الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) يلتفت إلى من كان معه ويقول: اخرجوا بنا حتى ننظر إلى تعبية هذا التركي.

الجعفري يقول: فخرجنا ووقفنا في طريقه، فمرت بنا تعبيته، فمر بنا تركي.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إلى ذلك التركي ويكلمه بالتركية كلاماً لم

---

(١) سورة الإسراء: ٤٤.

نعرفه.

التركي وهو يتصاغر أمام عظمة الإمام الهادي (عليه السلام) وينزل من على فرسه متواضعاً وينحني على حافر دابته يقبله.

الجعفري ـ وهو يتعجب مما صنعه التركي، فيلتفت إليه ويحلّفه ليخبره بسبب ما فعله متسائلاً:

ما قال لك الرجل؟

التركي ـ وهو يتصابب عرقاً ويقول: هذا نبي؟

الجعفري ـ يجيب على سؤاله: كلا، ليس هذا بنبي، ولكنه ابن نبي ووصي نبي.

التركي ـ يعترف بذلك ويقول: هو حقاً كذلك، لقد دعاني باسم سمّيت به في صغري في بلاد الترك، ما علمه أحد إلا الساعة[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٢٤ ح١، عن إعلام الورى، بتصرف.

تكلمه عليه السلام بالصقلابية

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره أيضاً عن بصائر الدرجات، عن علي بن مهزيار قائلاً:

أرسلت إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) غلامي في حاجة، وكان صقلابياً، فرجع الغلام إليّ وكان متعجباً أشد التعجب.

ابن مهزيار وهو يلتفت إلى غلامه ويسأله عن تعجبه ويقول: ما لك يا فتاي متعجباً؟ هل كانت هناك قضية أثارت تعجبك؟

الغلام ـ يندفع إلى الكلام بلهفة ويقول: نعم هناك قضية عجيبة قد أثارت تعجبي.

ابن مهزيار ـ وهو يشتاق إلى استماع القضية والاطلاع عليها فيقول بإلحاح: وما هي يا فتاي تلك القضية العجيبة.

الغلام: إن الإمام الهادي (عليه السلام) لما ذهبت إليه وأردت أن أكلمه فابتدأ يكلمني بالصقلابية، وما زال يكلمني بها حتى كأنه واحد منا، مما جعلني أظن أنه إنما دار بينهم وعاش فيهم وفي منطقتهم زماناً طويلاً[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٠ ح١١، عن بصائر الدرجات، بتصرف.

تكلمه عليه السلام بالفارسية

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار أيضاً، عن بصائر الدرجات، عن إبراهيم بن مهزيار قال:

كان الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) قد كتب إلى علي بن مهزيار بأن يعمل له مقدار الساعات، ومقدار الساعات هو جهاز وآلة كان يُعمل في ذلك الزمان لتقدير الوقت وضبط ساعات الزمن، ويكون فيها عدة حصيات، وهي تُلقي في كل ساعة حصاة واحدةً، فيُعلم مقدار مضي الساعات بِعَدّ الحصيات ومقدار عددها.

ابراهيم: فعُمل له ذلك، ولما اكتمل حملناه إليه، وذلك في سنة مائتين وثماني وعشرين للهجرة، فلما صرنا بسيّالة، كتب علي بن مهزيار إليه (عليه السلام) يُعلمه بقدومه ويستأذنه في المصير إليه، وعن الوقت الذي نسير إليه فيه، واستأذن لإبراهيم أيضاً.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكتب لهم بالإذن والمصير إليه بعد الظهر.

إبراهيم يقول: فخرجنا جميعاً إلى أن صرنا إليه في يوم صائف شديد الحر، وكان معنا مسرور الغلام، وهو غلام علي بن مهزيار، فلما دنونا من داره إذا بلال ـ وكان غلاماً للإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ـ ينتظرنا.

بلال ـ يرحب بهم ويشير بيده إليهم علامة على تحيته لهم، ويطلب منهم

الدخول إلى حجرة من حجرات الدار.

إبراهيم: دخلنا الحجرة وكان قد نالنا من العطش أمر عظيم، فجلسنا كاتمين لعطشنا، غير مشافهين به، وما بدأنا نستسقيهم ونطلب منهم الماء، إلاّ أنه لم تمض لحظات على جلوسنا حتى بدأونا بالسقي، إذ خرج إلينا بعض الخدم ومعه قلال من ماء بارد أبرد ما يكون، فشربنا حتى ارتوينا.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يدعو بعلي بن مهزيار ليلتقي به.

علي بن مهزيار ـ وكان يتمنى التشرف بلقاء الإمام (عليه السلام) يقوم مسرعاً ويلبّي دعوته ويحضر عنده، ثم يلبث عند الإمام (عليه السلام) إلى بعد العصر.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يدعو بعد ذلك إبراهيم بن مهزيار للقاء معه.

إبراهيم ـ وهو يترقب شرف اللقاء بالإمام الهادي (عليه السلام) أيضا يدخل عليه ويسلّم ثم يستأذنه في تقبيل يده فيقبلها.

الإمام الهادي (عليه السلام) يدعو إبراهيم إليه ويدنيه منه ويحدّثه قليلاً ثم يأذن له بالمغادرة.

إبراهيم ـ وقد امتلأ سروراً وفرحاً بتحديث الإمام (عليه السلام) له وتقريبه منه، يقول: ثم إني قمت فودعته وخرجت، فلما أن توسطت الدار ناداني (عليه السلام) قائلاً: يا إبراهيم.

إبراهيم ـ يلتفت إلى الوراء ليجيب النداء ويقول: لبيك يا سيدي ومولاي.

الإمام الهادي (عليه السلام) يناديه ويقول له: لا تبرح، كن هاهنا.

إبراهيم: سمعاً وطاعةً يا ابن رسول الله.

ثم بقينا هناك ومسرور غلامنا معنا.

الإمام الهادي (عليه السلام) يأمر بنصب مقدار الساعات، ثم إنه (عليه السلام) يخرج إليهم.

إبراهيم: خرج الإمام الهادي (عليه السلام) إلينا، فجُعل له كرسي فجلس عليه، وجُعل لعلي بن مهزيار كرسي عن يساره فجلس، وقمت أنا بجنب المقدار، فسقطت حصاة من حصيات المقدار، فقد كانت تلك الآلة تلقي في كل ساعة حصاة، فيُعلم مقدار مضي الساعات من عدد الحصيات.

مسرور - وهو يرى سقوط الحصاة يقول بلغته الفارسية: هشت.

الإمام الهادي (عليه السلام) - يلتفت إلى ضيوفه ويقول لهم كالمتسائل: هشت، ثمانية؟

إبراهيم: نعم يا سيدنا ومولانا يا ابن رسول الله.

ثم بقينا عنده إلى المساء وخرجنا.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول عند خروجهم لعلي بن مهزيار: ردّ إليّ مسروراً بالغداة.

ابن مهزيار: سمعاً وطاعةً، ثم وجهه إليه في الغداة.

الإمام الهادي (عليه السلام) - يرحب بمسرور ويقول له بالفارسية: بار خدايا حالت خوب است؟، يعني: كيف حالك؟

مسرور ـ يجيب الإمام الهادي (عليه السلام) بالفارسية قائلاً: خوب است آقاي من، يعني: جيد يا سيدي.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول له وقد مر نصر عليه، ـ ولعله لهنات كانت بين نصر ومسرور ـ: در ببند، در ببند، يعني: أغلق الباب، أغلق الباب.

مسرور ـ يقول: فأغلق الباب، ثم قام الإمام الهادي (عليه السلام) وألقى رداءه عليّ يخفيني من نصر[1].

احتمل الجدريّ ماءً

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره أيضاً، عن بصائر الدرجات، عن أبي هاشم قائلاً: كنت عند الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وهو مجدّر، وقد دعي إليه أحد الأطباء للمعالجة، فالتفتُّ إلى المتطبب وقلت له بالفارسية: (آب كَرفت) يعني: احتمل الجدري ماءً.

الإمام الهادي (عليه السلام) ينظر إلى أبي هاشم نظر إشفاق ويتبسّم في وجهه ضاحكاً من قوله ويقول له: أتظن يا أبا هاشم أن لا يحسن الفارسية غيرك؟

الطبيب: يتعجب من كلام الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول متسائلاً: جعلت فداك، هل تحسن الفارسية يا ابن رسول الله؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيب الطبيب بقوله: أما فارسية هذا فنعم، إنه

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣١ ح١٣، عن بصائر الدرجات، بتصرف.

قال لك: احتمل الجدريّ ماءً[١].

يسألك ما اسمك؟

ويحدثنا أيضاً العلامة المجلسي في بحاره، عن البصائر أيضاً: عن أبي هاشم قائلاً ما يلي:

قال لي الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) يوماً وكان على رأسه غلام: كلّم الغلام بالفارسية، وأعرب له فيها.

أبو هاشم ـ يمتثل أمر الإمام الهادي (عليه السلام) ويلتفت إلى الغلام ويقول له بالفارسية: (نام تو جيست) يعني ما اسمك؟

الغلام: يسكت ولم يردّ على أبي هاشم جواباً، .

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يتوجه عندها نحو الغلام ويقول له: يسألك أبو هاشم عن اسمك ويقول لك: ما اسمك؟[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٦ ح١٨، عن بصائر الدرجات، بتصرف.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٧ ح١٩، عن بصائر الدرجات، بتصرف.

رُكبتك ما هي؟

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار، عن البصائر أيضاً، عن داود بن أبي القاسم قائلاً:

دخلت على الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وكان خادمه معه، فقال لي: كلّم هذا الغلام بالفارسية فإنه يزعم أنه يحسن اللغة الفارسية.

داود: يلتفت إلى الخادم ويقول له: (زانوي تو جيست) يعني: رُكبتك ما هي؟

الخادم: يسكت ولم يجب على سؤال داود شيئاً.

الإمام الهادي (عليه السلام) يعقّب كلام داود ويفسّر للخادم سؤاله ويقول له: إنه يسألت ويقول لك: رُكبتك ما هي؟[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٧ ح٤٦، عن بصائر الدرجات، بتصرف.

تكلمه عليه السلام بالهندية

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره عن المناقب والخرائج، عن أبي هاشم الجعفري قائلاً:

دخلت على الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) فكلّمني بالهندية، فلم أحسن أن أردّ عليه، فتأثرت من عدم معرفتي بذلك.

الإمام الهادي (عليه السلام) وكان بين يديه ركوة مملوءة حصاً، فتناول حصاة واحدة من تلك الحصيات ووضعها في فيه ومصّها ملياً، ثم رمى بها إليّ وأشار لي أن أضعها في فمي.

أبو هاشم: أخذت الحصاة ووضعتها في فمي، فوالله ما برحت من عنده (صلوات الله عليه)، حتى تكلمت بثلاثة وسبعين لساناً، أولها: الهندية[1].

تكلمه عليه السلام بالنبطية

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار عن عيون المعجزات، عن الحسن بن إسماعيل شيخ من شيوخ أهل النهرين قائلاً:

خرجت أنا ورجل من أهل قريتي إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) بشيء كان معنا، وكان بعض أهل القرية قد حمّلنا رسالة ودفع إلينا ما نوصله

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص ١٣٦ ح١٧ عن المناقب والخرائج، بتصرف.

إليه وقال: تقرؤونه منّي السلام وتسألونه عن بيض الطائر الفلاني من طيور الآجام، هل يجوز أكلها أم لا؟

ابن إسماعيل يواصل كلامه ويقول: وصلنا إلى سامراء وأتينا دار الإمام الهادي (عليه السلام) وسلمنا كل ما كان معنا إلى جارية فتحت لنا الباب وتشرّفنا بلقائه (عليه السلام)، وما مرت علينا عنده سوى لحظات حتى أتاه رسول السلطان، فنهض (عليه السلام) ليركب وودعناه وخرجنا من عنده ولم نسأله عن شيء.

الإمام الهادي (عليه السلام): يدركهم في الطريق بعد أن صاروا في الشارع ويقول لأحدهم بالنبطية: اقرأ صاحب الرسالة والأمانة مني السلام وقل له: بيض الطائر الفلاني لا نأكله، فإنه من المسوخ ولا يجوز أكله.

ابن إسماعيل: وهكذا أبلغ الإمام الهادي (عليه السلام) تحياته إلى بعض أهل قريتنا بعد أن أجاب على سلامه وحمّلنا جواب مسألته في حين أنا قد نسينا المسألة ولم نوفق لطرح السؤال عليه[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٥ تتمة ح٦٣، عن عيون المعجزات، بتصرف.

تكلمه عليه السلام مع الأسد

وفي تاريخ سامراء عن ثاقب المناقب أنه قال:

إني وجدت في تمام هذه الرواية ونهايتها ـ أي: تتمة رواية بركة السباع (حديقة الحيوانات) وأنها لا تأكل لحوم الأنبياء وأبناء الأنبياء ـ أنه كان من بين السباع سبع مريض، فدنا من الإمام الهادي (عليه السلام) ـ عند ما نزل في بركة السباع إليها ـ وهمهم في أذنه شيئاً.

الإمام الهادي (عليه السلام) يظهر له الإجابة، ويشير إلى أعظم السباع هناك بشيء.

ثم إن ذلك السبع (كبير السباع) يضع برأسه تواضعاً وتذللاً له، ويعلن بسببه عن القبول والاستجابة لأمره (عليه السلام).

الجماعة الحاضرون: يتعجبون مما جرى بين الإمام الهادي (عليه السلام) وبين السباع، لذلك لما خرج (عليه السلام) سألوه قائلين: ما قال لك يا ابن رسول الله الأسد الضعيف؟ وما قلت للآخر: كبير السباع.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابهم: لقد شكا إليّ الأسد الضعيف ضعفه وقال: إني عاجز وضعيف، فإذا طُرحت علينا فريسة لم أقدر أن آكلها مع السباع، فأرجوك يا سيدي يا ابن رسول الله أن تشير إلى كبير السباع بأمري، وتوصيه في حقي.

ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه ويقول: فأبلغت شكواه إلى كبير السباع وطلبت منه رعاية ضعفه وعجزه، فوافق كبير السباع على توصيتي، وقبل مني واستجاب لي.

الجماعة الحاضرون ـ يحاولون تجربة ذلك، والتحقيق فيه، ليتعرفوا على صدقه، ولذلك يأمرون بذبح بقرة وإلقائها إلى السباع، فلما ألقوها رأوا السباع وبخلاف كل مرة تحجم عن مهاجمة الفريسة، ويتقدم ذلك الأسد الضعيف وحده فيأكل منها حتى يشبع ثم ينصرف، عندها هجمت بقية السباع على الفريسة واشتغلت بأكلها[1].

تكلمه عليه السلام مع الفرس

وفي تاريخ سامراء أيضاً عن أحمد بن هارون، أنه قال:

كنت جالساً أعلّم غلاماً من غلمان الإمام الهادي (عليه السلام) في مفازة داره، إذ دخل علينا الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) راكباً على فرس له، فقمنا له، فسبقنا فنزل قبل أن ندنو منه وأخذ بعنان فرسه بيده وعلّقه في طنب من أطناب المفازة، ثم دخل فجلس معنا.

الإمام الهادي (عليه السلام) بعد أن جلس معهم أقبل على أحمد بن هارون وقال له: متى رأيك أن تنصرف إلى المدينة؟

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١١٩ تتمة ح٢٦، عن ثاقب المناقب، بتصرف.

أحمد يجيب الإمام الهادي (عليه السلام) بقوله: الليلة يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول له: فسأكتب إذن كتاباً أرسله معك توصله إلى فلان التاجر.

أحمد: نعم على الرأس والعين.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول للغلام: هات يا فتاي بالدواة والقرطاس.

الغلام ـ وهو يتوجه إلى تهيئة الدواة والقرطاس، يقول: سمعاً وطاعة يا سيدي ومولاي.

أحمد: فلما غاب الغلام صهل الفرس وضرب بيده الأرض.

الإمام الهادي (عليه السلام) يتوجه نحو الفرس ويقول له بالفارسية ما معناه: ما هذا القلق؟

الفرس: يصهل ثانية ويضرب بيده الأرض أخرى.

الإمام الهادي (عليه السلام) يتلفت إليه ثانية ويقول له بالفارسية أيضاً ما ترجمته: إن لي حاجة، إريد أن أكتب كتاباً إلى المدينة، فاصبر قليلاً حتى أفرغ.

الفرس: يصهل للمرة الثالثة ويضرب بيده الأرض ثالثة.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقبل على الفرس ويقول له بالفارسية أيضاً ما معناه: اقلع عنانك وامض إلى ناحية من البستان وتفرّغ من فضلاتك هناك ثم عد إلى مكانك.

الفرس: يرفع رأسه ويخرج العنان من موضعه ثم يمضي إلى ناحية البستان

بحيث لا يراه من في ظهر المفازة ويفرغ نفسه من الفضلات هناك ثم يعود ويقف في مكانه.

أحمد: يتعجب من ذلك ويقول: لقد دخلني من ذلك ما الله به أعلم، ووسوس الشيطان في قلبي لولا تدراك الإمام الهادي (عليه السلام) لي.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يلتفت إلى أحمد ويقول له: يا أحمد لايعظم عليك ما رأيت، إنما أعطى الله محمداً وآل محمد أكثر مما أعطى داود وآل داود.

أحمد: يرجع إلى نفسه ويتوب من فكره ويقول في جواب الإمام الهادي (عليه السلام): صدقت يا ابن رسول الله، ولكن أرجو أن تخبرني عما قال الفرس وقلت له.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلبي طلب أحمد ويقول له: قال لي الفرس: قم فاركب إلى البيت حتى أكون قد أدّيت مهمّتي وتفرّج عني.

فقلت له: ما هذا القلق؟

قال: قد تعبت وكللت.

قلت: لي حاجة أريد أن أكتب كتاباً لأبعثه مع أحمد إلى المدينة، فإذا فرغت ركبتك إلى البيت.

قال: إني أريد أن أُفرغ نفسي من فضلات البول والروث وأكره أن أفعل ذلك بين يديك.

قلت: اذهب إلى ناحية البستان فافعل ما أردت، ثم عُد إلى مكانك،

ففعل الذي رأيت.

أحمد: ثم أقبل الغلام بالدواة والقرطاس، وقد غابت الشمس فوضعها بين يدي الإمام الهادي (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يأخذ في كتابة الرسالة حتى يظلمّ الهواء، فلما انتهى منها ختمها وناولها لأحمد وهو يقول له: يا أحمد صلّ المغرب والعشاء في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) ثم اطلب الرجل التاجر في الروضة المباركة، فإنك توافيه هناك إن شاء الله تعالى.

أحمد ـ وهو يتعجب من ذلك، لأنه كان قد فكر في نفسه أن يصلي قبل أن يخرج من المفازة وقبل أن يأتي المدينة، لذلك يقول له: سمعاً وطاعة، ثم يأتي المسجد فيصلي هناك ويلتقي بالتاجر كما أخبره الإمام (عليه السلام) فيسلّمه الرسالة، فإذا هي مستوية الخط والختم وليس فيها نقص ولا خلل.

التاجر: يشكر أحمد على إيصاله الرسالة اليه، ثم يطلب منه أن يعود إليه من الغد ليسلّمه جوابها.

أحمد: لا بأس، فيعود عليه غداً ويأخذ الجواب ويشكره عليه، ويأتي به إلى الإمام الهادي (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول له متسائلاً: هل رأيت الخط والختم مستويان، وهل وجدت الرجل حيث قلت لك؟

أحمد: نعم يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول له: أحسنت، شكر الله سعيك، وأجزل عطاءك.

أحمد: يؤمّن على دعاء الإمام (عليه السلام) له ويقول: اللهم آمين يا رب العالمين[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٥٨ ح٧٤، بتصرف.

القسم الرابع

من أقسام الظاهرة الإعجازية:

علمه (عليه السلام) بالآجال

طرائف من علمه عليه السلام بالآجال

علم الآجال

هناك علم يُعرف بعلم البلايا والمنايا، وهو علم يُعرف به آجال الناس والأمم، ومتى ينتهي عمر آحادهم وعمر سلطانهم، ويُعرف به أيضاً ما يرد عليهم من آفات وبلايا، وعلل وأسقام، ومصائب ومشاكل وغير ذلك.

وهو شعبة من شعب علم الغيب وفرع من فروعه، ولذلك يكون خاصاً بالله تبارك وتعالى ذاتاً، ثم يُطلع الله سبحانه على هذا العلم رسله وأنبياءه الذين ارتضاهم لدينه واختارهم لنفسه، ثم يأمرهم أن يعلّموا هذا العلم أوصياءهم والأئمة المعصومين من بعدهم، ومنهم الإمام الهادي (عليه السلام).

وقد أذن الله تعالى للأئمة المعصومين (عليهم السلام) أن يعلّموا هذا العلم بعض الخواص من أصحابهم، ولذلك علّم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا العلم لأجلّة أصحابه مثل: ميثم التمار وحبيب بن مظاهر الأسدي، ورُشيد الهَجَري، وقد نقل التاريخ عنهم بعض القصص المرتبطة بهذا العلم الذي علمهم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

وقد علّم الإمام الحسين (عليه السلام) أصحابه الأوفياء في ليلة عاشوراء هذا العلم أيضاً، وأخبرهم بأنه لا يبقى أحد منهم حياً حين يأتي عليهم مساء يوم غد، وإنما ينالون الشهادة جميعاً في يوم عاشوراء.

وعليه: فالله تبارك وتعالى عالم بالبلايا والمنايا ذاتاً، بينما الأنبياء والأوصياء والأولياء عالمون بهذا العلم بإذنه سبحانه.

ولا غرو ولا عجب، فإن في التاريخ طرائف من علم الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) بالآجال، ولطائف من علمه (عليه السلام) بالبلايا والآفات، نذكر بعضها إن شاء الله.

مضى أبو جعفر الجواد عليه السلام

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره عن أصول الكافي، عن هارون بن الفضل أنه قال:

رأيت في المدينة أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في اليوم الذي توفي فيه والده أبو جعفر الجواد (عليه السلام) في بغداد، وهو في حزن وأسى ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر الجواد (عليه السلام).

فقيل له: كيف عرفت ذلك يا ابن رسول الله؟

قال: لأنه تداخلني ذلة لله تعالى لم أكن أعرفها[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤ ح١٥، بتصرف.

مات أبي: الجواد عليه السلام

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره أيضاً عن عيون المعجزات عن الحسن بن علي الوشا، قائلاً:

جاء مولانا أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) محزوناً مذعوراً حتى جلس في أحضان عمة أبيه المدعاة: أم موسى.

فقالت له: ما لك يا مولاي يا ابن رسول الله، فإني أراك مذعوراً؟

فقال لها بحزن وأسى: مات أبي والله الساعة.

فقالت: لا تقل هذا يا مولاي يا ابن رسول الله.

فقال بقلب محترق ودمع جارٍ: هو والله كما أقول لك.

الراوي يقول: فكتب الوقت واليوم، فجاء بعد أيام من بغداد، خبر وفاته واستشهاده (عليه السلام)، وكان كما قال[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥ ح٢١، بتصرف.

كم بقي من ملك المتوكل

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار، عن عيون المعجزات، قائلاً:

روي أن رجلاً من أهل المدائن كتب إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ما يلي:

الرجل المدائني: يا ابن رسول الله، أخبرني أدام الله عزك، عن مُلك المتوكل، كم بقي منه؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب في جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم، (قال تزرعون سبع سنين دأباً، فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)[1].

الرجل المدائني ـ يتلقى الرسالة ويقف على ما جاء فيها، ويتوقّع الفرج بهلاك المتوكل بعد أربعة عشر عاماً، وكذلك كان حيث إن المتوكل يُقتل في أول العام الخامس عشر[2].

---

(١) سورة يوسف: ٤٧ ـ ٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٦ تتمة ح٦٣، عن عيون المعجزات، بتصرف.

هلاك المتوكل على يد القائد التركي

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار أيضاً، نقلاً عن الخرائج قائلاً:

روي عن علي بن جعفر أنه قال: قلت للإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) متسائلاً: أيّنا ـ نحن الموالين والأصحاب ـ أشد حباً لدينه؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيب على سؤاله ويقول: أشدكم حباً لدينه أشدّكم حباً لصاحبه، ثم يواصل الإمام الهادي (عليه السلام) كلامه إلى أن يقول: يا علي، إن هذا المتوكل يبني بين المدينة بناءً لا يتم.

علي: يُقبل بكُلّه على الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول بتعجّب: يا ابن رسول الله، ما هو السبب في عدم إتمامه بناء البناية، هل يبدو له فيها، أو يحدث له حدث يمنعه من إتمام بنائها؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه بكل هدوء وعزم: لا، لن يبدو له فيها، ولكنه يهلك قبل إتمامه.

علي: هل يكون هلاكه يا ابن رسول الله بالموت حتف أنفه، أم يكون بقتل، وإذا كان بالقتل فمن يقتله؟

الإمام الهادي (عليه السلام): إنه يُهلك قتلاً، ويكون قتله على يد فرعون من فراعنة الترك.

علي: وكان كما أخبر الإمام الهادي (عليه السلام) حيث ثار عليه بغا التركي

وقضى عليه[١].

هلاك المتوكل برواية أخرى

جاء في كتاب "تاريخ سامراء"، عن علي بن محمد النوفلي، أنه قال:

لما بدا الموسم بالمتوكل في سامراء، أخبرني مولاي الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) الخبر التالي:

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يخاطب علي بن محمد النوفلي ويقول له: يا علي، إن هذا الطاغية يبتلى ببناء مدينة لا تتم ـ وهي الماحوزة وفيها قصر الجعفري الذي قتل فيه المتوكل ـ ويكون حتفه فيها قبل تمامها.

النوفلي وهو يطلب مزيداً من المعلومات حول الأمر ويقول: وكيف يتم حتفه يا ابن رسول الله؟

الإمام الهادي (عليه السلام): يتم حتفه قتلاً بالسيف، وذلك على يد فرعون من فراعنة الأتراك.

النوفلي: يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على هذا الخبر السارّ، وهو قتل الظالم، ويقول: الحمد لله رب العالمين.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يواصل كلامه ويخبر النوفلي بما لا يدع لأحد الشك في ما أخبر به، كما لا يدع مجالاً لأن يغالي فيهم أحد ويقول: يا علي إن

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٢ ح٣٨، عن الخرائج، بتصرف.

الله عزوجل اصطفى محمداً بالنبوة والبرهان، واصطفاه بالحجة والتبيان، وجعل كرامة الصفوة لمن ترى، يعني: نفسه.

النوفلي ـ يضيف قائلاً: وسمعت الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في هذا المجال ما يلي:

الإمام الهادي (عليه السلام): اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وإنما كان عند آصف بن برخيا حرف واحد، فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيّره إلى سليمان، ثم بُسطت الأرض في أقل من طرفة عين ـ ثم يواصل (عليه السلام) كلامه قائلاً ـ: وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله عزوجل استأثر به في علم الغيب[1].

حادث عجيب بعد ثلاثة أيام

وفي كتاب تاريخ سامراء أيضاً نقلاً عن ثاقب المناقب، عن عبد الله بن طاهر، أنه قال:

خرجت إلى سامراء لأمر من الأمور أحضرني المتوكل له، فأقمت فيها سنة، ثم عزمت على المغادرة والانحدار إلى بغداد، فكتبت إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) استأذنه وأودعه أيضاً.

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب إليه: إنك تحتاج إلى الرجوع إن انحدرت،

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٥٠ ح٥٤، بتصرف.

فإنه سوف يحدث بعد ثلاثة أيام أمر تستحسنه.

عبد الله ـ وهو يغفل عن كتاب الإمام الهادي (عليه السلام) ويذهل عن رسالته إليه ويقول: خرجت إلى الصيد ونسيت ما أشار عليّ الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) ثم انحدرت إلى بغداد ونزلت فيها، وذات يوم وأنا جالس مع خاصتي فإذا بمائة فارس يفاجئونني.

الفرسان: يدخلون على عبد الله فجأة ويقولون له: أجب الخليفة المنتصر.

عبد الله يلتفت إليهم ويسألهم بتعجب وذعر قائلاً: ما الخبر، هل حدث هناك حدث جديد؟

الفرسان: نعم لقد حدثت حوادث جديدة وليس حدثاً واحداً.

عبد الله ـ يزداد تعجباً وذعراً ويقول: ما هي تلك الحوادث الجديدة؟

الفرسان: لقد قُتل المتوكل، وجلس ابنه المنتصر مكانه، واستوزر أحمد بن محمد بن الخصيب.

عبد الله، وهو يتذكر ما أخبره به الإمام الهادي (عليه السلام) وما أشار عليه من عدم الانحدار إلى بغداد، ويحسب الأيام التي أعقبها هذا الأمر العجيب، فيراها ثلاثة أيام، فيشكر الله على ما جرى ويقول: فقمت من فوري راجعاً إلى سامراء[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٥٩ ح٧٦، بتصرف.

اذهب واعزب فقد هلك صاحبك

وفي كتاب "تاريخ سامراء"، عن "مدينة المعاجز"، نقلاً عن "ثاقب المناقب"، عن الحسن بن محمد بن الجمهور العمي أنه قال:

سمعت من سعيد الصفير الحاجب يقول: دخلت على سعيد بن الحاجب وقلت له: يا أبا عثمان، قد صرت من أصحابك، وكان يتشيع.

أبو عثمان ـ وهو يستبعد ما قاله سعيد الصفير ولا يصدق كلامه فيقول له: هيهات منك ذلك.

سعيد الصفير ـ وهو يحاول أن يقنع أبا عثمان بكلامه، وأن يُطَمئنه بصدقه، فيحلف له ويقول: بلى والله قد صرت من أصحابك.

أبو عثمان: يَطمئن إلى صدقه من أجل يمينه، ولكن يبحث عن أمر يزداد به اطميناناً إليه فيقول له: وكيف صرت من أصحابنا؟ لابد من أن تبيّن لي ذلك.

سعيد الصفير ـ ينشرح من سؤاله ويجيب عليه قائلاً: لقد بعثني المتوكل في الليلة التي قُتل فيها إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وأمرني أن أكبس عليه وانظر ما ذا يفعل، ففعلت ما أمرني به المتوكل، وسطوت على داره فوجدته يصلي، فبقيت قائماً حتى فرغ الإمام الهادي (عليه السلام) من صلاته.

الإمام الهادي (عليه السلام) عند ما فرغ من صلاته أقبل علي وقال: يا سعيد،

لا يكفّ عني المتوكل حتى يُقطّع اربا إرباً. اذهب واعزب فقد هلك صاحبك، ثم أشار إليّ بيده.

سعيد الصفير ـ وقد امتلأ قلبه خوفاً ورعباً من كلام الإمام الهادي (عليه السلام) ومن إشارته إليه بيده، ويقول: خرجت مرعوباً ودخلني من هيبته ما لا أحسن أن أصفه أبداً، فلما رجعت إلى المتوكل سمعت الصيحة والواعية، فسألت عن الخبر، فقيل لي: قتل المتوكل، فرجعت وقلت بإمامة الإمام الهادي (عليه السلام) وصرت حينئذ من أصحابك.

أبو عثمان ـ يفرح باستبصار سعيد الصفير ويطمئن إلى تشيّعه، فيرحب به ويقول له: اهتديت والله إلى المذهب الحق، مذهب أهل البيت (عليهم السلام) الذين وصى بهم القرآن الكريم وبلغ لهم الرسول الأمين، فثبتك الله عليه إن شاء الله تعالى،

سعيد الحاجب: اللهم آمين يا رب العالمين[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٥٩ ح٧٥، عن مدينة المعاجز، بتصرف.

أنت المقدم

وجاء في كتاب "تاريخ سامراء" أيضاً، عن إرشاد الشيخ المفيد، بالإسناد عن أبي يعقوب أنه قال:

رأيت الإمام أبا الحسن الهادي (عليه السلام) مع أحمد بن الخصيب وكان من قواد المتوكل وقد استوزره المنتصر بعد أبيه المتوكل وكان قد نازع الإمام الهادي (عليه السلام) في داره التي كان قد نزل (عليه السلام) بها وطالبه بالانتقال منها وتسليمها إليه ظلماً وزوراً.

ابن الخصيب - وهو يقبل على الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول له: سِر جُعلت فداك.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابه: أنت المقدّم، ويقصد (عليه السلام) من ذلك: المقدم في الانتقال من الدنيا والذهاب إلى الآخرة.

أبو يعقوب: فما لبث ابن الخصيب إلا أربعة أيام حتى وضع الدهق على ساق ابن الخصيب، والدهق آلة تعذيب مكونة من خشبتين يغمز بهما الساق، وكان يُعذِّب بها حكام الجور سجناءهم، ثم نُعي وانتشر خبر موته في الناس[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٤١ ح٣٣، عن الإرشاد للشيخ المفيد، بتصرف.

أتضحك وأنت من أهل القبور؟

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره نقلاً عن كتاب إعلام الورى، قائلاً:

ورد في كتاب الواحدة عن الحسن بن جمهور العمي أنه قال: حدثني أبو الحسن سعيد بن سهل البصري، وكان يلقب بالملاّح، قال:

إن جعفر بن القاسم الهاشمي البصري كان يقول بالوقف، أي الوقف على إمامة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) دون الاعتقاد ببقية الأئمة من ولد موسى بن جعفر (عليهم السلام) وهو مذهب باطل، لأن من أنكر واحداً من الأئمة الاثني عشر ـ على ما في الحديث الشريف ـ فكأنه أنكر جميعهم.

الملاّح ـ يواصل كلامه ويقول: كنت مع الهاشمي جعفر بن القاسم بسامراء، إذ رآه الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) في بعض الطرق.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إلى جعفر ويقول له: إلى كم هذه النومة يا جعفر؟ أما آن لك أن تنتبه منها؟

جعفر ـ يُقبل بوجهه إلى الملاّح ويقول له: سمعت ما قال لي الإمام الهادي، قد والله قدح في قلبي شيئاً.

الملاّح: وبعد أيام قليلة حدث لبعض أولاد الخليفة وليمة فدعانا فيها، ودعا الإمام أبا الحسن الهادي (عليه السلام) معنا، فدخلنا فلما رأوه أنصتوا إجلالاً له، وجعل شاب في المجلس لا يوقّره، وجعل يلغط ويضحك.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يُقبل عليه ويقول له: يا هذا أتضحك ملأ فيك وتذهل عن ذكر الله تعالى، وأنت بعد ثلاثة أيام من أهل القبور؟

الملاّح ـ يلتفت إلى جعفر ويقول: هذا دليل حتى ننظر ما يكون.

وأما الفتى فأمسك وكفّ عما هو عليه، وأما نحن فطعمنا وخرجنا، فلما كان بعد يوم اعتلّ الفتى ومات في اليوم الثالث من أول النهار ودفن في آخره.

جعفر ـ وقد هزه الحادث، وأوقفه على الحقيقة والواقع، وأخرجه من ظلمات الوقف إلى القول بإمامة الإمام الهادي (عليه السلام) فأخذ يردد ويقول: وهل أبحث بعد هذا عن دليل؟[1].

أما إنه لا يأكل من هذا الطعام

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن كتاب إعلام الورى أيضاً، قائلاً:

جاء في كتاب الواحدة: عن الحسن بن جمهور العمي قال: وحدثني سعيد بن سهل البصري الملاّح أيضاً وقال: التقينا ونحن جماعة ومن بيننا جعفر بن القاسم الهاشمي القائل بالوقف لمرة أخرى في وليمة لبعض من أهل سامراء والإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) معنا، فجعل رجل يعبث ويمزح، ولا يرى للإمام الهادي (عليه السلام) جلالة ومنزلة.

الإمام الهادي (عليه السلام) وقد أقبل على جعفر وقال له: وهو يشير إلى

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨١ ح٥٧، عن إعلام الورى، بتصرف.

الرجل العابث، أما إنه لا يأكل من هذا الطعام، وسوف يرد عليه من خبر أهله ما ينغّص عليه عيشه.

جعفر: وهو يرى أن المائدة قد بُسطت، وأن الطعام قد أُحضر، والأمر على منتهاه، فيقول في نفسه: ليس بعد هذا خبر، وقد بطل قوله وكلامه.

ولكن ما أن فرغ جعفر من تفكيره هذا وهو يرى الرجل قد غسل يديه وتهيأ ليأكل وأهوى إلى الطعام، إلا وقد جاء غلام الرجل مسرعاً ودخل من الباب وهو يبكي ويقول له: إلحق أمك فقد وقعت من فوق البيت وهي بالموت.

الرجل العابث يفاجأ بالخبر المفجع ويترك المجلس قبل أن يأكل شيئاً من الطعام، ويهرول نحو البيت جائعاً لم يأكل حتى لقمة واحدة.

جعفر ـ وهو يرى تحقق الأمر الذي أخبر به الإمام الهادي (عليه السلام) فيزداد به يقيناً ويثبت لديه وبقوة أنه هو الإمام الحق، فيؤمن به ويقول: والله لا وقفت بعد هذا، وقد قطعت على إمامته، وأيقنت بحقانيته[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٢ تتمة ح٥٧، عن إعلام الورى، بتصرف.

غداً يُدفن قبل الصلاة

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن رجال النجاشي بإسناده، عن الأودي، قائلاً:

دخلت المسجد الجامع لأصلي الظهر، وبعد الصلاة رأيت حرب بن الحسن الطحان، وجماعة من أصحابنا جلوساً فسلّمت عليهم وجلست معهم، وكان فيهم الحسن بن سماعة الكندي الصيرفي، وهو من شيوخ الواقفة وكان يعاند في الوقف ويتعصب له.

جماعة الأصحاب: يتذاكرون أمر الإمام المجتبى (عليه السلام) وما جرى عليه من معاوية بن أبي سفيان، ثم يذكرون أمر زيد بن علي وما جرى عليه من آل أمية وبني مروان، وكان معهم رجل غريب لا يعرفونه وهو يستمع إليهم.

الرجل الغريب ـ يلتفت إلى جماعة الأصحاب ويقول لهم: يا قوم عندنا رجل علوي بسامراء وهو من أهل المدينة ما يراه البعض إلا ساحراً أو كاهناً.

ابن سماعة الواقفي ـ يتوجّه للرجل الغريب ويقول له: ما اسم هذا العلوي؟ وبمن يعرف؟

الرجل الغريب ـ يقول في جواب ابن سماعة: إنه يُدعى بأبي الحسن الهادي (عليه السلام) ويعرف بعلي بن محمد بن الرضا.

جماعة الأصحاب ـ يقبلون عليه معترضين ويقولون له متسائلين: وكيف

تبين البعض ذلك منه؟

الرجل الغريب ـ يجيب على سؤالهم قائلاً: كنا جلوساً معه على باب داره وهو جارنا بسامراء، إذ مر بنا قائد من دار السلطان، ومعه خِلَع، ومعه جمع كثير من القوّاد والجنود وغيرهم مما كان يرى نفسه مغبوطاً بينهم مسروراً فيهم.

الإمام الهادي (عليه السلام) عند ما يراه يقوم إليه، ويسلم عليه ويكرمه، فلما مضى أقبل علينا وقال: هو فرح بما هو فيه، وغداً يموت ويدفن قبل الصلاة!.

الرجل الغريب ـ يضيف قائلاً: فعجبنا من ذلك وقمنا من عنده وقلنا: هذا من علم الغيب، وما مضى إلا ساعات وإني لفي منزلي وقد صليت الفجر إذا سمعت غلبة وجلبة.

فقمت إلى الباب، فإذا خلق كثير من الجند وغيرهم وهم يقولون: مات فلان القائد البارحة، لقد شرب الخمرة فسكر وعبر من موضع إلى موضع فوقع واندقّت عنقه ومات.

فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وخرجت أحضره وإذا الرجل كان كما قال الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) ميت، فما برحت حتى دُفن ورجعت.

جماعة الأصحاب ـ وهم يتعجبون ويقولون: نعم لقد تحقق ما قاله الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) وهو دليل على إمامته وحقانيته[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٦ ـ ١٨٧ ب٣ ح٦٤.

إني راحل في هذه الليلة

وفي كتاب "تاريخ سامراء"، نقلاً عن "مدينة المعاجز"، عن أحمد بن داود بن القمي ومحمد بن عبد الله الطلحي قالا:

حملنا مالاً من الأخماس والنذورات من بضائع ونقود وحليّ وجواهر، من قم ونواحيها، وخرجنا نريد سيدنا ومولانا الإمام أبا الحسن الهادي (عليه السلام)، فلما صرنا إلى دسكرة الملك ـ وهي قرية قرب بغداد ـ تلقانا رجل راكب على جمل ونحن في قافلة عظيمة.

الراكب وهو يقصدنا ونحن سائرون في جملة الناس وهو يعارضنا بجمله حتى وصل إلينا وقال: يا أحمد بن داود القمي ويا محمد بن عبد الله الطلحي معي إليكما رسالة.

أحمد ومحمد ـ يتوجهان إليه ويسألاه بقولهما: وممن الرسالة يرحمك الله؟

الراكب يقول في جوابهما: الرسالة من سيدكما ومولاكما الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام).

أحمد ومحمد: وعلى مولانا السلام، هات الرسالة جزاك الله خيراً.

الراكب: الرسالة إليكم ليست رسالة تحريرية، وإنما هي رسالة شفهية.

أحمد ومحمد: لا بأس تفضل علينا بها، فإنا لك من السامعين.

الراكب ـ وقد ترقرقت عيناه بالدموع يقول بصوت متقطع: إن مولاكما

يخصكما بالسلام ويقول لكما: أنا راحل إلى الله في هذه الليلة، فأقيما مكانكما حتى يأتيكما أمر ابني الإمام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام).

أحمد ومحمد ـ وقد خنقتهما العبرة ولم يتمالكا أنفسهما من شدة الحزن يقولان: بسماع الرسالة خشعت قلوبنا، وبكت عيوننا، لكنا أخفينا ذلك ولم نظهره ونزلنا بدسكرة الملك واستأجرنا منزلاً وجعلنا الأموال التي حملناها معنا فيه، وبتنا تلك الليلة هناك وما أطولها من ليلة، فلما أصبحنا رأينا الخبر شائعاً في الدسكرة: وقد علم الجميع بوفاة مولانا الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام)، فقلنا: لا إله إلا الله، أترى الرسول الذي جاء بالرسالة إلينا أشاع الخبر في الناس؟

جماعة من الشيعة هناك وهم من شيوع الخبر المؤسف كانوا على أشد قلق مما كان عليه أحمد ومحمد، ويتساءلون عن مدى صحة الخبر، لكن أحمد ومحمد يخفيان أثر الرسالة ولم يظهراه لهم.

أحمد ومحمد: فلما جنّ علينا الليل، جلسنا بلا ضوء حزناً على سيدنا الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وحداداً له، وأخذنا نبكي ونشتكي فقده إلى الله تعالى.

وبينا نحن كذلك وإذا بيد قد دخلت علينا من الباب، فأضاءت المكان كما يضيء المصباح، وقائل يقول: يا أحمد ويا محمد هذا التوقيع، فاعملا بما فيه، فقمنا على أقدامنا احتراماً وأخذنا التوقيع فإذ فيه ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسن المستكين لله رب العالمين إلى شيعته المساكين.

أما بعد، فالحمد لله على ما نزل بنا منه، ونشكر إليكم جميل الصبر عليه، وهو حسبنا في أنفسنا وأنفسكم ونعم الوكيل.

ردوا ما معكم، فليس هذا أوان الوصول إلينا، فإن هذا الطاغية قد بثّ عينه وحرسه حولنا، ولو شئنا ما صدّكم، وأمرنا يرد عليكم.

إن معكما صرة فيها سبعة عشر ديناراً في خرقة حمراء لأيوب بن سليمان الآجي، فرداها عليه، فإنه ممتحن بما فعله، وهو ممن وقف على جدي موسى بن جعفر، فردا صرّته إليه ولا تخبراه.

أحمد ومحمد: فرجعنا إلى قم وأقمنا بها سبع ليال، فإذا قد جاءنا أمره.

الإمام أبو محمد العسكري (عليه السلام): قد أنفذنا إليكم إبلاً غير إبلكما، فاحملا ما عندكما من الأموال الشرعية عليها، وخلّيا سبيلها، فإنها واصلة إلينا.

أحمد ومحمد يصفان الإبل ويقولان: كانت الإبل بغير قائد ولا سائق، وكان معها التوقيع بهذا الشرح، وهو مثل التوقيع الذي وصلنا بدسكرة الملك، والذي خطته اليد بعد أن أضاءت المكان كله.

ثم يواصل أحمد ومحمد الكلام ويقولان: فحمّلنا الإبل المرسلة ما كان عندنا من الأموال الشرعية - ما عدا صرة أيوب بن سليمان الآجي -

واستودعناها الله، وأطلقنا سراحها.

أحمد ومحمد: فلما كان من قابل خرجنا نريده (عليه السلام) فلما وصلنا إلى سامراء دخلنا عليه (عليه السلام).

الإمام أبو محمد العسكري (عليه السلام): يرحب بنا ويقول: يا أحمد يا محمد، ادخلا من الباب الذي بجانب الدار، فانظرا إلى ما حملتماه إلينا على تلك الإبل المرسلة وانظرا هل تفقدان منه شيئاً؟

أحمد ومحمد ـ وهما متعجبان من وصول الإبل بسلامة مع أنها لم يكن معها سائق ولا قائد يقولان: دخلنا من تلك الباب فإذا نحن بالمتاع كما وعيناه وشددناه لم يتغير منه شيء، ووجدنا فيه الصرة الحمراء والدنانير السبعة عشر بختمها، وكنا قد رددناها على أيوب.

عندها تعجبنا وقلنا: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه الصرة الحمراء أليست قد رددناها على أيوب، فما تصنع هاهنا؟ فواسوأتاه من سيدنا!

الإمام أبو محمد العسكري (عليه السلام) يرفع صوته وينادينا: ما لكما سوأة، إن أيوب قد آمن في الوقت الذي ردت الصرة عليه، فقبل الله إيمانه وقبلنا هديته.

أحمد ومحمد: يشكران الله تعالى ويثنيان على إمامهم العسكري (عليه السلام) ويقولان: فرّج الله عنك كما فرجت عنا وجزاك الله عنا خيراً[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٦٩ ح١٠١، بتصرف.

وأخيراً ولا آخراً

نعم، وأخيراً لم يتحمل الحاكم العباسي الغاشم، وحكومة بني العباس الظالمة المبنية على إشقاء الإنسان والحياة، وجود إنسان معصوم كالإمام الهادي (عليه السلام) الذي كرّس حياته لإسعاد الإنسان والحياة، ويدسّ السم إليه ويغدر بشخصه بعد أن عجز من الغدر بشخصيته، فيرحل الإمام الهادي (عليه السلام) مسموماً شهيداً، مظلوما مهتضماً، ويخلّف نجله الإمام أبا محمد العسكري (عليه السلام) ليكون هو الامتداد السماوي لآبائه الطاهرين وجده الرسول الكريم في تحقيق سعادة الإنسان والحياة، وكان (عليه السلام) كذلك.

فإنه (عليه السلام) كان كما أراده السماء وأوصى به الرسول الكريم، ونص عليه آباؤه المعصومون (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ساعياً في تحقيق سعادة الإنسان والحياة، موفقاً في تحقيق ذلك كآبائه الطاهرين المعصومين (عليهم السلام) وتقبل الله تعالى هذا القليل آمين رب العالمين.

النجف الأشرف

شهر رمضان ١٤٤٢هـ

محمد حسين محمد علي الفدائي

كتب أخرى للمؤلف

- حوار بديع حول أئمة البقيع (عليهم السلام)
- وما محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا رسول
- عراقنا الإسلامي والهزات المعاصرة
- دليل الإملاء العربي

الفهرس

المجال الأول من سيرته (عليه السلام) العلمية: الأصول الدينية والمسائل الاعتقادية ٥
أصول الدين ٧
التوحيد والعدل ٩
النبوة والمعاد ١١
الإمامة ١٢
المذهب الحق ١٣
المؤمن هو المسلـــــّم لأمر أهل البيت (عليهم السلام) ١٣
من روايات الولاية ١٤
الولاية ونتائجها الطيّبة ١٥
لعن الله من ناوَى علياً ١٦
مُبغض علي مبغض الرسول (عليهما السلام) ١٦
حب فاطمة (عليها السلام) وفائدته ١٧
علي (عليه السلام) ومعرفة الله ١٧
كل ما عند الرسول فهو عند الإمام ١٩

الأئمة (عليهم السلام) عباد الله المكرمون ١٩
للأئمة (عليهم السلام) بالرُسُل أسوة ٢٠
الواحد الأحد ٢٢
اللطيف في علمه وصُنع مخلوقاته ٢٣
إن لله إرادتين ومشيّتين ٢٤
الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية ٢٥
سميع لا بأذن وبصير لا بعين ٢٦
العالِم بالأشياء قبل خلقها ٢٧
خلق الله الأشياء بديعاً ٢٨
هادي من في السماء والأرض ٢٩
لا جبر ولا تفويض ٣٠
إلى أهل الأهواز ٣٠
أخبار يصدّقها القرآن ٣١
حقائق الأخبار ٣٣
المنـــزلة بين المنـــزلتين ٣٤
جوامع الفضل ٣٤
الناس في القدر على أوجه ثلاثة ٣٥
لا جبر ٣٧
ولا تفويض ٤١
نتيجة القول بالتفويض ٤٤
الله يصطفي من يشاء ٤٥
يختار الله ما يحبّ ٤٦

مع عباية بن ربعي ٤٧
مع الصحابي: نجدة ٤٨
عند الانصراف من الشام..... ٤٩
الاختبار بالاستطاعة ٥٠
جوامع الفضل الخمسة ٥٤
الأول: صحة الخلقة ٥٤
أول نِعَم الله على الإنسان ٥٥
الثاني: تخلية السرب..... ٥٧
الثالث: المهلة في الوقت ٥٧
الرابع: الزاد و الراحلة..... ٥٨
الخامس: السبب المهيّج للفاعل على فعله..... ٥٩
شواهد القرآن على الاختيار ٦١
معنى الفتنة في الآيات الشريفة..... ٦١
آيات البلوى ومعناها ٦٢
مع أنبياء بني إسرائيل..... ٦٦
مسائل عوصاء ٦٨
تعرفة بابن السكيت ٦٨
معاجز الأنبياء وفنون العصر ٧١
معجزة الإبراء والإحياء ٧١
المعجزة الخالدة: القرآن ٧٢
العقل السليم: هو الحجة اليوم ٧٣
مع اعتراض ابن أكثم ٧٤

الذي عنده علم من الكتاب ٧٨
سجود يعقوب ليوسف ٧٩
النبي على يقين من أمره ٨٠
الأئمة المعصومون كلمات الله التي لا تنفد ٨١
جنة آدم والشجرة المنهية ٨٢
معنى: (أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً) ٨٣
مصير الزبير وقاتله ٨٥
بين مقاتلي الجمل وصفين ٨٧
الإمام وحق العفو والمؤاخذة ٨٨
القصة التي أبكت ملائكة السماء ٨٩
الفضل ما شهدت به الأعداء ٩٠
مميزات الإيمان والاسلام ٩١
المعتَقَد الحق ٩٢
الإمام و الاسم الأعظم ٩٥
لولا وجود العلماء العاملين ٩٦
إذا حشر الناس يوم القيامة ٩٧
مع كتاب: يوم و ليلة ٩٨
أيام الأسبوع وتأويلها بأهل البيت ٩٩
مع حديث: لا تعادوا الأيام ١٠٠
ليس للأيام صنع في حكم الله ١٠٢
لا إيمان لولا حب أهل البيت ١٠٦
ما لم تعلموه فردوه إلينا ١٠٧

أبَوَا هذه الأمة ١٠٨
من إعظام جلال الله ١٠٩
تربتهم (عليهم السلام) واحدة ١١٠
سجود الملائكة ١١١
الزهراء .. لماذا؟ ١١١
نصارى هذه الأمة ومجوسها ١١٢
الشيطان الرجيم ١١٤

الإمام الهادي ومعجزات النبي ١١٥
معجزة الغمامة ١١٥
معجزة السلام ١١٧
النبي بعد نزول الوحي ١١٨
معجزة الحراسة ١٢٠
ضيافة اختبارية ١٢١
تآمر وتواطؤ ١٢٣
معجزة تلاصق الشجرتين ١٢٤
معجزة استدعاء الشجرة ١٢٦
معجزة تكلم الذراع ١٢٨
رضا الإمام علي (عليه السلام) شرط ١٣١
معجزة تكلم الذئب ١٣٢
إحمد الله على الانقياد ١٣٣
الذئب ومعجزة رعي الغنم ١٣٥

معجزة حنين الجذع ١٣٧
معجزة رد الكيد على صاحبه..... ١٣٨
معجزة تكثير الطعام ١٣٩
النبي و نفر من مشركي قريش..... ١٤١
الرسول الكريم يستمد من الوحي ١٤٧
التأييد السماوي للرسول..... ١٤٨
مناقشة إشكالية البساطة والزهادة ١٤٩
مناقشة إشكالية عدم بعث الملائكة ١٥٠
مناقشة إشكالية المسحورية ١٥١
مناقشة إشكالية اختيار الرسول ١٥٢
مناقشة إشكالية إتيان المعجزات..... ١٥٤
تفجير الأرض عيوناً ١٥٥
جنة من نخيل..... ١٥٦
سقوط السماء ١٥٧
بيت من زخرف ١٦٠
الرقي في السماء..... ١٦٠
إشكالية أبي جهل ومناقشتها..... ١٦١
موسى يسأل والله تعالى يُجيب ١٦٤
أيكم أحسن عملاً؟..... ١٦٩
الأحلام والرؤيا حادثة ١٧٠
السورة الموجبة لدخول الجنة..... ١٧١
نصب الفقهاء..... ١٧٣

الإرجاع إلى الفقيه ١٧٤
التنصيص على الإمام..... ١٧٥
الحائر الحسيني: موطن الدعاء ١٧٦
تفضيل الفقيه ١٧٧
حديثهم صعب مستصعب..... ١٨٠
العلماء الأتقياء يوم القيامة..... ١٨١
القرآن كلام الله وهو مخلوق ١٨٢
تعالى الله عن الرؤية..... ١٨٣

المجال الثاني من سيرته (عليه السلام) العلمية : الأحكام والفروع الفقهية ١٨٥
الأحكام الشرعية..... ١٨٧
من لم يأخذ برُخَص الله ١٨٨
الأيام التي تصام في السنة ١٩٠
السفر في شهر الصيام..... ١٩٢
نذر المال الكثير ومقداره ١٩٣
الزكاة والقائل بالتجسيم ١٩٥
زكاة الفطرة ١٩٦
الوصية بمالٍ في سبيل الله ١٩٧
الخمس بعد المؤونة..... ١٩٨
لي منه الخمس..... ٢٠٠
لم يك ينفعهم إيمانهم..... ٢٠٠
تكنية غير المسلم..... ٢٠٢

الصلاة لا يقطعها شيء ٢٠٣
صلاة الليل تذهب بذنوب النهار ٢٠٥
صلاة المغمى عليه وصيامه ٢٠٦
السجود على الزجاج ٢٠٧
سجدة الشكر وهيئتها ٢٠٨
بين نافلة الليل وصلاة الفجر ٢٠٩
ما لم يكن بسبب الإمامة فهو ميراث ٢١٠
بيع وشراء ٢١١
ثواب زيارة الإمام الرضا عليه السلام ٢١٢
الزيارة بالنيابة ٢١٣
ثواب زيارة السيد عبد العظيم ٢١٤
أجر الصلاة على محمد وآل محمد ٢١٥
قراءة سورة القدر ٢١٦
لو جعل شيئاً للإمام ثم احتاج إليه ٢١٨
من مسائل الصوم ٢١٩
صوم الحامل المرضع ٢٢٠
التوبة النصوح ٢٢١
دعاء نوح وبعض آثاره ٢٢٢
بيض الطائر المسوخ لا تأكله ٢٢٤
الميسر و معناه ٢٢٥
شجرة الحسد ٢٢٥
من مسائل الحج والعمرة ٢٢٦

لا تصلّ خلفه ٢٢٧
لا بأس بالصلاة معه ٢٢٨
السجود على القرطاس..... ٢٢٨
الصلاة واستجابة الدعاء..... ٢٣٠
من تعقيبات الصلاة..... ٢٣٠
الوصية في الثلث..... ٢٣١
الجريدة المفيدة لدفع العذاب ٢٣٢
تقريب المسك و البخور..... ٢٣٢
العائد من السفر يصوم..... ٢٣٣
طواف النساء ٢٣٣
صلة الرحم و قطعه..... ٢٣٤
ماء الشعير: الفقاع و البيرة..... ٢٣٤
إرضاع الحيوان..... ٢٣٦
جلود الميتة..... ٢٣٦
تبديل النذر وتغييره ٢٣٧

المجال الثالث من سيرته (عليه السلام) العلمية : الحِكَم والآداب الاجتماعية..... ٢٣٩
الحِكَم والآداب ٢٤١
المقام المحمود ٢٤١
غفران الله لعلي عليه السلام..... ٢٤٢
المغفرة لما تقدم وما تأخر ٢٤٢
الوصف السماوي الخاص بعلي عليه السلام ٢٤٣

من ثمار التواضع ٢٤٤
الناس اثنان ٢٤٤
كراهة الموت لماذا؟ ٢٤٥
لا خوف من الموت ٢٤٦
مَن صفت له الدنيا ٢٤٧
لا تأسوا على ما فاتكم ٢٤٧
تتجافى جنوبهم ٢٤٨
الحياة الطيبة ٢٤٩
الصبر الجميل ٢٤٩
عاتب فلاناً ٢٥٠
لا تطلب الصفا ممن كدرت عليه ٢٥٠
مع شعر ابن أبي حفصة ٢٥١
الزرع والعمل بالمسحاة ٢٥٢
خير من الخير ٢٥٣
اتقوا فراسة المؤمن ٢٥٤
عليكم بالورع ٢٥٤
شأن مَن عَبَد الله بإخلاص ٢٥٥
مقام المخلصين في العبادة ٢٥٥
لعن الرسول الكريم ثلاثة ٢٥٦
لو خالف المؤمن ما أمر به ٢٥٦
الشاكر سعيد ٢٥٧
الدنيا دار بلاء ٢٥٧

الدنيا سوق ٢٥٨
الظالم الحليم والمحق السفيه..... ٢٥٨
أجمع له طاعتك ٢٥٨
لا تأمن شرّه ٢٥٩
الراضي عن نفسه..... ٢٥٩
الحلم ومعناه ٢٥٩
الناس في الدنيا ٢٦٠
مَن أطاع الله يُطاع ٢٦٠
من عوامل التكبر ٢٦٠
مَن كان على بيّنة ٢٦١
أمكنة يستجاب فيها الدعاء ٢٦١
العدول عن الملق..... ٢٦١
بين الإيمان والإسلام ٢٦٢
الزمان إذا غلب فيه الجور ٢٦٢
الجهل و البخل..... ٢٦٣
الحسد و الزهو ٢٦٣
العُجب مهلك ٢٦٣
التمني بلا عمل..... ٢٦٣
العُجب وآثاره الوخيمة ٢٦٤
الجود والكرم ٢٦٤
البخل والطمع ٢٦٤
مخالطة الأشرار ٢٦٥

حُسن العطاء وحُسن المنع ٢٦٥
شكر النعمة ٢٦٥
تذكر حسرات التفريط ٢٦٦
الغضب عجز و لؤم ٢٦٦
الحكمة في الطبع الفاسد ٢٦٧
الحرص والحريص ٢٦٧
من أضرار الجهل ٢٦٧
شرّ من الشرّ ٢٦٧
إياك و الحسد ٢٦٨
العقوق وعواقبه ٢٦٨
اترك الهزل ٢٦٨
المقادير ومخبّئاتها ٢٦٩
الغنى والفقر ٢٦٩
اذكر مصرعك ٢٦٩
من كواشف الأخلاق ٢٧٠
صناعة الأيام ٢٧٠
الثناء والسناء ٢٧١
شرٌّ من الرزية ٢٧١
الحزم ومعناه ٢٧١
من أقبل مع أمر ٢٧٢
السابق الهارب ٢٧٢
جهل الكرامة ٢٧٢

الآداب حُلل حسان ٢٧٣
أين الصابرون؟ ٢٧٣
الأشد حباً لدينه ٢٧٤
راكب الحرون ٢٧٤
المراء والجدل ٢٧٤
دع العتاب ٢٧٥
المصيبة عند الصابر ٢٧٥
العقوق ثكل ٢٧٥
السهر و الجوع ٢٧٦
ما أعزّ الدرهم الحلال ٢٧٦
أحبوا أهل بيتي لحبي ٢٧٧
أربعة أنا لهم شفيع ٢٧٧
من أصبح والآخرة همّه ٢٧٨
تـَمـَن الحياة لتطيع ٢٧٨
من عصى هواه ٢٧٩
القرآن المعجزة الخالدة ٢٧٩
الخير وأكمل الناس فيه ٢٨٠
شر الرزية ٢٨٠
الأولى بالحرمان ٢٨١
الجمال الباطن ٢٨١
الغفلة والغافل ٢٨١
المؤمن و الإيمان ٢٨٢

أمران متضادان ٢٨٢
لو سمعتَ وصفك من غيرك ٢٨٣
ثلاث دعوات مستجابات ٢٨٣
أوقات ثلاثة للدعاء ٢٨٤

المجال الرابع من سيرته (عليه السلام) العلمية: الطب والمسائل الوقائية ٢٨٥
الطب وقاية وعلاجاً ٢٨٧
الله تعالى جميل ويحّب الجمال ٢٨٨
الاستحمام وتقليم الأظفار ٢٨٨
التسريح بمشط العاج ٢٨٩
الاحتجام يوم الاربعاء ٢٨٩
الاحتجام و أكل الرمان ٢٩٠
اللحم اليابس: القديد ٢٩٠
الهليلج و فوائده ٢٩١
البقر والجاموس ٢٩١
خطر البطيخ على الريق ٢٩٢
الباذنجان جيّد ٢٩٢
العسل يفيد الحكمة ٢٩٣
لدفع عقر الخفّ والنعل ٢٩٤
اصفرار نبتة الآس ٢٩٤
عذوبة الماء وطيب الهواء ٢٩٦
دواء القروح والدماميل ٢٩٧

الفالوذج بالعسل ٢٩٨
الاستشفاء بالقرآن ٢٩٩
لوجع البطن ٣٠١
لحصر البول ٣٠٢
لدفع الشدائد ٣٠٢
لدفع الفقر ٣٠٣
للنجاح في العمل والاستغناء ٣٠٤
لدفع أخطار السفر ٣٠٥

المجال الخامس والأخير من سيرته (عليه السلام) العلمية : الأدعية والزيارات ٣٠٧
الأدعية والزيارات ٣٠٩
مطالب هامة ٣٠٩
الغلو ومعناه ٣١٠
نماذج من نهيهم عليهم السلام عن الغلو ٣١٢
الإمام الهادي عليه السلام يحذر من الغلو ٣١٥
نماذج من أدعيته (عليه السلام) ٣٢٠
دعاؤه عليه السلام في توحيد الله تعالى ٣٢٠
دعاؤه عليه السلام في تمجيد الله سبحانه ٣٢١
دعاؤه عليه السلام في تسبيح الله عز وجل ٣٢١
دعاؤه عليه السلام في التسبيح ٣٢٢
دعاؤه عليه السلام في مناجاة الله ٣٢٣
دعاؤه عليه السلام في الصلاة على النبي وآله ٣٢٣

دعاؤه عليه السلام في التوسل بالعترة الطاهرة ٣٢٤
دعاؤه عليه السلام لدفع المحاذير ٣٢٥
دعاؤه عليه السلام عقيب صلاتي الصبح والمغرب ٣٢٦
دعاؤه عليه السلام عند الانتباه من النوم ٣٢٧
دعاؤه عليه السلام في التقرب إلى الله تعالى ٣٢٩
دعاؤه عليه السلام في القنوت ٣٣٠
ومن قنوته عليه السلام أيضاً ٣٣١
دعاؤه عليه السلام قبل اصفرار الشمس ٣٣٢
دعاؤه عليه السلام قبل اصفرار الشمس أيضاً ٣٣٤
دعاؤه عليه السلام في الليلة الأولى من رجب ٣٣٥
دعاؤه عليه السلام لأول ليلة من رجب أيضاً ٣٣٦
دعاؤه عليه السلام لكتابة رقاع الحاجة ٣٣٦
دعاؤه عليه السلام للحرز ٣٣٧
دعاؤه عليه السلام في الاحتجاب ٣٣٨
نبذة من زياراته (عليه السلام) ٣٤٠
الجامعة الكبيرة ٣٤٠
زيارة يوم الغدير ٣٤٢
زيارة أول مظلوم ٣٤٣

القسم الثاني من أقسام سيرته عليه السلام المباركة: الظاهرة الاعجازية ٣٤٥
الظاهرة الاعجازية ٣٤٧
العصمة: معجزة كبرى ٣٤٨

القمة في المثاليات ٣٤٩
الإحاطة بالعلوم ٣٥١
القدوة في الخير ٣٥٣
السيرة النيرة..... ٣٥٥
تقسيمات السيرة ٣٥٦
أسئلة واستفهامات ٣٥٦
نقطة خفاء يتم كشفها..... ٣٥٨
جواب القرآن الكريم ٣٦٤
الممكنات عند قدرة الله سواء..... ٣٦٦
مع الأنبياء السابقين..... ٣٦٩
معنى العلم بالغيب ٣٧٢
النبي الكريم وأهل بيته هم المحور..... ٣٧٥
وضع الدليل شأن كل صانع..... ٣٨٩
الدليل بيد الرسول..... ٣٩٠
الرسول منتخب السماء..... ٣٩١
تسلح الأنبياء وأوصيائهم بالمعجزة..... ٣٩٢
العصمة: رأس الظاهرة الإعجازية ٣٩٧
العقل يحكم بعصمة الأوصياء..... ٣٩٨
من هم أهل البيت ؟..... ٣٩٩
المعنيون بآية التطهير ٤٠١
المعصومون: النبي وأهل بيته..... ٤٠٣
من معاني العصمة..... ٤٠٣

العصمة والمعصوم..... ٤٠٤
حوار حول العصمة..... ٤٠٦
العصمة من مستلزمات الإمامة..... ٤٠٨
مرتبة العصمة ٤١٩
عدد المعصومين..... ٤١٩
الإمام الهادي (عليه السلام) ٤٢١
الظاهرة الإعجازية وأقسامها..... ٤٢١

القسم الأول من أقسام الظاهرة الإعجازية : المعجزات والتصرفات الخارقة للعادة..... ٤٢٣
نماذج من المعجزات والتصرفات الخارقة للعادة ٤٢٥
في خان الصعاليك..... ٤٢٥
استعراض عسكري..... ٤٢٧
هيبة الإمامة..... ٤٣١
اغتيال الشخصية ٤٣٣
داء التملق ٤٣٧
يوم السلام..... ٤٣٩
بِركة السباع..... ٤٤١
رحلة من بغداد إلى سامراء ٤٥٠
سبيكة ذهب..... ٤٥٢
البريد والمراسلات ٤٥٤
الطالب مكان المطلوب..... ٤٥٧
هدايا من قم ٤٦٢

معجزات باهرات..... ٤٦٥
إبراء الأكمه ٤٦٦
إحياء الميت ٤٦٧
دنانير ذهبية..... ٤٦٩
فواكه طرية..... ٤٧٠
من طيور الجنة ٤٧١
بُرّ و دقيق ٤٧٣
الداء العضال..... ٤٧٤
تفقد الإخوان..... ٤٧٧

القسم الثاني من أقسام الظاهرة الإعجازية : علمه (عليه السلام) بالغيب و الماورائيات. ٤٨٣
شواهد من علمه (عليه السلام) بالغيب و الماورائيات ٤٨٥
العلم بالغيب معجزة..... ٤٨٥
متى ينتظرون الفرج؟..... ٤٨٧
المطالبة بالدفتر..... ٤٨٨
الدواء النافع..... ٤٨٩
اجمع أمرك..... ٤٩١
نظرات التسليم و التوديع..... ٤٩٣
أنباء وأحداث..... ٤٩٤
ليس كما تقول ٤٩٦
حوائجك مقضية..... ٤٩٧
يوشك أن يكون هو الإمام..... ٤٩٨

إن موعدهم الصبح ٥٠٠
سمّــه محمداً ٥٠١
رب ابنة خير من ابن..... ٥٠٢
يكفيك الله أمره ٥٠٢
ادفع له أربعمائة درهم ٥٠٣
الجواب بلا سؤال ٥٠٥
هو كما أقول ٥٠٦
مضى أبو جعفر ٥٠٧
تمنّي الطبري خاتماً ٥٠٧
رصد المتوكل أموال قم ٥٠٨

القسم الثالث من أقسام الظاهرة الإعجازية : علمه بجميع اللغات ومنطق الطير والوحش
..... ٥١١
أمثلة من علمه (عليه السلام) بجميع اللغات ومنطق الطير والوحش ٥١٣
علم اللغات ٥١٣
تكلّمه عليه السلام باللغة التركية ٥١٤
تكلمه عليه السلام بالصقلابية..... ٥١٦
تكلمه عليه السلام بالفارسية..... ٥١٧
احتمل الجدريّ ماءً..... ٥٢٠
يسألك ما اسمك؟ ٥٢١
رُكبتك ما هي؟..... ٥٢٢
تكلّمه عليه السلام بالهندية..... ٥٢٣

تكلّمه عليه السلام بالنبطية..... ٥٢٣
تكلّمه عليه السلام مع الأسد..... ٥٢٥
تكلّمه عليه السلام مع الفرس ٥٢٦

القسم الرابع من أقسام الظاهرة الإعجازية: علمه (عليه السلام) بالآجال..... ٥٣١
طرائف من علمه عليه السلام بالآجال ٥٣٣
مضى أبو جعفر الجواد عليه السلام ٥٣٤
كم بقي من ملك المتوكل..... ٥٣٦
هلاك المتوكل على يد القائد التركي ٥٣٧
حادث عجيب بعد ثلاثة أيام ٥٣٩
اذهب واعزب فقد هلك صاحبك ٥٤١
أتضحك وأنت من أهل القبور؟..... ٥٤٤
أما إنه لا يأكل من هذا الطعام..... ٥٤٥
غداً يُدفن قبل الصلاة ٥٤٧
إني راحل في هذه الليلة..... ٥٤٩

و أخيراً و لا آخراً..... ٥٥٣
كتب أخرى للمؤلف ٥٥٤

الفهرس..... ٥٥٥